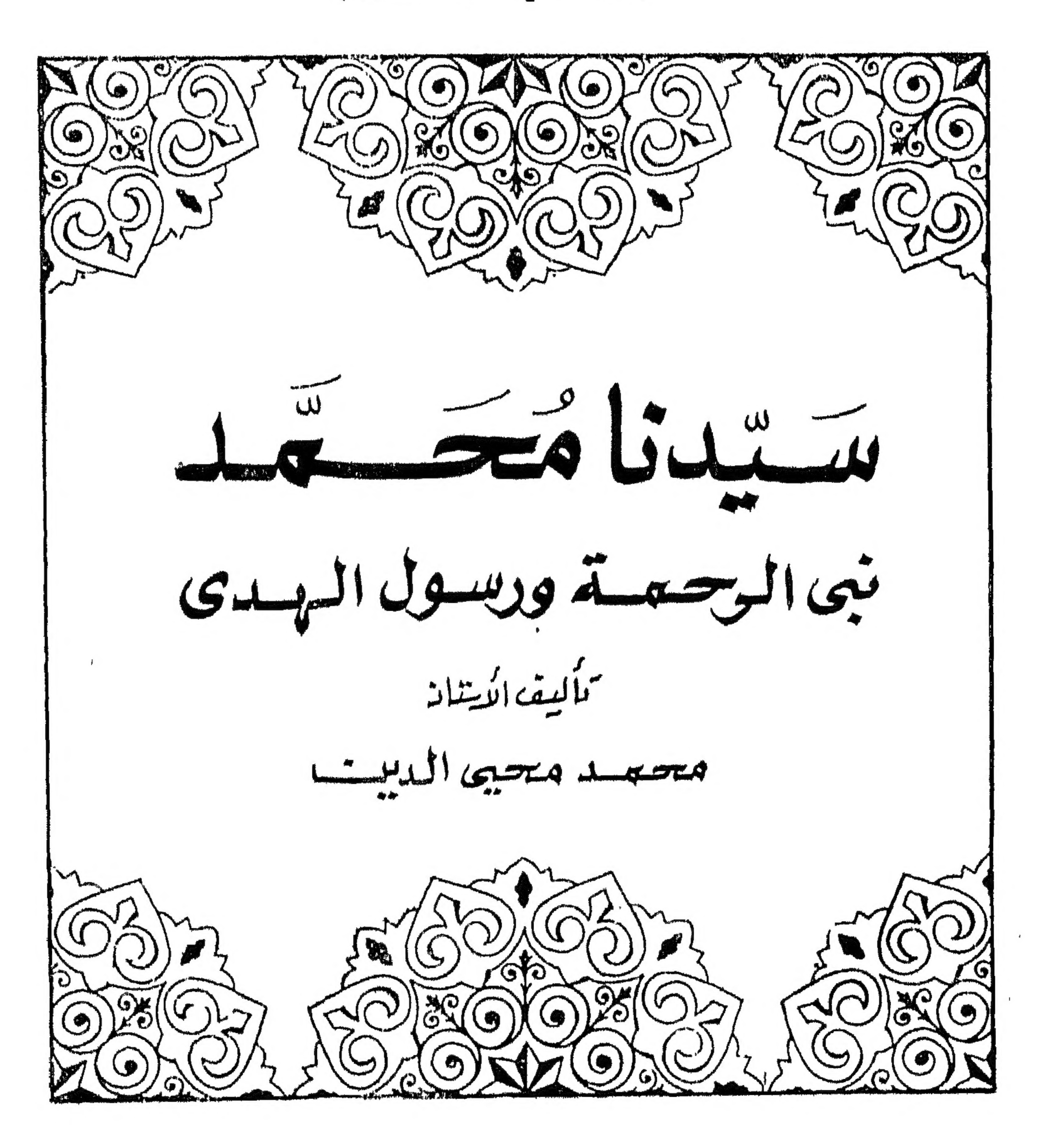
جمهورية مصر العربية - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة التعريف بالإسلام

سلسلة السيرة النبوية

(الكتاب الخامس)



سيّدنا محمّد

نبى الرحمة ورسول الهدى

تأليف الأستاذ

محمد محيى الدين

يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويضة



بسم الله الرحمن الرحيم

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أحمدك اللهم حمدا ينوء بجلاله اللسان ، ويعجز عن قدره القلم ، وأستعينك استعانة المفتقر الى هديك وتوفيقك وتأييدك ، وأصلى وأسلم على خاتم انبيائك ، وصفوة خلقك الذى بعثته رحمة وهدى للناس .

وبعد ...

فقد رات لجنة التعريف بالاسلام — احدى لجان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة — أن يكون من أعمالها اصدار سلسلة فى السيرة النبوية الشريفة من نتاج أعضائها ، تعرض الوانا من البحوث متصلة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن جهوده ، وغزواته ، ومن شمائله وأخلاقه ، ومن بلاغته فى خطبه ورسائله وأحاديثه ، ومن تربيته لصحابته ، ومن آثاره العظيمة العميقة فى نفوس اتباعه منذ صدع بالدعوة الى اليوم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأن تفند مزاعم الخصوم وأباطيلهم تفنيدا علميا عقليا يردها كسيرة حسيرة مقهورة .

ولم يغب عن اللجنة أن عشرات من القدماء ومن المحدثين كتبوا فى هذه الموضوعات أو فى أكثرها كتبا بعضها طبع ، وبعضها ما يزال مخطوطا .

وتعلم اللجنة أن كثيرا منهم أجاد فيما تناول وفيما كتب . ولكن سيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام وما يتصل بالدعوة والجهاد والتشريع أو يتصل بشخصه العظيم وخلقه الرفيع بحر زاخر لا تنفذ جواهره ، وكنز حافل

لا تنتهى ذخائره ، وكلما تملى العالم الباحث بالنظر الى سيرة رسول الله تكشف له جديد لم يطرق ، وتفتح امامه باب للبحث تراءى انه مغلق .

ومنذ شهور صدر من هذه السلسلة ثلاثة كتب :

الأول : من اخلاق النبى للدكتور احمد محمد الحوفى .

والثانى : الوحى الى الرسول محمد لصاحب الفضيلة المرحوم الشيخ عبد اللطيف السبكى .

والثالث : من ادب النبوة للدكتور الشيخ احمد الشرباصى .

والرابع : الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة للدكتور على حسنى الخربوطلى .

وانه ليسرنى أن أقدم الكتاب الخامس وهو : سيدنا محمد نبى الهدى والرحمة للأستاذ محمد محيى الدين .

وسيجد الاخ القارىء أن هذا الكتاب يساير حياة رسول الله منذ استهل على المدينة الى أن اختاره الرفيق الاعلى .

فكان طبيعيا أن يتناول الهجرة واثرها فى قيام الدولة الناشئة ، مبينا الحياة السياسية والدينية فى المدينة قبل الهجرة ، والدوافع التى رغبت رسول الله فى هجرته ، والأسس الاولى لقيام المجتمع الاسلامى فى المدينة ، ودعائم الدولة العربية الاسلامية فى مقرها الجديد ، وموقف اليهود من هذه الدولة .

وكان طبيعيا أن يعرض لجهاد رسول الله فى المدينة ، مفصلا المقال فى الغزوات الكبار ، وبواعث كل منها ونتائجه .

ولم يكن بد من التعرض للعلاقة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يهود المدينة ومنافقيها ، وكيف كادوا جميعا للاسلام والمسلمين ، وكيف اضطروا رسول الله الى حربهم والانتصار عليهم .

ثم عرض الأستاذ محمد محيى الدين عالمية الدعوة الاسلامية ، فبين أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الى البشر كافة كما ينص القرآن الكريم ، وأنه بعث رسلا وكتبا الى ملوك عصره وامرائه يدعوهم فيها الى الاسلام ، وكان من نتائج هذه الدعوة أن بدأت الحرب بينه وبين الامبراطورية

الرومانية ، واكفهر الجو بينه وبين الدولة الفارسية ، ثم كانت الحروب فيما بعد بين خلفاء رسول الله وبين الروم والفرس .

وبعد هذا تحدث المؤلف عن خاتمة انبل سيرة ، وأمجد حياة ، وأعظم قدوة للمسلمين .

وانى اذ اقدم للقراء هذا الكتاب أرجو أن يكون فيه نفع وغناء وتبصير بسيرة رسول الله وتوجيه الى التأسى به والاقتداء .

رئيس لجنة التعريف بالاسلام
أحمد محمد الحوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

اليك ياحبيبى يا رسول الله

كلمة وفاء . وحب ودعاء . وسيرة نبوية شريفة تعطرت بها الأكوان ، على مدى الزمان . عشت فيها بكل وجدانى ، فانتقلت بى الى عصر النبوة الطاهر . رأيت الصحابة من حولك ، يستمعون اليك . قلوبهم خاشعة ، ونفوسهم صافية . فاكتحلت عيونى برؤياك ، وفاز قلبى برضاك .

رايت الايمان الصادق ، والقدوة الحسنة ، والصحبة الوفية . والحكمة السامية . واستمعت الى الاحاديث النبــوية الشريفة ، والشرح الوافى الواضح لأهداف الاسلام وماهيته ومراميه . واستمعت الى قولك الطاهر عن الاحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه . فان لم تكن تراه فانه يراك . » حديث شريف احتوى العقيدة والفضيلة ، ورسم للناس الصراط المستقيم .

أستأذنك يا حبيبى يا رسول الله ، فى أن أنقل لأحبابى وأبنائى ما رأيت وما سمعت بصدق وأمانة . لينهلوا من هذا المورد العذب ، متجهين الى الله فى كل أعمالهم وتصرفاتهم ، وأن يعيدوا مسيرة أمجادنا ، ويتفهموا حقيقة ديننا الحنيف .

يهدف هذا الكتاب الى تحقيق ناحيتين أساسيتين :

أولاهما : بيان الدعوة الاسلامية وتحليلها تحليلا علميا وعرضها بأسلوب شيق سهل واضح . وبيان أفضال النبى صلى الله عليه وسلم فى نشر هذه الدعوة الالهية ، وجهاده فى سبيلها بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والصدر الرحب والأفق الواسع . والدفاع عنها ضد المعتدين .

وأما الناحية الثانية فهى تتصل بالرد على أعداء الاسلام من مستشرقين ومبشرين وصهيونيين وغيرهم . ودحض أكاذيبهم ومفترياتهم . بالأســانيد الصحيحة ، وابراز الحقائق الاسلامية التى لا يأتيها الباطل من بين يديها

ولا من خلفها . لقد أعمت العداوة قلوبهم . قال تعالى « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » .

ومن فضل الله تعالى أن أستاذى الكبير العلامة الصوفى قطب زمانه العارف بالله الأستاذ حسن كامل الملطاوى وكيل وزارة الخزانة السابق قد تكرم بمراجعة الكتاب مراجعة دقيقة فى كل نواحيه ، خلقت من فصوله المختلفة دراسة قيمة جديرة بأن تهدى للاخوة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . جزاه الله خير الجزاء . واليه من قلبى أسمى آيات الشكر والثناء .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا الى ما يحبه ويرضاه ، وان يجعل من هذا الكتاب سبيلا طيبا للنفع والرشاد ، وخاصة للشباب فهم عدتنا وذخرنا للنصر المبين . انه سميع مجيب .

القاهرة فى جمادى الآخرة سنة ١٣٩٢ هـ

الموافق يولية سنة ١٩٧٢ م

محمد محيى الدين

القسم الأول

ـ الدعوة الاسـلامية

الفصل الأول

من مولده الى النبوة

١ ـ النسب الشريف

٢ ـ الجد : عبد المطلب

٣ ـ الأب عبد الله

٤ ـ الأم : السيدة آمنة بنت وهب

٥ ـ مولده صلى الله عليه وسلم

٦ ـ الرضـــاعة

٧ ـ العودة الى الأسرة

٨ ـ حياته قبل النبوة

١ ـ النسب الشريف

هو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان بن اد بن مقوم بن ناحور بن يترح بن يعرب بن يشجب بن نابت ابن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام .

٢ ـ الجد : عبد المطلب

كان قصى الجد الرابع للنبى صلى الله عليه وسلم سيد قومه . واليه انتهت جميع الأعمال المتصلة بالحجاج الوافدين لزيارة الكعبة من سقاية ورفادة وحجابة وندوة ولواء . وهى أعمال تعطى لصاحبها الثراء والجاه والسلطان وقد ورث أولاده من بعده هذه الأعمال حتى تسلمها عبد المطلب بن هاشم .

وقد اشتهر عبد المطلب بالدعة والحكمة واصالة الراى . وحرم على نفسه شرب الخمر أسوة ببعض العرب . وكان محبوبا من كل النـــاس لشخصيته الممتازة وحبه للخير . ومن أعماله الخالدة انه أعاد حفر زمزم نتيجة رؤيا صالحة رآها فى منامه . وزمزم هى بئر اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وكانت قد ردمت مع تعاقب السنين .

رأى عبـــد المطلب فى تلك الرؤيا من يدعـــوه الى حفر (برة) . وفى الليلة التالية طلب منه حفر (المضنونة) . وفى الليلة الثالثة طلب منه حفـــر (زمزم) وحدد له مكانها بجوار الكعبة . ولما بدأ فى حفرها استجابة لهذا النداء اعترضه أهله من قريش وحاولوا منعه من ذلك . ولكنه أصر على رأيه واستمر فى حفرها مع ابنه الوحيد وقتئذ (الحارث) حتى نجح وظهر الماء السلسبيل وسقى الحجيج وعم الخير تلك البقعة الطاهرة .

ولقلة ولده دعا الله أن يرزقه من الأبناء ما يشد بهم أزره ضد قريش . ونذر أن يذبح أحد أولاده قربانا لله اذا بلغوا عشرا . فاستجاب الله دعاءه وأعطاه من البنين والبنات فوق ما كان يرجو . أعطاه عشرا من البنين وستا من الاناث وهم :

البنون : الحارث . العباس . أبو طالب . الزبير . حجل . المقوم . ضرار . أبو لهب . حمزة . عبد الله (وهو والد المصـــطفى عليه الصـــلاة والسلام) .

الاناث : صفية . عاتكة . أم حكيم (البيضاء) . أميمة . أروى . برة .

وقد بارك الله جل شأنه هذه الذرية فاختار منهم عبد الله أبا لحبيبه ورسوله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

٣ ـــ الأب : عبد الله

عندما رزق عبد المطلب بعشر من البنين أراد أن ينفذ نذره بذبح أحد أولاده وأخبرهم بذلك فوافقوا . وتبعا لتقاليدهم فى ذلك الوقت ضربوا القداح فخرجت على عبد الله أصغر بنيه وأحبهم الى قلبه . عندئذ تقدم اليه كثيرون بالرجاء الا يذبح ابنه عبد الله فلم يقبل . فاقترحوا عليه عرض الموضوع على عرافة شهيرة بيثرب (المدينة) والعمل بمشورتها .

ذهبوا اليها وشرحوا لها مهمتهم وأخبروها أن الدية عندهم عشر ابل . فأشارت بالاقتراع عليه مع عشر ابل . وزيادتها فى كل مره تخرج فيها القداح على عبد الله . فرجعوا الى مكة وفعلوا ذلك . وتكررت عملية القداح حتى بلغت الابل مائة . وهنا خرج القدح على الابل . فنحرها عبد المطلب وأطعم بها الفقراء والمساكين . وبهذا نجا عبد الله الشاب النبيل من الذبح لأن ارادة الله سبحانه وتعالى قد أبقت عليه لحكمة الهية فكان بحمد الله والد الرسول الذى سعدت به البشرية .

ولما كان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام هو الذبيح الأول فقد صار عبد الله بن عبد المطلب هو الذبيح الثانى . ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول « أنا ابن الذبيحين » . وكان عبد الله شابا وديعا جميل المحيا ، يعمل فى التجارة أسوة بشباب قريش ويرحل الى الشام والى اليمن فى رحلتى الشتاء والصيف ، وكان مثل أبيه لا يشرب الخمر كما كان عزوفا عن مجون الشباب ولهوهم ، فعرف بين أترابه بالاستقامة وحسن الخلق . وهى تربية الهية أعدته ليكون والد المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وفى سن السابعة عشرة من عمره أخذه أبوه لزيارة بنى زهرة ، وهناك تم الاتفاق على خطبة آمنة بنت وهب الى عبد الله وكانت فى الخامسة عشرة . وهكذا تزوجت آمنة من الشاب الذى كانت ترنو اليه الأبصار وتتطلع الأنظار ويرون فى عينيه سنا الضياء والأنوار .

٤ ـــ الأم : السيدة آمنة بنت وهب

آمنة وعبد الله يلتقيان فى الدوحة الطاهرة والنسب الشريف عند جدهما كلاب بن مرة بن كعب . فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن مرة ابن كعب . لقد فازت دون غيرها من النساء بالزواج من عبدالله أصغر أبناء عبد المطلب وأحبهم الى قلبه . وأقيمت الأفراح فى البيتين الكريمين .

وبعد ايام قليلة من الزواج بدأ عبد الله يستعد للسفر فى التجارة الى الشام . وهى تجارة وفيرة الربح لأهل مكة حيث لا زرع ولا ضرع . بل لابد من الرحيل الى الشام شمالا مرة . والى اليمن جنوبا مرة أخرى .

خرجت القافلة فى رعاية الله وسارت الى الشام . ثم عادت فرحة بخيراتها وأرباحها . وأهل مكة فى انتظارها . وكانت آمنة فى بيتها تترقب عودة زوجها الحبيب ولكن المرض كان قد ألم به فى طريق العودة عند يثرب ، وتوفى الى رحمة الله ودفن بها . ولم تعلم آمنة أن تلك الأيام والليالى القليلة التى عاشاها معا كأحب زوجين يافعين أنه لقاء الى وداع .

ولكن الله سبحانه وتعالى مع لوعة الفراق ومرارته قد أكرمها وعوضها خيرا بأن جعلها أسعد الأمهات فى العالمين حيث حملت فى تلك الليالى القليلة فكان حملها المبارك مصدر اشراق النور المحمدى على العالمين .

٥ — مولده صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يتيما بمكة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلتمن شهر ربيع الأول الموافق شهر ابريل سنة ٥٧١ ميلادية المعروفة باسم (عام الفيل).وقد سميت بذلك لأن (أبرهة) قائد جيش الحبشة قد ولاه النجاشى حاكما على اليمن التابعة له مكافأة له علىاخلاصه وشجاعته.فبنى أبرهةفى اليمن كنيسة كبرى . وبعد أن تم البناء قيل أن أحد أهالى مكة أساء اليها ووضع القاذورات فيها . فقرر أبرهة هدم الكعبة انتقاما لما حدث من اهانة . واقسم ان ينقل الحج الى اليمن .

فأعد جيشا كبيرا ووضع فى مقدمته فيلا ضخما ليخيف به الأهالى . وسار به حتى وصل الى أطراف مكة واستولى على الابل وغيرها . وقابله رؤساء القبائل ومن بينهم عبد المطلب الذى تحدث معه فى شأن ابله ولم يحدثه عن الكعبة . فتعجب أبرهة من ذلك وسأله فى هذا الشأن . فأجاب عبد المطلب فى تؤدة ووقار (اننى رب الابل . وأما الكعبة فلها رب يحميها) . وأسترد بذلك عبد المطلب ابله وذهب بها الى الجبال المحيطة بمكة .

حاصر أبرهة مكة فترة من الزمن . ولكنه لم يستطع الوصول الى الكعبة فلم يتمكن من هدمها . لأن الفيل قد امتنع عن السير فى اتجاه الكعبة مع مابذلوا من محاولات . فتضايق أبرهة أشد الضيق . وذهب قسمه أدراج الرياح . وأثناء الحصار تجلت القدرة الالهية فسلطت على جيش أبرهة طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، وهبت الرياح عاصفة مدوية . فانقلبوا على أعقابهم خاسئين . وعادوا الى بلادهم مشتتين ، فى هزيمة منكرة ،

وأصيب أبرهة بمرض عضال ومات ، وبقيت الكعبة بجلالها وكمالها فى أعلى مكانة .

فى ذلك العام ــ عام الفيل ــ أشرقت شمس الوجود من الأنوار المحمدية ، حيث ولد الطفل اليتيم وأرسلت أمه الى جده بالبشرى ، فأسرع اليها واحتضن حفيده وقبله ، وفرح به أشد الفرح ، وسماه (محمدا) ليكون محمودا فى السماء والأرض ، ولم يكن هذا الاسم شائعا عند العرب ، ورأى فيه صورة ابنه الحبيب عبد الله ، وأشرف عبد المطلب بنفسه على تربيته وتنشئته .

وأما السيدة آمنة فقد تحدثت عن حملها فيه أروع حديث ، فقالت انها لم تشعر بتلك الآلام التى تشعر بها عادة الأمهات ، واحتضنته منذ ولادته ، وأعطته كل الحب ، ورأت فى وجهه الجميل نور الحياة .

٦ ــ الرضاعة

جرت تقاليد العرب أن يرضعوا أولادهم فى البادية ليشبوا على قوة فى ابدانهم وفصاحة فى ألسنتهم ، ولذلك اختار له جده عبد المطلب السيدة / حليمة بنت أبى ذؤيب من بنى سعد بن بكر لتقوم بارضاعه .

رضيت حليمة بهذا الولد اليتيم وعادت به الى بلدها ، وما هى الا عشية وضحاها حتى شعرت بالسعادة تغمر بيتها ، فرأت اللبن وفيرا فى ثديها كما رأت فى جبينه أنوارا خارقة هى أنوار النبوة . وشاركها زوجها الحارث بن عبد العزى هذا الشعور ، فأحبوه من كل قلوبهم وقاموا برعايته مسرورين ، وقد امتلأت الدار ببركته بالخير والسعادة .

وقد شاركه فى الرضاعة أولادهما وهم : عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وحذافة بنت الحارث وهى المعروفة باسم (الشيماء) . وبذلك شرفوا بهذا الاخاء فى الرضاعة .

وفى أحد الأيام رأى عبد الله بن الحارث أن شخصين قد أخذا محمــدا بعيدا عنه وشقوا صدره ثم أعادوه كما كان ، فجرى الطفل وأخبر والديه ، فخشيت حليمة على محمد من هذا الحادث وأسرعت به تعيده الى أهله بمكة وكان عمره حينئذ أربع سنوات ، ولم يمر بخلدها أن هذين الشخصين من الملائكة .

٧ ــ العودة الى الأسرة

تسلمت السيدة / آمنة بنت وهب ابنها المحبوب ، وفرحت بعودته اليها ، وبعد سنتين سافر معها الى أخوال أبيه (بنى النجار) فى يثرب (المدينة) ، وهناك شعرت بالمرض . وفى طريق عودتها الى مكة توفيت الى رحمة الله

بقرية (الأبواء) بالقرب من المدينة ودفنت بها . فعاد وحيدا حزينا مع مربيته (أم أيمن) . وهكذا لم يظفر بحنان أمه الا فترة قصيرة ولكنه ظل يذكرها طوال حياته ويزور قبرها .

فقام جده عبد المطلب بالواجب الانسانى نحو حفيده ، بل نحو ابنه كما كان يناديه ويجلسه الى جواره ، أحاطه برعايته ، وشمله بعطفه وعنايته ، ولكن عبد المطلب مات فى الخامسة والتسعين حين كان حفيده محمد فى الثامنة من عمره الطاهر .

لقد أحس محمد بموت أمه وذاق مرارة حرمانه من حنانها ، ثم أحس بوفاة جده العظيم وذاق ألم فقدانه لعطفه وبره . ولكن عمه أبا طالب شقيق عبد الله لم يتركه للألم والحزن ، بل تولى رعايته فورا وضمه الى أولاده بالرغم من قلة ماله وكثرة أبنائه . وظل أبو طالب على هذه الرعاية والوفاء لابن أخيه طوال حياته . ووجد محمد عنده كل محبة . كما لقى من زوجة عمه (فاطمة) بنت أسعد بن هاشم كل حنان ، واعتبرها أمه الثانية ، ولاحظ أنها لا تفرق بينه وبين أولادها . بل انها كانت تحرص عليه أكثر منهم وتقدمه عليهم فى المأكل والملبس ، فامتلأ قلبه بحبها وعاش يذكرها دائما بالخير ولا ينسى لها عطفها حتى أنه حين ماتت على الاسلام كفنها صلى الله عليه وسلم فى قميصه واضطجع معها فى قبرها وقال : انما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها (أى الحساب) . فما أبره صلى الله عليه وسلم وما أوفاه .

٨ — حياته قبل النبوة

كانت حياته قبل النبوة خصبة مليئة بأسمى المشاعر الانسانية وأجل الأعمال ويدل على ذلك :

١ — قام فى طفولته الأولى عند مرضعته حليمة السعدية برعى الغنم فاستفاد الصحة والنمو الكامل وفصاحة اللسان ، وعند عودته الى أمه بمكة استمر فى رعى الغنم ، وقد قام بهذا العمل معظم الأنبياء .

٢ — ولما شب عن الطوق رأى عمه أبا طالب مزمعا السفر فى تجارته الى الشام ، فبكى وتعلق به وأراد الذهاب معه . فأشفق عليه عمه وأخذه معه فكان استصحابه خيرا وبركة . وقد رآه فى الشام بعض الكهان فعرفوا مستقبله العظيم ونصحوا عمه بالعودة سريعا الى مكة والعناية به . وكانت سنه بين التاسعة والثانية عشر .

٣ ــ ثم خرج للمرة الثانية الى الشام أيضا فى تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد نظير أجر ، وكانت استأجرته لما سمعت عنه من الصدق والأمانة ، ووصلت القافلة الى بصرى من أعمال الشام ، وعاد من الرحلة بأرباح وفيرة وأخبر السيدة خديجة بذلك ، فأعجبت به وأرادت أن تكافئه فعرضت عليه الزواج منها . وتم الزواج وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وهى فى الأربعين ، وفى الحقيقة انه لم يفكر فى الزواج قبل ذلك لأنه كان دائم البحث والتفكير فى القوة العظمى المحركة لهذا العالم . وينظر ويتأمل فيما حوله من الطبيعة .

٤ ــ كان يذهب الى الكعبة مع أهله ، ولكنه لم يعبد أصنامها ، ولم يحترم الأصنام أو يقترب منها . وقد لاحظ أعمامه ذلك ، ولفتوا نظره الى وجوب تقديسها فلم يحفل بكلامهم .

٥ ــ لم يذق الخمر مطلقا ، ولم يألف العاب الشباب من لداته ، ولم يشترك معهم فى لهوهم ومجونهم وسهراتهم ، ولكنه كان قويا يحب المصارعة والجرى .

٦ ــ حضر حلف الفضول فى الجاهلية واثنى عليه ، وكان الغرض من هذا الحلف بين القبائل حماية المظلومين ، واشترك فى حرب الفجار مع قومه من قريش ضد قيس ، وكان يقدم لهم السهام والنبال ، وكان وقتئذ فى العشرين من عمره .

٧ ــ اشترك فى اعادة بناء الكعبة حين تهدمت واحترقت ، وكان فى الخامسة والثلاثين من عمره ، وفى هذه السنة أنجبت له زوجته خديجة الابنة الرابعة فاطمة الزهراء فاستبشر خيرا بمولدها ، وقد استطاع بحكمته وبعد نظره أن يحل مشكلة خطيرة قامت بين القبائل بشأن وضع الحجر الأسود مكانه وكادت أن تقوم بينهم الحرب حيث حرصت كل قبيلة أن تضع الحجر مكانه ، وهو حجر أتى به جبريل عليه السلام من الجنة ، هدية لابراهيم وابنه اسماعيل عند قيامهما ببناء الكعبة لأول مرة ، فلما حكموا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وضع الحجر فى ردائه ، وطلب أن تمسك كل قبيلة بطرف منه ، حتى اذا ما ارتفعوا بالحجر الى المستوى المطلوب أخذه بيديه ووضعه فى مكانه ، فحسم بذلك خلافا خطيرا ودفع عنهم برشده شرا مستطيرا .

٨ ــ لم يتعلم القراءة والكتابة ، وكانت الأمية تشمل اكثر السكان ، ولكن الله علمه مالم يكن يعلم وفى ذلك آية وأى آية .

٩ ــ نال احترام الناس جميعا منذ نعومة أظفاره لقوة شخصيته وسمو أخلاقه ورجاحة عقله ، وعرف بينهم بالشهامة والصدق والأمانة فلقبــوه بالصادق الأمين .

١٠ ــ اعتاد العزلة والوحدة للتفكير الهادىء الرزين ، فكان يتردد على غار حراء فى جبل النور بالقرب من عرفة ، ومعه من الزاد مايكفيه أياما ، وكانت زوجته السيدة / خديجة تعينه على ذلك وتهيىء له أسباب الراحة وتبعث مواليها للسؤال عنه والاطمئنان عليه اذا طال غيابه .

١١ ــ وفى الفترة السابقة للنبوة كان يرى فى منامه رؤى صالحة ، ويسمع أصواتا تناديه باسمه .

١٢ ــ ان زواجه من السيدة / خديجة الثرية التى تركت له حرية التصرف فى أموالها وتجارتها قد أعطاه الفرصة للتأمل والخلوة بغار حراء شــهر رمضان من كل عام ، وفى السابع والعشرين من شهر رمضان الموافق يناير سنة ٦١١ ميلادية اكتملت السعادة وبدأ نزول الوحى فى تلك الليلة المباركة وهى ليلة القدر فى غار حراء (انا أنزلناه فى ليلة القدر) .

الفصل الثانى

الوحى والنبوة والمبادىء الاسلامية

٩ ــ الوحى

رأينا فى الفصل السابق ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقضى شهر رمضان من كل عام فى غار حراء . للتأمل بعيدا عن مكة وأضوائها وضوضائها، معتزلا الناس ومباذلهم ، بعيدا عن آلهتهم وأصنامهم التى عبدوها سفها وضلالا .

وفى ذلك الغار الهادىء يتفتح الذهن ، وينطلق الفكر ، ويتطلع القلب الى الحقيقة ، وقد أحست زوجته السيدة / خديجة بما يعتمل فى نفسه من رغبة قوية فى الخلوة بالغار ، فكانت تشجعه على ذلك ، وتوفر له الراحة والاطمئنان ، وترسل له المؤن اللازمة ، كما كانت تبعث اليه مواليها للاطمئنان عليه .

ولاحظت بناته ايضا هذا الاعتكاف للنظر والتأمل . وادركن بالفطرة السليمة ان وراء ذلك امرا جللا ، فلم يعترضن طريقه ، ولم يشغلنه بأمرهن ، بل كن دائما فى انتظاره عند عودته ليستقبلنه بكل حب واجلال ، ويتزودن منه بالعطف والحنان .

وفى الليلة المباركة (ليلة القدر) ، نزل جبريل عليه السلام وفى يده كتاب أو صحيفة ، ودخل عليه فى الغار ، وحياه تحية الحبيب الى الحبيب ، وقال له « اقرأ » فقال (ما انا بقارىء) ، وهو صادق فى هذا القول . لأنه لم يعرف طريقه يوما الى القراءة والكتابة شأنه فى ذلك الكثرة الغالبة من العرب ، فقال له جبريل مرة أخرى « اقرأ »فأجاب بأنه لا يعرف القراءة ، فضمه جبريل ضمة قوية الى صدره وقال له (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم » .

وعندئذ استيقظ النبى الكريم من نومه وقد انطبعت هذه الآيات الكريمة فى قلبه ثم نطق بها لسانه . ولم يعرف المقصود منها ، وعاد مسرعا الى بيته ، حتى اذا ما استقر به المقام قال (دثرونى . دثرونى) ، وأخبر زوجته بما حدث . فاستبشرت خيرا وقالت له : « أبشر يابن عم واثبت ، فو الذى نفس خديجة بيده ، انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، والله لا يخزيك أبدا، انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق » .

وكان نزول الوحى لأول مرة فى غار حراء فى السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الأولى للنبوة ، الموافق شهر يناير سنة ٦١١ ميلادية ، وكان عمره السعيد اربعين سنة . ثم أتاه جبريل عليه السلام مرة أخرى وقال له « يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر » . وهنا عرف النبى صلى الله عليه وسلم المطلوب منه ، فصدع بالأمر ونهض لتنفيذ الرسالة .

١٠ — انقطاع الوحى

فرحت خديجة بما أفاء الله على زوجها من الكرامة باختياره نبيا رســولا للعالمين كافة ، كما فرحت البنات بمكانة أبيهم العظيم ، واحسسن بالفخر وقدرن مع حداثة سنهن قيمة هذه الرسالة التى لا يقوم بها الا أولوا العزم .

واطمأن النبى صلى الله عليه وسلم،فقد أكرمه ربه،وآتاه مالم يؤته لأحد من قبل ولا من بعد ، وأخذ يفكر فى تلك الآيات الكريمة التى نزل بها عليه جبريل عليه السلام فى ليلة القدر المباركة ، التى بدأ فيها نزول القرآن الكريم هدى ونورا للعالمين وما بعدها .

ثم انقطع الوحى ولم يحضر جبريل عليه السلام مدة أربعين يوما ، فتألم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذ يفكر طويلا فى هذا الأمر ، واتجه بقلبه الى الله فنزل جبريل برسالة فيها كل معانى الحب الالهى للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقرأ عليه الآيات الكريمة (سورة الضحى) : « والضحى والليل اذا سجى . ماودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدك يتيما فئاوى.ووجدك ضالا فهدى. ووجدك عائلا فأغنى . فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث » .

نزلت هذه السورة الكريمة ردا على اليهود والمشركين الذين ادعوا أن الوحى قد تخلى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم تتابع نزول الوحى بعد ذلك ثلاثة وعشرين سنة .

١١ — أعداء الاسلام والوحى

ومن عجب أن يتعرض بعض أعداء الاسلام من مستشرقين وغيرهم لموضوع الوحى . فيهــرفون بمــا لا يعــرفون ، ويتقولون الأكاذيب والافتراءات التى يسهل كشف زيفها وبهتانها بمجرد عرضها على العقل السليم ، بل أن البداهة وحدها تكفى لدحضها وتسفيه نفوسهم المسمومة .

يقولون بخيالهم المريض ان النبى صلى الله عليه وسلم . قد قرأ التوراة والانجيل وكتب الأقدمين وأساطير الأولين أثناء خلوته فى غار حراء ثم انتهى به الأمر بعد الاطلاع والدراسة الى تأليف القرآن مرة واحدة .

فأى افتراء هذا الذى يزعمونه ؟ وأية عداوة تعمى بصائرهم عن جادة الحق والصواب ؟ ان القرآن الكريم قد نزل منجما فى ثلاثة وعشرين عاما ، وفيه من الأحداث مالا يمكن التنبؤ بها مقدما،وفيه اجابات عن أسئلةوحلول لمسائل ظهرت فى أوقات مختلفة . وفيه أحكام عبادات وتشريع معاملات . وأكثر من ذلك لو كانوا يعقلون ، أنه يوجد عتاب وتوجيهات من الله الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويرد القرآن عليهم وعلى أمثالهم فى روعة من بيانه المعجز فيقول تعالى فى سورة العنكبوت (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) . ويقول تعالى فى سورة الفرقان (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما) . وقال تعالى فى سورة النحل (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) .

وتحدى الله الكافرين والمعاندين وأعداء الاسلام من عرب وعجم وانس وجن ببلاغة القرآن وهو الآية الكبرى والمعجزة العظمى الخالدة التى أيد الله بها صدق الرسالة المحمدية فقال تعالى فى تحديه فى سورة الاسراء (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

وزاد سبحانه فى تحديه فقال فى سورة هود (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) .

وزاد تعالى تحديا فقال سبحانه فى سورة البقرة (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) .

فتأمل فى قوله تعالى (ولن تفعلوا) ترى التحدى واضحا فى سورة واحدة فكيف بالقرآن كله ، وصدق الله حيث عجزوا عن الاتيان بسورة من مثله على مر القرون وكان فيهم أهل الفصاحة والبلاغة الذين يشار اليهم بالبنان ولكن أين بيان الخلائق من بيان الخلاق وأين كلام القاصرين من كلام رب العالمين .

١٢ ــ الرسالة

الرسالة أعباء وأعمال نابعة من الايمان الصادق ، وهى كفاح ضد الشيطان وآثامه ، وهى هداية للبشر الى الصراط المستقيم ، صراط الذين آمنوا وعملوا الصالحات . ولا يستطيع أن ينهض بها الا رجال أقوياء قد اصطفاهم لحمل رسالته ، وأعدهم منذ طفولتهم اعدادا خاصا ، وجعلهم نماذج ممتازة للناس فى حسن الخلق ، وسعة الأفق ، ورحابة الصدر . واحتمال الأذى ، والصبر على المتاعب ، وكفاح دائم ليلا ونهارا . تبشر بالعدل وتحارب الظلم . تنشر السلام فى كل مكان . وتسعد الناس على أساس من الدين . وقد اشترك جميع الأنبياء مع اختلاف وسائلهم فى الدعوة الى عقيدة واحدة هى توحيد الله الواحد الأحد . انها الدعوة الى الاسلام . قال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) . وقال تعالى فى آخر آية نزلت من القرآن الكريم فى حجة الوداع بعرفات (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .

والرسل السابقون عليهم السلام قد اختص كل منهم بقوم فى مكان معروف وزمان محدد . فمثلا سيدنا (هود) أرسل الى (عاد) . وسيدنا صالح أرسل الى (ثمود) . وسيدنا شعيب أرسل الى (مدين) . وسيدنا موسى أرسل مع أخيه هارون الى فرعون . قال تعالى فى سورة الأنبياء (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا . ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

أما رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكانت للناس كافة ولذلك زادت أعباؤه لاتساع دائرة دعوته لأنه خاتم النبيين وامام المرسلين . وقد صلى اماما بجميع الأنبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس . قال تعالى فى سورة سبأ (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا . ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وكانت زوجته السيدة / خديجة أول النساء ايمانا . ثم أقبلت بناته الأربع وآمن بالله وبرسوله . ثم حضر ابن عمه على بن أبى طالب وهو دون الحلم وآمن بالله وبرسوله . فهو أول من آن من الصبيان وكان عمره عشر سنوات وكذلك آمن به صغيرا زيد بن حارثة وكان الرسول صلى الله عليه

وسلم يتبناه مع أنه مولاه . وكذلك آمنت به (أم أيمن) وهى مربية الرسول صلى الله عليه وسلم . هذه هى المجموعة الأولىٰ التى تمتعت بالاسلام منذ اللحظات الأولى .

ولما علم صديقه أبو بكر بن أبى قحافة بالنبأ . أسرع الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم وأعلن اسلامه فكان أول الرجال ايمانا . وهو من أشراف مكة وكبار تجارها الأثرياء . ومن المحبوبين عند الناس لطيبته وحبه للخير . ثم دعا بعض اخوانه الى الاسلام فاستجابوا له ، وذهبوا معه الى بيت الرسول الكريم وأعلنوا اسلامهم بين يديه صلى الله عليه وسلم وهم :

عثمان بن مظعون ، عثمان بن عفــان ، الزبير بن العوام (ابن عمة رسول الله) ، عبد الرحمن بن عوف ، ســعد بن أبى وقاص ، طلحة بن عبيد الله .

١٣ ـــ الاطار العام للبيئة العربية فى الجاهلية

جدير بنا أن نبين كيف كانت الحياة فى الجاهلية . وكيف كان اثرها العميق فى نفوس الناس . ومدى استعدادهم للدخول فى الدين الجديد والايمان بالله وبرسوله الكريم وكيف كان جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلك البيئة .

ان ارض الدعوة لم تكن ممهدة ، والظروف لم تكن مواتية لقبول الدعوة الاسلامية ومن ثم واجه النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا من المتاعب . فقد خاطب عقولا قد تحجرت ونفوسا قد استحوذ عليها الشيطان وسيطرت عليها تقاليد ضالة . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع بأمر ربه وبلغ الرسالة فى صبر جميل وعزم مؤكد ولم يتهيب العقبات بل اجتازها وقاسى فى اجتيازها الشدائد والأهوال .

كانت الجزيرة العربية غارقة فى الأمية والجهالة ، الا ماولعوا به من نظم الشعر وحفظ الأنساب . وقد عاش أهلها بعيدا عن العالم الخارجى ، فلم يتأثروا بما حولهم من نهضة فكرية وتطورات حضارية كتلك التى عرفهـــا الناس فى بلاد الروم وفارس .

سنرى كيف تحول العرب فى الجاهلية الى عبادة الأصنام . ونرى حبهم للخمر والميسر والأزلام ونكشف حياتهم الطبقية بين سادة وعبيد وقتــل بناتهم ووأدهن بمجرد ولادتهن بدون ذنب أو جريرة (واذا الموءودة سئلت . بأى ذنب قتلت) .

(أ) عبادة الأصنام

فى عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . عرف الناس طريقهم الى توحيد الله وعبدوه حقا وصدقا ، ثم توالت الأيام والأعوام ، واتصلوا بأطراف الجزيرة عن طريق التجارة ، فرأى بعضهم فى شمالها الأوثان والأصنام وجلبوا بعضها معهم ، واتخذت كل منطقة أو قبيلة لنفسها صنما تعبده ، وتقدم له القرابين ، وتنحر له الذبائح وتستلهمه الرأى قبل القيام بأى عمل وتشركه مع الله فى كل شىء ، فقريش كانت لها (العزى) ، وكان للأوس والخزرج فى يثرب (اللات) . وغيرهما كثير من الالهة مثل (منات وهبل . نسر . سواع . يغوث . يعوق) .

(ب) الخمر

كان أهل الجزيرة العربية يحبون الخمر ويحتسونها خالصة أو ممزوجة بغيرها ، ولم تخل منها مجالسهم . وهى خاصة بالسادة دون العبيد ، وكانت مظهرا من مظاهر الترف والسيادة . وكانوا يجلبونها مع تجارتهم أو يصنعونها محليا .

(جـ) التجارة

وكانوا يعتقدون أن الربح فى التجارة مباح بكل وسيلة مشروعة أو غير مشروعة . وأن التطفيف فى الكيل والميزان أمر عادى لا غبار عليه ولا ضير على الضمير الانسانى منه .

(د) النظام الطبقى

كان نظامهم الطبقى مكونا من سادة وعبيد ، فالسيد يملك كل شىء فى حياة الأرقاء ، فان شاء قتلهم ، وان شاء أبقى عليهم ، والسيد له حق العمل فى التجارة وامتلاك البساتين . والعبد عليه فلاحة الأرض ورعاية الابل والماشية ، ولا يسمح للعبد بالزواج من طبقة السادة ، أو حتى مجرد التفكير فى ذلك والا قضى عليه بالموت .

(هـ) وأد البنات

كانت بعض القبائل تئد البنات خشية العار والفقر واعتداء السادة على أعراض الفقراء . ولو كانت كل القبائل اعتادت وأد البنات لانقرض سكان الجزيرة .

(و) الحياة الأخروية

لم يكن أهل الجزيرة العربية يعرفون شيئا فى الجاهلية عن البعث بعد الموت . والحياة الأخروية والحساب وما يتبعه من ثواب أو عقاب فعاشوا

دون خوف من حساب أو عقاب وكانوا يفعلون ما يريدون دون وازع أو رادع .

هذه صورة لحياة الناس فى الجاهلية تريكم مدى تمسكهم ببعض التقاليد والعادات ، التى يصعب عليهم التخلى عنها ، لطول عهدهم بها ، واستقرارها فى نفوسهم . ولذلك واجه الدين الجديد كثيرا من المتاعب والمصاعب وكان لابد من تذليلها بالأناة والحلم والحكمة فى غير يأس أو قنوط او ملل .

١٤ — المبادىء الاسلامية

فلما جاء الاسلام قضى على هذه التقاليد السيئة والعادات البالية ، ووضع نظاما جديدا لحياة المجتمع ، واستجاب الناس لدعوة الحق ، ورأوا فيه سعادة الدارين . ولكن ماهى المبادىء التى نادى بها الاسلام عندما بزغت شمسه وأضــاءت الكون ؟

أن الاجابة على هــذا السؤال ســتشمل الحديث عن التوحيد وتحريم الخمر وتنظيم التجارة والقضاء على الطبقية ووأد البنات . كما تتجه أيضا الى الحديث عن الحياة الأخروية . وهى أسس قوية ودعائم أصيلة للدين الحنيف . واحتاجت الدعوة اليهــا الى جهــود موفقــة بل ومضــنية . ونجحت الدعوة وثبت الاسلام بين الناس بدعائمه القوية .

(أ) التوحيــد

نادى الاسلام بالتوحيد وعبادة الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ونطق القرآن الكريم (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) وهو وصف الهى صادر عن الخالق سبحانه وتعالى فى سورة الاخلاص . فهل يؤمنون ؟ أم يأبون ويستمرون فى ضلالهم يعمهون ؟

استمر الاسلام فى نشر دعوته الى الحق بالشرح والاقناع حتى انتصر . وأزيلت الأصنام من حول الكعبة ، ومن البيوت ، وقامت القبائل التى كانت تحتفظ بها بتكسيرها ايمانا واعتقادا منها بأنها لا تضر ولا تنفع حتى اختفت عبادة الأصنام نهائيا من الجزيرة العربية ، وملأ التوحيد قلوب المؤمنين ، وأصبحت كلمة الله هى العليا وهى كما قال فى سورة البقرة (والهكم اله واحد لااله الا هو الرحمن الرحيم) .

(ب) تحريم الخمر

وبالنسبة للخمر فان الاسلام لم يمنعها مرة واحدة بل تدرجت الأوامر بشأنها حتى انتهى الأمر فى القرآن الكريم بتحريمها . فقال تعالى (يا أيها

الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .

ولسنا فى مجال الحديث عن مضار الخمر ماديا وأدبيا . والأسباب الداعية لتحريمها . فهذه مسائل واضحة ومعروفة . وأصبحت بالنسبة لكل انسان عاقل من البديهيات التى لا تحتاج الى برهان . أما فى العصور القديمة ، والعهود الوثنية . وخاصة بالجزيرة العربية فقد كانت المطالبة بتحريمها . وحرمان المدمنين من تناولها سرا أو جهرا . أمرا عسيرا .

ولكن استطاع النبى صلى الله عليه وسلم بفضل كفاحه المستمر،وثباته على الحق ، والشرح الدائم ، أن ينجح فى اقناع الناس بضررها ، وبيـــان أنها من رجس الشيطان وكيده وهو عدو الانسان . فانتهى عنها المؤمنون واستمعوا لأمر الله ، راجين ثوابه وغفرانه ، وأما من سدر وكفر ، فله فى الدنيا خزى . وفى الآخرة عذاب جهنم وبئس المصير .

(هـ) تنظيم التجارة ومنع الربا

وأما التجارة فقد وضع لها الاسلام الأسس السليمة ، وحرم الغش فى الكيل والميزان ، فقال تعالى فى سورة المطففين (ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين) .

وقد لوحظ على النبى صلى الله عليه وسلم أيام ممارسته للتجارة قبـــل النبوة ، أنه لم يفعل مثلهم ، بل كان صادقا عادلا مستقيم الخلق ، لا يجادل ولا يساوم ، ومع ذلك كانت أرباحه أكثر وفرة من سائر التجار ، وأصبحت التجارة بعد الاسلام قائمة على الأمانة والصدق والشرف .

وقضى الاسلام أيضا على الربا الذى كان سائدا فى الجاهلية . لأن الناس كانوا يحبون اكتناز المال بكل وســـيلة ، ولم يفرقوا بين الربا والتجارة ، وكانت هذه المسألة من الموضوعات التى فكروا فيها طويلا قبل الدخول فى الاسلام ، اذا اعتقدوا أن الدين سيقضى على ثرواتهم ، وبالتالى على مراكزهم الاجتماعية ، وعلى تمتعهم باللهو والمجون . قال تعالى فى سورة البقـــرة (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس . ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا . وأحل الله البيع وحرم الربا . فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله . ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات . والله لايحب كل كفار أثيم) .

(د) القضاء على الطبقية

وجاء الاسلام بالمساواة بين الناس جميعا فقرر أنهم سواسية كأسنان المشط ، لافضل لأعجمى على عربى الا بالتقوى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) .

وشق على من كانوا سادة فى الجاهلية أن يتساووا مع العبيد أو مع المرءوسين . فنفروا من هذا الدين وقالوا عنه انه دين العبيد ، فكيف يقفون معهم فى الصلاة جنبا الى جنب ! ارادوا الدخول فى الاسلام بشرط أن يقيموا صلاتهم بعيدا عن العبيد . ولكن الدين الحنيف أبى عليهم ذلك ووقف أمامهم قويا صريحا . لتقوم الحياة الاجتماعية على دعائم الاسلام السليمة ، فلا يصيبها مرض التعالى والكبرياء . ولا يفت فى عزيمتها رواسب الجاهلية . فالحق أحق أن يتبع . ويجب أن يخضع الجميع لعدالة السماء وحكمتها لأن الله أعلم بصالح الناس من أنفسهم .

فماذا كانت نتيجة هذا الصراع ؟ قضى على النظام الطبقى الظالم . وأقام المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات ، وتعمد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقيم المصاهرة بين السادة والعبيد لتذويب الفوارق ، وعمل على احاطة المجتمع بسياج من الايمان الصادق الذى لا لبس فيه . ومن اشهر الأمثلة على ذلك أنه زوج زيد بن حارثة من (زينب بنت جحش) ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى القرشية ذات الحسب والنسب ، وهناك أمثلة كثيرة للمساواة فى امارة المدن ، وقيادة الجيش ، وتفقيه المؤمنين فى الدين . فكان النبى الكريم يختارهم من الأتقياء الصالحين بغض النظر عن كونهم سادة أو عبيد .

وهل يمكن أن ننسى بلال بن رباح الحبشى مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم . وما احتمله فى سبيل عقيدته حتى نصره الله فى يوم بدر ، فقتل بيده (أمية بن خلف) المشرك الذى كان يعذبه عذابا لم يره أحد ليرده عن الاسلام فهان عليه العذاب فى سبيل عقيدته وكان ينادى وهو مطروح على الصخر الملتهب بالحرارة : أحد أحد .

ومن أروع الأمثلة سمية وزوجها ياسر ، وهما من العبيد وقد عذبهما بنو مخزوم ، وقد مر بهما النبى صلى الله عليه وسلم ، وهما فى القيود والأصفاد وتحت السياط . فقال لهما (صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة) . ثم حضر عدو الله أبو جهل وقتل سمية بحربته ثم قتل ياسرا فكانا أول شهداء الاسلام وقد نطقا قبل قتلهما بالشهادتين ونظرا الى السماء بعيون يفيض منها الحب والايمان . وهم عدو الله بقتل ابنهما عمار فمنعه بعض اخوانه ممن حضروا هذه المأساة . ولكن عمارا لم يفكر فى مصيره ومصير والديه . لأنه يعلم أن

الاستشهاد فى سبيل الله طريقهم الى الجنة . واستمد من الحزن قوة ، وقام بدفن والديه ، واستمر على اسلامه ، فلم يهن عزمه ولم يضعف ايمانه ، وبالرغم من هذه الأحداث الأليمة فقد استقرت المساواة بين الناس بفضل الاسلام . قال تعالى فى سورة الرعد (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) .

(هـ) منع وأد البنات

ومما يعتز به الاسلام والمسلمون أن الدين الحنيف قد أنار العقول ، ورباها على الحكمة والرشاد فنهى عن وأد البنات خشية الفقر أو العار . وأكد للناس أن الله هو الرازق الرحيم ، قال تعالى فى سورة الاسراء (ولاتقتلوا أولادكم خشية املاق . نحن نرزقهم واياكم . ان قتلهم كان خطئا كبيرا) .

هذه الجريمة الشنعاء جريمة وأد البنات كان يرتكبها بعض الناس فى الجاهلية دون شفقة أو رحمة على فلذات أكبادهم . بل كانت قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ، ولكن هذه الجهالة الجهلاء قد اختفت بظلامها أمام أنوار المعرفة الاسلامية ، التى أيقظت الضمائر ، وألهمت المشاعر صدق الايمان ، وصفاء النفس ، والاعتماد على الله ، والاعتزاز بالبنت اعتزازهم بالولد ، فهى نصف المجتمع ، وبنجاحها وصلاحها تنجح الأسرة وتصلح ، بل ترقى وتسعد الانسانية كلها .

فالاسلام (دون غيره) قد أخذ بيد المرأة ، فوضعها فى مكانها اللائق ، وأبعد عن مولدها تلك المظاهر الجنائزية التى كانت تلقاه بها . ورفع رأس رب الأسرة بعد أن كان يخفى وجهه عن الأنظار اذا بشر بالأنثى . ان الاسلام منذ اللحظة الأولى قد عنى بنظام الأسرة وحياة المجتمع . وقضى على سوآت العهود الغابرة . لقد أعطى الاسلام للمرأة قيمة اجتماعية وأبعد عنها متاعب الجاهلية من وأد واضطهاد واهدار لكل كرامة . ومنحها حرية الرأى والتصرف والعقيدة . وقد رأينا كيف كان الأب يخفى وجهه من الناس اذا بشر بمولد فتاة . قال تعالى (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون) .

(و) الحياة الأخروية

أعلن الاسلام عند ظهوره أن الحياة الدنيا مفازة لحياة أخرى بعد الموت . وأن الناس سيبعثون مرة أخرى ، وسيقدمون للحساب لينال كل

فرد جزاءه عما قدمت يداه فى الدنيا (فأما من أوتى كتابه بيمينه فهو فى عيشة راضية) . فهال الكفار الأمر وعجبوا كيف يبعثون من القبور ، وكيف تعود العظام سيرتها الأولى انسانا كاملا ، وأمسك أحدهم بقطعة من العظم وفركها بين يديه ونثرها فى الهواء وقال للنبى صلى الله عليه وسلم ، كيف تجمع هذه القطعة بعد أن أرمت يوم البعث والنشور . فجاءت الآيات الكريمة فى سورة يس (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) .

لقد جاء الدين الحنيف بحقائق جديدة لم تكن معروفة لهم من قبل وبين للناس قيمة الحياة الدنيوية وعلاقتها بالحياة الأخروية ، وأرشدهم الى الطريق القويم ، وبشرهم بالثواب وأنذرهم بالعقاب ، وعرفهم أن هناك جنة تجرى من تحتها الأنهار لمن خاف مقام ربه واتبع هداه ، وهناك نار جهنم وبئس القرار لمن عصى ربه واتبع هواه .

وهكذا عاش الاسلام فى صراع فكرى مع العرب ، حتى اقتلع جذور الجاهلية من قلوبهم . وأودع فيها أنوار المعرفة الصادقة والايمان الصحيح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وخلصت الكعبة للمؤمنين ، وامتنع دخولها على المشركين ، وأذن بلال من فوقها (الله أكبر . الله أكبر . أشهد أن لااله الا الله . أشهد أن لا اله الا الله . أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله) ... الخ . ومعنى أشهد أى أتحقق وأجزم وأوقن باعتقادى أنه لااله الا الله محمد رسول الله

هذه هى المبادىء الأساسية التى دعا اليها الاسلام . وجاهد من أجلها النبى صلى الله عليه وسلم منذ اللحظة الأولى سرا ثم جهرا . وتحمل فى سبيلها كثيرا من عنت قريش ومن سار فى فلكها ، وخضع لأمرها . ولكن القدرة الالهية كانت لهم بالمرصاد ، فشدت أزر الرسول الكريم وأعانته فى كل لحظة ، حتى أتى يوم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، اكتملت فيه الدعوة ، واستقر الاسلام داخل الجزيرة وخارجها . وقد تم كل ذلك فى مدة وجيزة جدا . أى فى ثلاث وعشرين سنة . وهو ما لم يحدث مثله مطلقا فى التاريخ قديما وحديثا . وتمت كل المعانى والأغراض الحقة لحياة الناس فى الدارين .

١٥ — خاتم الأنبياء والمرسلين

كانت الرسالات السابقة على الاسلام رسالات اقليمية محدودة . وجاء الاسلام للناس كافة فى كل المعمورة ، ودعت كل الرسالات الى توحيد الاله

الخالق وأن اختلفت الشرائع فى فروع العبادات ، وكان الاسلام أكمل الشرائع جميعها حيث كفل سعادة المجتمع فى دنياه وأخراه وجاء صالحا لكل زمان ومكان .

لقد مضى الآن أربعة عشر قرنا على ظهور الدين الاسلامى وهو ثابت الأركان . قوى البنيان . كشجرة نامية مورقة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . يستظل بظلها جميع المؤمنين وينعمون بثمارها . وهو دين يسر لا عسر فيه . يتحقق به السلوك الانسانى ، وينتظم عن طريق التطور الاجتماعى ، وفيه حل كل مشكلة . والتغلب على كل معضلة . بالحق والعدل . انه دستور العبادات والمعاملات الذى ينير الطريق الى الحياة الكريمة فى الدنيا والآخرة . فمن اتبعه اهتدى الى الرشد . ومن جافاه ضل سواء السبيل .

ويقرر الاسلام أن النبى صلى الله عليه وسلم هو (عبد الله ورسوله) . وعبودية الرسول صلى الله عليه وسلم لها معنى عظيم ، ومفهوم عميق لأنها مؤيدة لتوحيد الله وحده دون شريك وقد عاش الرسول صلى الله عليه وسلم بين المسلمين كواحد منهم تماما . ولم ولن يفكر أحد من المؤمنين على مدى العصور فى جميع أقطار الدنيا أن يرفعه الى درجة الألوهية وان كان له فى قلوبنا أسمى مكانة . ونطيعه بأمر الله لأنه لا ينطق عن الهوى بل هو وحى يوحى . قال تعالى فى سورة النساء (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) . وهو تكريم كبير من المولى تعالى لحبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم .

ولعلنا لانبعد عن الحقيقة اذا قلنا ان الدين الاسلامى لا يعرف وساطة بين الانسان وربه ، بل هى علاقة مباشرة ، يتقرب المؤمن الى مولاه سبحانه وتعالى بالعمل الصالح بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه . وليس فى شعائر الاسلام وسطاء من رجال دين أو غيرهم (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) . كما أنه لا رهبنة ولا كهانة ولا كهان فى الاسلام . بل ان كل انسان مسئول عن عمله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

والاسلام يربى أهله على التواضع ونبذ الكبرياء فيسجد الانسان على الأرض لله رب العالمين . وجعل الأرض كلها مسجدا وطهورا . كما لا تعرف مساجد المسلمين التماثيل مهما كان شكلها ونوعها ومادتها . ولكنها تعرف الآيات القرآنية الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر .

ويستطيع المسلم (أو المسلمة) اذن اقامة الصلاة فى أى مكان طاهر سواء فى البيت أو المسجد أو الحقل أو فى الصحراء . وحده أو مع غيره ويؤمهم

أكثرهم تفقها فى الدين وحفظا للقرآن الكريم . وكل ما تتطلبه الصلاة : طهارة المكان وطهارة الانسان مع ارتداء مايليق بالوقوف بين يدى الله من ستر العورة مع اقامة الصلوات فى أوقاتها . والعلم الصحيح بها فرضا ونفلا . وأدائها فى خضوع تام للمولى سبحانه وتعالى وغذاء النفس والقلب والعقل بها . قال تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) .

الفصل الثالث

الدعوة الاســلامية

١٦ ــ بداية الدعوة

١٧ ــ أسلوب الدعوة

١٨ ــ الدعوة والسيف

١٩ ــ الجهاد والسيف

٢٠ ــ الهجرة الى الحبشة

٢١ ــ نتائج الهجرة الى الحبشة

٢٢ ــ الاسراء والمعراج

١٦ ـــ بداية الدعوة

أرسل الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للناس كافة بشـــيرا ونذيرا . ولم يشأ النبى الكريم ان يعلن الدعوة بل دعا الى الله فى الخفـــاء لمدة ثلاث سنوات ، حتى صدر له الأمر الالهى باعلان الدعوة ، والسير بهـــا قدما . قال تعالى فى سورة الشعراء (وانذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم) . وفى السنوات الأولى أسلم بعض الأفراد سرا ، وسارت الدعوة بطيئة خشية الاضطهاد والاعتداء .

ولكن بمجرد أن أمر الله سبحانه وتعالى بالجهر بالدعوة قام الرسول عليه الصلاة والسلام فورا ، وذهب الى الكعبة وأعلن للناس أنه نبى هذه الأمة وأنه يدعوهم الى التوحيد وعدم الشرك بالله . فاستمعوا له وثارت ثائرة قريش ، ولم يصبروا حتى يتبينوا مفهوم الدين الجديد ، بل صمموا على المكابرة والعناد ، ثم جمعهم فى يوم من الأيام عند الصفا ، وسألهم رأيهم فيما لو أخبرهم بوجود خيل خلف ذلك الجبل ، فأجابوا بأنه عندهم دائما الصادق الأمين . فأخبرهم بأن الله قد اختاره نبيا ورسولا وأنه يدعوهم الى الصراط المستقيم . فأخذ بعضهم يفكر فى هذا الأمر ، وآخرون أعلنوا العداء والاستياء ، وقام من بينهم عمه أبو لهب بن عبد المطلب غاضبا وقال له (ألهذا جمعتنا . تبا لك) . وصمم على مضايقة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعاونته زوجته (أم جميل) فى وضع القاذورات أمام بيت النبى الكريم أو فى طريقه أو على ملابسه ، فكان يقابل عملهم بحلم جميل واغضاء كريم .

وقد نزل فى حق أبى لهب وامرأته الآيات الكريمة (تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد) . فلما سمعت أم جميل ما نزل فى حقها من القرآن الكريم ، ذهبت الى المسجد لتقذفه بحجر . فرأت أبا بكر فأرغت وأزبدت ، وهددته بأنها جاءت لتعتدى على صديقه محمد بن عبد الله ، ثم عادت أدراجها دون أن تراه مع أنه كان جالسا بجوار أبى بكر ، ولكن الله أعماها عنه فلم تره معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم .

ولم تجد قريش مفرا من الذهاب الى أبى طالب بن عبد المطلب ليحول بين ابن أخيه وبين ما يدعو اليه . قابلوه وعرضوا أن يقدموا لابن أخيه الملك

والمال والجاه اذا كان ذلك هدفه من الدعوة ، أو يقدموا له العلاج اذا كان فى حاجة الى تطبيب ، وألا يأتوا أمرا الا بعد أخذ رأيه ومشورته . فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن قال قولته المشهورة التى اخترقت حجب السماء (يا عم . والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه . ما تركته) . وعندئذ لم يهتم أبو طالب بتهديد قريش له ، وصمم على الوقوف فى وجوههم وحماية ابن أخيه منهم ، وأطلق له حرية التصرف .

فشلت مقابلة قريش لأبى طالب ، وعادوا والقلوب جامحة مهتاجة ، والدماء تغلى فى العروق ، وتجمعوا فيما بينهم ، وضموا اليهم بعض القبائل الأخرى ، واتفقوا على مقاطعة الأشراف الأقوياء الذين دخلوا فى الاسلام ، واضطهاد الضعفاء والعبيد ، والقائهم على الرمال المحرقة ، وقتلهم شر قتلة دون شفقة أو رحمة كلما أمكن ذلك .

ثم أصاخوا السمع الى ما يقول النبى صلى الله عليه وسلم فسمعوا عجبا . واخترقت آذانهم آيات القرآن الكريم فاختلفوا فى وصفها ، وأخذوا رأى المعروفين لديهم بالفصاحة والبلاغة فقالوا انها ليست بشعر أو نثر ، وخدعوا أنفسهم فقالوا مرة انها شعر ومرة أخرى انها سحر ومرة ثالثة انها قول كاهن .

١٧ — أسلوب الدعوة

ان المتتبع لسير الدعوة الاسلامية يرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد اتخذ أساليب مختلفة لتوصيل الدعوة الى أكبر عدد من الناس ، فهو يذهب الى الأسواق ويقابل الحجاج الوافدين الى مكة ، ويستقبل الوفود ، ويذهب الى المناطق المجاورة .

وفى كل مرة يشرح ويقنع ويناقش ويستمع الى الأسئلة الكثيرة بصدر رحب ، حتى ما التى منها بقصد الاحراج أو التعجيز . يمضى عليه الصلاة والسلام فى هذه المقابلات ، الليل والنهار دون كلل أو ملل . ويسمع الزائرين القرآن الكريم تلك المعجزة الخالدة التى أبقاها الله على الأزمان .

لم يعتمد النبى الكريم فى شرحه للدين الحنيف على الغيبيات ، بل كان يقرع الحجة بالحجة ، بلفظ رصين ، ووجه باش باسم،وفكر متقد ، وقلب رحيم . يقابل زائريه بوداعة وتواضع ، فتأخذهم شخصيته الممتازة،ويؤمن الناس عن حب ورضى واقتناع ، حتى أن بعض من حضروا للاعتداء عليه أسلموا بين يديه . ومن هؤلاء عمر بن الخطاب الذى ضرب أخته وزوجها

لاسلامهما بدون علمه . وما كاد يقرأ بضع آيات من سورة طه عند أخته حتى ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن اسلامه : فكان اسلامه قوة للمسلمين رضى الله عنه . ويقرر بعض المستشرقين أن نجاح الاسلام يرجع أساسا الى شخصية النبى صلى الله عليه وسلم وسمو أخلاقه .

استمرت الدعوة الاسلامية على هذه الصورة من الشرح والاقناع من بداية النبوة حتى الهجرة الى المدينة ، أى ثلاثة عشر سنة . ولم يقتصر مجال النشاط النبوى على مكة فقط ، بل قد انتقل بها النبى صلى الله عليه وسلم الى خارجها ، فذهب بنفسه ومعه زيد بن حارثة الى الطائف ليستعين بأهلها من ثقيف على خصومه من قريش ، فقابلوه مقابلة سيئة وحرضوا أولادهم على الاعتداء عليهما . فعادا وقد أنهكهما التعب ، واضطر النبى الكريم أن يستريح بجوار بستان فى الطريق ليلتقط أنفاسه . وقد تألم عليه الصلاة والسلام لما حدث من أهل الطائف ، واتجه بقلبه الى الله سبحانه وتعالى وناجاه قائلا (اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين . وأنت ربى . الى من تكلنى . الى بعيد يتجهمنى . أم الى عدو ملكته أمرى . ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى . ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات . وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة . من أن تنزل بى غضبك . أو يحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة الا بك) .

لجأت قريش وأشياعها الى العنف ، واتفقوا فيما بينهم على مقاطعة بنى عبد المطلب وعلى عدم مصاهرتهم أو الاتجار معهم ، وكتبوا ذلك فى صحيفة وضعوها فى داخل الكعبة ، فاضطر بنو هاشم وبنو عبد المطلب من مسلمين ومشركين الى الالتجاء الى شعب أبى طالب بجوار مكة وعاشوا فى عزلة تامة ، فلا بيع ولا شراء ، واحتملوا حصار قريش ثلاث سنوات ، وكان الطعام يذهب اليهم بالليل سرا من بعض العاطفين عليهم . فتضايقوا فعلا وقاسوا الآلام وشظف العيش فى تلك السنوات .

ولكن عين الله كانت ترعاهم وتسهر عليهم ، فتبدد شمل أعدائهم ، وانفكت عرى أحزابهم ، وخرج من بينهم نفر قد صحت ضمائرهم واستيقظت عقولهم . وأحسوا بخطئهم فى مقاطعة أبناء عمومتهم ، ومحاصرتهم فى شعب أبى طالب مما أثر فى حياتهم ، وأعلنوا عدم رضاهم عن تلك الصحيفة ، وقرروا تمزيقها وأخبروا أبا طالب بذلك . فنقل بدوره النبأ الى ابن أخيه فقال له عليه الصلاة والسلام (أن الصحيفة قد أكلتها الارضة) (العتة) ولم يبق منها آلا (باسمك اللهم) فلما تناولوها من مكانها داخل الكعبة وجدوا ما أخبر به الرسول الكريم عنها حقا وصدقا . واهتدى بعضهم الى الايمان بالله وبرسوله ، وعاد بنو

هاشم وبنو عبد المطلب الى ديارهم بعد حنين وشوق لها ، وعادت المياه الى مجاريها ، وسارت الدعوة فى طريقها (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) .

١٨ — الدعوة والسيف

لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قوى الحجة ، مقداما شجاعا فى الحق ، لم ترهبه عداوة قريش ، ولم يثنه عن دعوته بأسلوبه الهادىء الكريم ما كان يلقى منهم ومن غيرهم من ايذاء لشخصه أو للمسلمين ، واستمر على ذلك حتى الهجرة الى يثرب (المدينة) . فأخذ عدد المؤمنين يزداد يوما بعد يوم ، ويتقلص الشرك مع طلوع كل شمس ، وينحسر المشركون عن شاطىء السلام ليلة بعد ليلة ، لم يروا فى يدى الرسول سيفا أو رمحا ، بل رأوا عقلا قويا وحجة ناصعة وقلبا رحيما . (وانك لعلى خلق عظيم) .

ولكن أعداء الاسلام من مستشرقين وغيرهم ، قد أطلقوا لخيالهم العنان ، وتوهموا خرافة رددوها ثم صدقوها لأنهم لم يجدوا من يصدقها حيث ادعوا كذبا أن الاسلام قد انتشر بقوة السيف .

— فأين كان السيف حين بدأت الدعوة سرا لمدة ثلاث سنوات ؟

— وأين كان السيف حين جهر بالدعوة لعشيرته الأقربين فتقدموا له بالملك والمال والجاه ؟

— وأين كان السيف حين أقام مع بنى عبد المطلب فى شعب ابى طالب واحتملوا شظف العيش ؟

— وأين كان السيف حين ذهب الى الطائف يدعو ثقيفا لنصرته فخذلته واعتدت عليه ؟

— وأين كان السيف حين كان يقابل الوفود فى الأسواق أو فى دار الأرقم ابن الأرقم ؟ .

— وأين كان السيف حين قابل عند العقبة بمنى وفود يثرب من الأوس والخروج فى سنتين متتاليتين وأسلموا بين يديه ، وطلبوا منه هجرته اليهم لحمايته من المشركين ؟

— وأين كان السيف حين انتشر الاسلام فى يثرب قبل أن يهاجر اليها ؟

— وأين كان السيف حين هاجر المسلمون الى الحبشة مرتين ، فأحسنت استقبالهم وردت أعداءهم ؟

ــ وأين كان السيف حين استقبله الأنصار والمهاجرون على أبواب يثرب بالتهليل والتكبير ؟

ــ وأين كان السيف حين استقر به المقام بالمدينة وأخذ ينظم المجتمع الجديد ؟

ــ وأين كان السيف يوم الحديبية وقد خرج فى أصحابه معتمرا ؟

ــ وأين كان السيف حين أرسل رسله يحملون كتبه الى الملوك والرؤساء ، فاستجاب بعضهم لدعوته . وأرسل آخرون ردا كريما مقرونا بالهدايا والاحترام ؟

ــ وأين كان السيف حين أسلم النجاشى (ملك الحبشة) وكثير من قومه ، وصلى عليه النبى الكريم عندما علم بوفاته صلاة الغائب .

ــ وأين كان السيف حين أحاط المشركون ببيته فى مكة وقد عزموا على قتله بشباب العرب مجتمعين ليتفرق دمه بين القبائل . فيخرج عليهم ويمشى بينهم ، ويضع التراب بيديه على رءوسهم ويتلو قول الله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدا . ومن خلفهم سدا . فاغشيناهم فهو لا يبصرون) .

وهذا كله كفيل بهدم ادعاء الأعداء والقضاء على خيالهم السقيم . ان نظرة يسيرة عادلة الى خريطة العالم ترينا أمما اسلامية فى شرقها وغربها يبلغ تعدادها ربع سكان الدنيا آمنت بالعقيدة دون أن يجرد عليهم أحد سيفا .

١٩ ــ الجهاد والسيف

ان السيف الذى يتحدثون عنه ، قد لمعت أضواؤه ، وظهر سناه ، فى أيدى صناديد الاسلام مثل حمزة بن عبد المطلب ، على بن أبى طالب ، جعفر بن أبى طالب ، زيد بن حارثة وابنه أسامة وغيرهم لرد جحافل الأعداء ، والقضاء على المنافقين الذين كانوا يعلنون الاسلام بألسنتهم نهارا ، حتى اذا ما لقوا المشركين ليلا قالوا لهم انهم معهم .

وقد بلغت الجراة بهم الى حد تعريض جيش المسلمين لخطر الهزيمة ، بانسحابهم من المعركة بدون سبب حقيقى ، مثل ما كان يفعل عبد الله بن أبى ابن سلول انتقاما لنفسه لأنه فقد الزعامة والرئاسة التى كان على وشك الظفر بها عند دخول الاسلام فى يثرب ، ثم قتل جزاءا وفاقا .

ان النبى صلى اله عليه وسلم لم يتخذ السيف سبيلا لنشر الدعوة الاسلامية . بل دفاعا عن النفس ، والذود عن المؤمنين ، وحماية من دخلوا فى عقده وعهده ولو كانوا من المشركين . ان الله تعالى كان يخبره بمؤامرات أعدائه ، ويكشف له ما يجول فى صدورهم من غل وحقد ، وما يديرون بليل من شرور وآثام . وقد رأينا (فيما سبق) مواقف كثيرة كانت تحتاج الى السيف والى القوة ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك . لقد قام رجل من المشركين فى الكعبة وأمسك بخناق النبى صلى الله عليه وسلم يريد قتله . وانضم اليه بعض المشركين ، ولم ينقذه الا بكاء أبى بكر الصديق اذ نهض واقفا وقال (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله) . فخلوا عنه وتركوه .

وتدور الأيام ، وينتصر النبى صلى الله عليه وسلم ويدخل مكة عنوة ، فيتوقع أهلها الذين آذوه وطردوه منها وحاربوه أن يثأر منهم لنفسه وينزل بهم العقاب . ولكنه بسماحة تفوق الوصف يقول لهم (اذهبوا فأنتم الطلقاء) . ولم تعرف نفسه الطاهرة الزهو والخيلاء التى تصاحب الفاتحين المنتصرين .

ومن أمثلة الغدر والخيانة ما حدث من أحد الوفود التى حضرت عند النبى صلى الله عليه وسلم وادعوا الاسلام ، وطلبوا منه أن يرسل معهم من يرشدهم ويفقهم فى الدين ، فأرسل معهم بعض الصحابة وساروا معهم ، ولكنهم غدروا بأصحابه الكرام وقتلوهم بدون سبب . فهل يقف المسلمون مكتوفى الأيدى أمام هذه الخيانة . انهم لم يقبلوا هذا الضيم وهم الأباة ، فقاموا يدافعون عن كرامتهم ، ويسرعون الى مهاجمة أعدائهم فى عقر دارهم حتى أنزلوا بهم الهزيمة النكراء جزاء لمن عاشوا فى الأرض فساداً .

وأمثلة نقض العهد كثيرة منها ما قامت به قريش من نقض صلح الحديبية . فلما دارت عليهم الدائرة وأحسوا بقوة المسلمين ، تقدموا للنبى صلى الله عليه وسلم راجين تجديد الصلح وأطالة مدته.ومنها أيضا مافعلهيهودالمدينة وقد كتبوا عهدا وميثاقا مع الرسول الكريم بعدم الاعتداء ، والدفاع عن المدينة والاسهام فى التكاليف اللازمة . فوافق النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك ، وسمح لهم بحرية العقيدة ولم يأخذ منهم مالا أو جزية ، بل اشترط عليهم عدم الانضمام الى الأعداء أو ايواء أحد منهم فى دورهم . ولكن نفوسهم الدنيئة التى تربت فى الظلام والتى اعتادت الخيانة قد انحازت الى العدو غدرا وقت الشدة وفى أثناء المعركة خشية ازدياد قوة الاسلام . فكان لابد من محاصرة اليهود والقضاء عليهم والاستيلاء على أموالهم واجلائهم عن المدينة .

ماذا يفعل النبى صلى الله عليه وسلم مع مسلوبى الضمائر والمخادعين والمنافقين وغيرهم . وقد صبر عليهم طويلا ، وأعطاهم فرصا كثيرة للتوبة

والندم ولكنهم عاشوا حياتهم آثمين ، وظنوا أن الرياح ستجرى يوما فى صالحهم ولكن الله القدير العادل قد جعل الرياح ضدهم ، تقلب قدورهم ، وتهدم خيامهم ، وتفت فى عضدهم ، وتحل أحزابهم ، ففروا شراذم متفرقة الى ديارهم صاغرين .

اننا لا ندافع عن استعمال السيف حين تطلب الأمر ذلك . ولن ندافع عن الغزوات التى تمت للاسباب السابقة . (وسيأتى الكلام عنها مفصلا) . ولن نخفى السيف البتار الذى يتحدث عنه بعض المستشرقين وغيرهم ظلما وعدوانا . ولكننا ننقل لأبنائنا ولغيرهم ما سجله التاريخ الصادق ، من أن الاســلام عقيدة انتشرت فى الجزيرة العربيــة بالرأى الحر ، وفى الدول والأمصار بالايمان السلمى عن اعجاب بالاسلام وتعاليمه وفضائله .

الا سحقا لقوم يضيع الحق بينهم ، ويسف العلم عند علمائهم ، فيدعون الأباطيل وهم يعلمون أنها أباطيل ، ولكنهم يكابرون للعداوة ، أو الشهرة الكاذبة ، وادعاء العلم والاستشراق ، وسيرد الله كيدهم الى نحرهم . وسنتركهم بعد ما قدمنا من بيانات دامغة وحقائق ناصعة فى غيهم يعمهون .

انها دعوة السلام الى الاسلام ، ودعوة الجهاد من أجل انتصار الحق . ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولكنها الحكمة الالهية صاحبة الأمر أولا وأخيرا . له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . قال تعالى (قل هذه سبيلى أدعو الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) . لقد أعز الله نبيه الكريم ، وأحاطه برعايته ، ونصره نصرا مبينا ، وارتفعت راية الاسلام عالية خفاقة فى الجزيرة وخارجها .

وبذلك الأسلوب القائم على الهداية والارشاد ، تكونت دولة اسلامية شامخة وهى لا تزال مطردة النمو فى الآفاق ، تستمد أصولها وقوتها من عهد النبى صلى الله عليه وسلم . لقد اكتملت لهذه الدولة الجديدة كل عناصر مقوماتها فى حياته عليه الصلاة والسلام . انه النبى المتواضع الذى تتورم قدماه من كثرة الصلاة ، وينام على حشية من ليف ويقنع بكسرة من خبز وماء وملح . ولا يستطيع أن يقدم لزوجاته ما هن فى حاجة اليه مثل سائر الزوجات ، وانه ليغضب حين رأى أساور من ذهب فى معصم ابنته فاطمة فتسرع بارسالها الى بيت المال . حياة سلام وايمان . حياة قوامها العبادة والتقــوى ، وأن نقنع من الدنيا بنصيبنا الصالح . بهذه الســبل الشريفة والمبادىء السليمة ، وليس بالسيف أو القوة أو الارهاب ، قام الاسلام وتوطدت أركانه وسما بنيانه .

اننى أومن بأن العالم بأسره سيتحول الى الاسلام ان عاجلا أو آجلا اذا نظر غير المسلمين للاسلام نظرة سليمة. وهذا يتوقف على سلوك المسلمين وقيامهم بواجباتهم الدينية بصدق وأمانة ليكونوا أمثلة تحتذى. فالدين سلوك انسانى قبل أن يكون صحائف تقرأ.

٢٠ ــ الهجرة الى الحبشة

(أ) الهجرة الأولى:

عندما ضاق الخناق على المسلمين، واشتد اضطهاد قريش لهم، أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة عند ملك نصرانى أحسن استقبالهم، فاستطاعوا العيش فى كنفه فى أمن واطمئنان وذلك فى السنة الخامسة للنبوة. فهاجر تسعة رجال وأخذ بعضهم زوجاتهم معهم وهم:

١ ــ عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ ــ أبو حذيفة بن عتبة ومعه زوجته (سهلة بنت سهيل). أنجبت هناك ابنهما محمدا.

٣ ــ عبد الله بن عبد الأسد (ابن برة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم) ومعه زوجته هند بنت أبى أمية. وأنجبت هناك ابنهما (سلمة).

٤ ــ عامر بن ربيعة ومعه زوجته ليلى بنت أبى حثمة.

٥ ــ الزبير بن العوام (ابن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

٦ ــ مصعب بن عمير.

٧ ــ عبد الرحمن بن عوف.

٨ ــ عثمان بن مظعون (كان رئيسا لهذه المجموعة من المهاجرين).

٩ ــ أبو سبرة أبى رهم.

هؤلاء هم المهاجرون الأوائل الى الحبشة الذين وجدوا من النجاشى كل اعزاز واكرام، وقاموا بواجباتهم الدينية على خير وجه فى أمن وسلام. ثم تتابع المهاجرون من المسلمين الى الحبشة، وقد عاد بعضهم بعد فترة قصيرة.

(ب) الهجرة الثانية:

فى السنة السابعة للنبوة عندما اضطر النبى صلى الله عليه وسلم الى أن يدخل فى شعب أبى طالب ومعه أهله من بنى هاشم وبنى عبد المطلب، أمر

باقى المسلمين بالهجرة الى الحبشة أيضا ، فهاجروا اليها وكان من ضمنهم جعفر بن أبى طالب وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم .

فلما رأت قريش أن المسلمين قد استقروا بالحبشة ، وعاشوا بها فى أمن واطمئنان ، غضبت وتضايقت وأرسلت فى اثرهم عمرو بن العاص بن وائل ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، ومعهما هدايا كثيرة للنجاشى ليطلبا منه اعادة المسلمين الى بلادهم ، وعدم السماح لهم بالاقامة عنده فناقشهما فى رسالتهما ثم استمع الى جعفر بن أبى طالب عن المسيح عليه السلام ، كما سمع منه بعض الآيات من القرآن الكريم فى هذا الشأن وغيره ، فاستنار النجاشى وعرف كيد قريش فلم يستجب الى ابن العاص وزميله ، وردهما خائبين .

وذات يوم أشيع بين المهاجرين أن قريشا كفت يدها عن ايذاء المسلمين ، فتقدموا الى النجاشى شاكرين حسن استقباله وكرم ضيافته واستأذنوا فى العودة الى بلادهم . فأمر النجاشى باعداد سفينتين لعودتهم سالمين . ولكن لما وصلوا الى مكة علموا بأن النبأ لم يكن صحيحا وأن قريشا لا تزال على العهد من التعنت والايذاء . فنزل كل منهم فى جوار أحد الناس لحمايته . فاستجار عثمان بن مظعون بالوليد بن المغيرة ، ثم رد عليه جواره ليستجير بالله وحده ، وذهبا معا الى الكعبة وأعلنا للناس ذلك . وأثناء ذلك قام أحد الأشخاص واعتدى على عثمان بن مظعون وأصاب عينه . فتقدم منه الوليد ابن المغيرة وعرض عليه أن يجيره مرة أخرى فرفض راضيا بحكم الله ولو ضاعت عينه الثانية . وهذا مثل من الايمان نسوقه لشبابنا ليعلموا أن التضحية فى سبيل الله أسمى ما يطمح اليه الانسان المؤمن . فعثمان بن مظعون يحتمل الهجرة ومتاعبها ، ويحتمل اصابة عينه وآلامها احتفاظا بدينه وعقيدته .

هؤلاء المسلمون الأوائل قد شقوا لنا طريق التضحية واحتمال العذاب والآلام فى سبيل الله والحفاظ على عقيدة الاسلام .

ونزل أبو سلمة فى جوار خاله أبى طالب بن عبد المطلب . فتقدمت قريش من أبى طالب وطلبت منه تسليم ابن أخته لهم ، فامتنع كما سبق له أن امتنع من قبل عن ترك ابن أخيه المصطفى عليه الصلاة والسلام لعداوتهم وايذائهم .

٢١ — نتائج الهجرة الى الحبشة :

لقد حققت الهجرة الى الحبشة أهدافها ، اذ ضمنت للمسلمين العيش فى أمن وسلام لمدة سنوات بعيدا عن ايذاء قريش . وقويت بين المهاجرين أواصر المودة ، وربط الاسلام بين قلوبهم بقوة كان لها أثرها فى دفاعهم عنه بعد عودتهم الى بلادهم .

وتدلنا حياتهم فى الحبشة على التسامح الدينى بين الاسلام والمسيحية . فقد عاش المهاجرون جنبا الى جنب مع النصارى فى ألفة واحترام متبادل . وقد حدث أن قامت حرب بين النجاشى وآخرين ، فأخذ المسلمون يدعون له بالنصر على عدوه ، فأراد أن يعبر لهم عن شكره وامتنانه ، فأعد لهم سفينة وطلب منهم النجاة بها اذا هزم أو قتل . ولكنه انتصر . هذا الدعاء من المسلمين له فى وقت المحنة والشدة يدل على التقدير الكبير لحسن معاملته لهم ، ويدل على التعاطف الصادق بالرغم من اختلاف الدين واللون والجنس .

والهجرة الى الحبشة من جانب آخر دلت على بعد نظر النبى صلى الله عليه وسلم ، ودقة التخطيط لمستقبل الاسلام ، والحفاظ على المؤمنين الأوائل الذين آمنوا بلا تردد ، ليكونوا نواة الهداية والارشاد فى كل مكان .

وللهجرة معنى اجتماعى عظيم . يدل على أن الانسان العاقل لا يقبل الظلم ويعيش خاضعا له ، خافض الرأس ، كسير القلب ، يائسا ذليلا . وأرض الله واسعة لمن يسعى طلبا للعدالة والحرية . قال تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) .

ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة . ولم يقبل للمؤمنين ذلا ولا عبودية ، ولم يقبل لهم ظلما أو اضطهادا حتى من قومه وعشيرته . وقد تحلوا فى هجرتهم بالشجاعة والاقدام ، فقد هان على المهاجرين والمهاجرات ركوب الأخطار ، والتعرض للأهوال ، والانتقال فى سفن بدائية لاجتياز البحر الأحمر من الجزيرة العربية الى ساحل الحبشة دون ترتيب سابق بل تصدوا لمستقبل مجهول .

يكفى أن نتخيل أربع سيدات مؤمنات مهاجرات فى سبيل الله على هذه الصورة ، وقد تركن الأهل والدار والوطن وهو أمر ليس بالهين أو اليسير . ولم يدفعهن الى الهجرة الا الايمان بالله والطمع فى مثوبته ومغفرته . ولا نغالى اذا قلنا انه من العسير على النساء فى وقتنا الحاضر القيام بمثل هذه المخاطرة، بالرغم من التطور الفكرى والحضارى وتقدم وسائل النقل .

فالهجرة الى الحبشة فى ذلك الوقت لم تكن مجرد فسحة فى قارب ، أو رحلة جماعية للسياحة والنزهة ، والاستمتاع بأسماك القرش والجزر المرجانية فى البحر الأحمر ، ثم التمتع بالمناظر الطبيعية فى جبال الحبشة . انها لم تكن كذلك . بل كانت أول رحلة اسلامية تواجه المخاطر بقلوب صادقة ، وقد رسم لنا أسلافنا المهاجرون طريق الجهاد فى سبيل الله تعالى .

وقد كانت هجرة مؤقتة لم يقصدوا بها ترك الأوطان الى الأبد فى سبيل كسب المال والثروة والغنى وبناء قصور حولها الحدائق . وركوب السيارات

من مختلف الأنواع والأحجام ، انما كانت حماية للدين ودفاعا عن العقيدة .
وكانت موقوتة بفترة تهدأ فيها عاصفة قريش الهوجاء ، ثم يعودون الى اهليهم وأحبابهم المسلمين رافعى الرءوس ، منتصرين لدين الله حبا فى الله .

وانى لأرجو الا يمر الناس والشباب بالهجرة الى الحبشة مرور الكرام ، دون الوقوف عندها بفهم عميق ، لاستجلاء معانيها وأهدافها ، والتعرف على نتائجها وآثارها الدينية ، وقيمها الأخلاقية والاجتماعية . فلا نقرأها فى كتب السير أو التاريخ على أنها حادث عابر ، أو سطور منقوشة على ورق . ان من يقرأ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، والدين الحنيف من مختلف زواياه والكتب الصادقة المتصلة به ، يجب أن يقرأ بعقله وقلبه ووجدانه ، ليقف على الحقائق فى جلاء ووضوح ، وأن يتأنى فى القراءة لترتبط المعانى ، وتكتمل الصورة فى الذهن الواعى بأعماقها المجيدة التى يتيه بها المسلمون على الناس أجمعين .

٢٢ — الاسراء والمعراج

(أ) الاسراء :

سبحان الله القادر . له ما فى السموات وما فى الأرض . خلقها بقدرته « انما أمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون) . ان هذه القدرة لا تناقش ولا تحاسب ، لأنه من العبث الوصول الى كنهها وماهيتها . اننا نؤمن بها ايمانا صادقا . قال تعالى (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم . بلى وهو الخلاق العليم) .

وقد تجلت ارادة الله فى أمر يتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم . لم ولن يحدث مثله لأى انسان آخر . فهذا امتياز خاص لنبيه وحبيبه وأشرف خلقه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . واختبار للقلوب المؤمنة لتثبت على ايمانها ، وتزداد حبا لله ويقينا به .

فقد تحدث النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم الى أصحابه بأنه قد أسرى به فى الليلة السابقة من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى فى بيت المقدس حيث صلى اماما بالانبياء . ووصفهم ووصف بيت المقدس وصفا دقيقا ، ثم ذكر ما رأى فى الطريق الذى سلكه فى هذه الرحلة .

ولما بلغ النبأ أبا بكر وهو فى بيته صدقه فى الحال بدون تردد ، كما سبق له أن أسلم بدون تردد . وقام مسرعا الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ،

وقابله وسمع منه ما حدث من تشريف واكرام من الله عز وجـــل . فقال أبو بكر (صدقت يا رسول الله) . فقال له النبى الكريم (وأنت يا أبا بكر « الصديق ») فعرف بهذا الاسم منذ ذلك الوقت .

ولقد كان الاسراء فى الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب من السنة الحادية عشرة للنبوة . ويحتفل بذكراها العطرة المسلمون فى كل أنحاء الدنيا . فهى علم عليهم ، وتشريف لهم من رب العالمين . قال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) .

(ب) المعراج :

بعد أن قام النبى صلى الله عليه وسلم بالصلاة اماما للانبياء فى بيت المقدس صافحهم وحياهم . وعند خروجه من بيت المقدس زاده الله اكراما وتشريفا فقد وجد البراق فى انتظاره . وأشار اليه جبريل عليه السلام أن يركب لأنها مطية مأمورة بحمله ، فركب البراق وصعد الى السموات العلى . حيث كانت تستقبله الملائكة بالبشر والترحاب ، وتسير معه ثم تقف عند حدودها لا تتعداها ، ثم يلقاه ملائكة آخرون يسيرون معه الى حدودهم ، وهكذا الى أن تركوه وحيدا عند حد معين لم يستطيعوا أن يتجاوزوه معه .

واستمر النبى صلى الله عليه وسلم فى الصعود حتى بلغ مكانة لم تبلغها الملائكة الأطهار ، فقد بلغ سدرة المنتهى . وفى هذه الرحلة المباركة حددت الصلاة بخمسين مرة فى اليوم والليلة . ثم تفضل المولى سبحانه وتعالى ، واستجاب لرجاء النبى الكريم وجعلها خمس مرات فقط بصورتها الحالية (وثوابها خمسون) . ولذلك تفاخر الصلاة بأنها قد فرضت فى السماء دون بقية الفرائض التى فرضت فى الأرض .

(جـ) تعقيب وايمـــان :

لقد قيل كلام كثير حول الاسراء والمعراج . هل تم ذلك بالروح والجســـد أم بالروح فقط ؟ أم هى رؤيا صالحة ؟

والذين قالوا انهما كانا بالروح استندوا الى قول السيدة / عائشة زوجة النبى عليه الصلاة والسلام (ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن الله أسرى بروحه) . والذين قالوا ان الاسراء والمعراج كانا بالجسم والروح استدلوا بتكذيب كفار مكة بل وارتداد بعض من كان قد آمن ، ولو كانوا قد سمعوا بأنها رؤيا منامية ما كذبوا ولا تعجبوا ، ولما تحدوا النبى صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس .

وقول الله تعالى فى شأن الاسراء (سبحان الذى أسرى بعبده) يفيد أن أمرا خارقا قد وقع بقدرته تعالى ، وهو ما يفيد أن الاسراء والمعراج كانا بالجسد والروح ، وقد قال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى (والنجم اذا هوى) أن النجم مشار به الى جدنا صلى الله عليه وسلم حين هبط الى الأرض بعد المعراج ، ولا حرج على فضل الله فاننا نؤمن ايمانا راسخا بالقدرة الالهية .

آمن بها الصحابة والمؤمنون . ومن واجب المسلمين جميعا الايمان بذلك ، فما عرف عن الرسول الكريم فى كل حياته الا الصدق . وقد ســـاق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مكة دليلا على صدقه فأخبرهم ببعض العير التى كانت فى الطريق ورآها فى عودته واخبرهم بعلاماتها وبوقت وصولها مكة فصدق الله ماقال ولكنهم لم يؤمنوا بل ازدادوا كفرا . ونحن لسنا فى حاجة الى مثل هذا الدليل المادى للتصديق بالاسراء . فالاسراء والمعراج آيتان بينتان لكل ذى عقل سليم وقلب ذى يقين .

اننا نؤمن بالملائكة ولا نراهم . ونؤمن بالجن ولا نعيش معهم . ولذلك يجب الا يتوقف الدين على الآراء المادية التى لا تعترف الا بالمحسوسات ، لأن الدين حصن . مقره القلب . وسياجه (لا اله الا الله) . ومفتاحه (محمد رسول الله) . قال تعالى (الا بذكر الله تطمئن القلوب) .

الفصل الرابع

الهجرة النبوية الشريفة الى المدينة

٢٣ ــ الأمر الالهى بالهجرة .

٢٤ ــ الهجرة النبوية .

٢٥ ــ الحياة فى المدينة .

٢٦ ــ الدعوة الاسلامية بالمدنية .

٢٧ ــ المشركون واليهود بالمدينة .

٢٨ ــ دعوة الملوك والرؤساء الى الاسلام .

٢٣ ـ الأمر الالهى بالهجـرة

(أ) يثرب :

مدينة آهلة بالسكان فى الطريق بين مكة والشام ، تحيط بها زراعات وبساتين ، ويقطنها الأوس والخزرج واليهود . وقد سبق للنبى صلى الله عليه وسلم أن زارها وهو فى سن السادسة مع أمه لزيارة أخواله بنى النجار . وفيها قبر أبيه وبجوارها دفنت أمه حين ماتت وهى عائدة الى مكة من تلك الزيارة .

وقد رأينا فى الفصول السابقة أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بدأ فى نشر الدعوة خارج مكة ، وأنه اتخذ أسلوبا حكيما للحفاظ على المسلمين الأوائل ، فأرسلهم الى الحبشة حيث الأمن والاطمئنان . فلما زاد عدد المسلمين أمرهم بالهجرة من مكة الى يثرب . فذهبوا اليها فى سكون وسكينة حتى لا يثيروا قريشا ضدهم . وقد سميت يثرب المدينة كما سميت طيبة .

(ب) ـ وفد الأوس والخزرج :

فى السنة الحادية عشر للنبوة حضر الى مكة وفد من يثرب به خمسة من الأوس وواحد من الخزرج ، وقابلوا النبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة وأعلنوا اسلامهم ، وبايعوه ووعدوه بالعودة فى الموسم التالى للحج . ولما رجعوا الى المدينة تحدثوا عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام .

وقد بروا بوعدهم وحضر اثنا عشر رجلا من الأوس والخزرج (من بينهم خمسة من الأوس ممن حضروا فى السنة السابقة) وأسلموا . ثم بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه الانتقال الى بلدتهم ووعدوه بنصرتهم له ، وبأنهم لن يخذلوه أبدا . وقد حضر هذه البيعة عمه العباس بن عبد المطلب ليطمئن على صدق قولهم ، وعلىقدرتهم فى الدفاع عنه صلى الله عليه وسلم .

(ﻫ) قريش والهجرة :

هاجر جميع المسلمين الى يثرب . وذهبوا اليها أرسالا بأمر من النبى صلى الله عليه وسلم . ولم يبق معه بمكة الا أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب . وعندما علمت قريش بهجرة المسلمين الى يثرب توقعوا هجرته عليه الصلاة والسلام ليلحق بهم هناك.فشددوا الرقابة عليه ورأوا أن أيسر طريقة للتخلص منه أن يقتلوه . ثم أخذوا يدبرون أمر قتله ، واتفقوا على اختيار رجل من كل قبيلة ، وأن يضربوه ضربة واحدة بسيوفهم فيتفرق دمه بين القبائل ، فلا يستطيع بنو عبد مناف الثأر منهم .

وفعلا ذهبوا الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم وأحاطوا به فى انتظار اللحظة المناسبة لقتله . ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر الرسول الكريم بنبئهم ، وأمره بالهجرة فى هذه الليلة وأن يترك فراشه لابن عمه على بن أبى طالب لينام فيه بدلا منه .

خرج النبى صلى الله عليه وسلم من البيت ليلا ، وهم وقوف حوله بسيوفهم ، وأخذ حفنة من تراب ووضعها بيديه فوق رءوسهم ، وهو يتلو سورة يس الى قوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا . فأغشيناهم فهم لا يبصرون) . وذهب خفية الى بيت أبى بكر وأخبره بأن الله سبحانه وتعالى قد أمره بالهجرة الى يثرب . فأخذ أبو بكر يتطلع الى وجه المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ليطمئن على صحبته له . فوعده الرسول الكريم بذلك فتهللت أساريره بالفرح والسرور .

وأما شباب قريش فدخلوا فى الصباح بيت النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن طال وقوفهم حوله ليلا ، فلم يجدوا الا عليا وعليه بردة المصطفى عليه الصلاة والسلام . فأسقط فى أيديهم ووجدوا التراب على رءوسهم ، وعادوا الى قريش مخذولين .

٢٤ ـ الهجرة النبوية

(أ) الاعـــداد للهجرة :

قام أبو بكر الصديق بتدبير ما يلزم لهذه الرحلة الميمونة من خدم وابل ومؤن ومال . ثم خرجا معا من منزل أبى بكر فى طريقهما للهجرة الى يثرب . ولكنهما أرادا تضليل قريش فاتجها الى جنوب مكة بدلا من شمالها ، حتى وصلا الى غار بجبل ثور . فدخله أبو بكر أولا ليطمئن على عدم وجـــود حشرات به . ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختبآ فيه لمدة ثلاثة أيام بلياليها .

وأثناء وجودهما فى الغار نام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسند رأسه على فخذ أبى بكر . وبعد فترة أحس أبو بكر بعقرب يلدغه فى قدمه وأخذ السم يسرى فى ساقه ، فاحتمل الألم ولم يشأ أن يوقظ النبى الكريم من نومه لشدة تعبه منذ خرج من بيته حتى وصل الى الغار . ولكن جسم أبى بكر قد تحرك واهتز من شدة الألم . فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم من سباته ، وعلم بما حدث لأبى بكر ، فمد يده الى موضع الاصابة وتفل عليه ودعا الله سبحانه وتعالى ، فشفى أبو بكر بفضل الله . وبفضل حبه وتفانيه لرسول الله .

وأما قريش فقد طار صوابها ، وأخذت تبحث عنهما فى كل مكان . لدرجة أن بعض رجالها قد وصلوا الى هذا الغار ، وتطلعوا نحوه فوجدوا على فوهته بيض حمام ونسيج عنكبوت . فأيقنوا أنه لا يوجد بداخله أحد . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدخل الاطمئنان على قلب أبى بكر ويقول له (لا تحزن ان الله معنا) . قال تعالى فى سورة التوبة (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فأنزل سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم) .

استمرت قريش فى البحث عنهما وأعلنت عن جائزة مائة ناقة لمن يهتدى الى مكانهما . فأخذ شبابها يتسابقون للفوز بها . وكان أكثرهم رغبة فى الجائزة وأشدهم طمعا فى الحصول عليها (سراقة بن مالك) . فركب فرسه وتتبع آثار أقدامهما ، وكاد ينجح لولا أن الله خيب ظنونه ، ووقع عن فرسه مرارا . وعاد بخفى حنين .

(ب) — طريق الهجرة :

وفى الليلة الرابعة خرج من الغار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه أبو بكر الصديق ، وركبا راحلتين أحضرهما (عامر بن فهيرة) مولى أبى بكر . وقد هاجر معهما ليقوم بخدمتهما أثناء الرحلة . وأما دليلهما على الطريق فكان (عبد الله بن أرقط) . وكان عبد الله بن أبى بكر يتحسس أخبار قريش ، ويخبرهما بها فى الغار . وقبل الرحيل حضرت أسماء بنت أبى بكر وحملت اليهما الزاد اللازم للسفر . ولكنها لم تجد ما تعلقه به فى الراحلة ، فحلت نطاقها وشقته نصفين ، فسميت بذات النطاقين .

وكان خروجهم من الغار يوم الاثنين غرة ربيع الأول من السنة الثالثة عشرة للنبوة . وساروا فى دروب وعرة بالقرب من الساحل . وبعد ثمانية أيام وصلوا الى قباء بالقرب من يثرب يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول ، وأقاموا بها عند بنى عمرو بن عوف أربعة أيام حتى يوم الخميس . وأثناء الاقامة بها أسس النبى صلى الله عليه وسلم فيها أول مسجد فى الاسلام . وقد لحق به هناك على بن أبى طالب بعد أن أقام فىمكة ثلاثة أيام،أعاد فيها الودائع التى كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابها . قال تعالى فى القرآنالكريم عن مسجد قباء (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين) .
وفى الطريق من قباء الى يثرب حان وقت صلاة الجمعة بأرض بنى سالم ابن عوف ، فصلاها النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه . فكانت أول جمعة صلاها بالقرب من المدينة .

(جـ) الوصول الى يثرب :

وأما المسلمون بيثرب من مهاجرين وأنصار فقد زاد شوقهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتظروه ليلا ونهارا على أبوابها . فلما أهل الركب الشريف خرج الناس جميعا رجالا ونساء وأطفالا يستقبلون النبى الكريم بالتكبير والدعاء ، وبفرحة غامرة لم يعرف لها مثيل . رددوا جميعا .

طلـع البـدر علينـا	من ثنيـات الـوداع
وجب الشـكر علينـا	مـا دعـا لله داع
أيهـا المبعوث فينـا	جئت بالأمـر المطـاع

كلام بسيط لا تكلف فيه ، ولكنه صادر من قلوب مؤمنة . لم يدخل المدينة دخول الغزاة رافعا سيفا ، ولا دخول القادة وراءه جيشه ، ولا دخول ملك على عدوه ظافرا ، ولأرضه مستعمرا . انه دخول الحبيب الهادى الأمين الى أحبابه من المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأهلهم وأموالهم ومتاعهم وراء ظهورهم فى مكة . والى أحبابه من الأنصار الذين آمنوا به وأحبوه ، ودعوه الى بلدتهم الوادعة ، واستضافوا كل المهاجرين ، وانزلوهم من انفسـهم أكرم مكانة .

٢٥ ــ الحيـاة فى المدينـة

(أ) المديـنة :

من حقها أن تباهى المدائن والقرى ، وأن تفاخر بما أضفى الله عليها من خير وبركة ، بانتقال النبى صلى الله عليه وسلم اليها ، تاركا قومه وعشيرته ، مهاجرا فى سبيل الله ونشر دينه القويم . لقد تحولت (يثرب) الى اسمها الجديد (المدينة) منـذ شرفها المصطفى عليه الصلاة والسـلام بقدومه ، واتخذها مقاما له ، ومقرا لدعوته ، ومنزلا رحبا للمؤمنين .

ان المدينة تستطيع أن تكون منافسا قويا لمكة ، وخاصة فى التجارة بعد أن أصبحت مقصد الوفود ، ومهبط الوحى الأمين . بل انها تستطيع أن تسيطر على تجارة قريش فى رحلتها الى الشام ، وفى ايابها منها ، فضلا عما تمتاز به من زراعات وبساتين وجو معتدل .

ومن أهم مزاياها أن الأوس والخزرج كانتا تتنافسان فى الترحيب به ، ونشر الدين الاسلامى فى أنحاء المدينة حتى أصبح حديث كل بيت . واذا قامت احدى القبيلتين بخير ، أسرعت الأخرى بعمل مثله أو أكثر . (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) .

ان اقبالهما على الخير والتنافس فيه لصالح الاسلام ، لم يكن محل مظنة أنهما قصدا السيطرة والنفوذ والسلطان ، لأنهما أهل ايمان . وقد انتهت الحروب التى كانت تنشب بينهما منذ دخلا الاسلام : فقد حبب اليهما السلام ، وحل الوئام محل الخصام .

(ب) الاقامة بالمدينة :

دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة راكبا ناقته (القصواء) يحيط بها المسلمون من كل جانب . حاولت كل أسرة أن تمسك بخطام الناقة أثناء سيرها ليكون لها شرف نزول المصطفى عليه الصلاة والسلام عندها . فكان يشير اليهم أن يتركوها وشأنها . فسارت على بركة الله ، حتى بركت فى أرض فضاء لغلامين يتيمين من بنى النجار (أخوال الرسول صلى الله عليه وسلم) ، بالقرب من بيت أبى أيوب خالد بن يزيد ، الذى أسرع وأخذ الرحل ووضعه فى بيته . فنزل النبى صلى الله عليه وسلم عنده ضيفا . وبذلك تمت الهجرة واستقر له المقام بالمدينة وهو فى الثالثة والخمسين من عمره .

(جـ) مسجد المدينة :

اشترى النبى صلى الله عليه وسلم الأرض الفضاء التى بركت فيها ناقته (القصواء) من صاحبيها (سهل وسهيل) ولدى عمرو . وأمر ببناء مسجده فى نفس المكان ، ومن حوله مساكنه . وقد اشترك بنفسه عليه الصلاة والسلام فى البناء ، تشجيعا للمسلمين على العمل . استمر العمل فى بناء المسجد حتى ارتفع الى سبعة أذرع فسقفوه بجذوع النخل وغطوها بالسعف والجريد ووضعوا عليها طبقة من الطين وقاية من المطر .

وفرشت أرض المسجد بالرمل الناعم . وبلغ طول المسجد مائة ذراع وعرضه يقل عن ذلك قليلا ، وكان المنبر من جذوع النخل.وكان للمسجدثلاثة أبواب اكبرها يسمى (باب الرحمة) . وأثناء بناء المسجد توفى (أبو امامة أسعد بن زرارة) نقيب بنى النجار . وكان النبى صلى الله عليه وسلم عندما حضر اليه (بمنى) وفد الأوس والخزرج المكون من اثنى عشر رجلا اختار لكل أسرة نقيبا . فلما توفى (أبو امامة) أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يزيد فى اكرامهم وتشريفهم ، فاختار نفسه نقيبا لهم ففرحوا بذلك أشد الفرح ، فضلا عن شرف النسب فهم أخواله .

(د) أول خطبة بالمسجد :

قام النبى صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(أما بعد . أيها الناس . فقدموا لأنفسكم . تعلمن والله ليصعقن أحدكم . ثم ليدعن غنمه ليس لهـا راع . ثم ليقولن له ربه . وليس له ترجمـان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فيبلغك . وآتيتك مالا . وأفضلت عليك . فما قدمت لنفسك . فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا . ثم لينظرن قدامة فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل . ومن لم يجد فبكلمة طيبة . فان بها تجزى الحسـنة عشر أمثالها . الى سبعمائة ضعف . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة أخرى فقال :

« ان الحمد لله . أحمده وأستعينه . نعـوذ بالله من شرور أنفسـنا . وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . ان أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى . قد أفلح من زينه الله فى قلبه . وادخله فى الاسلام بعـد الكفر . واختاره على ما سواه من أحاديث الناس . انه أحسن الحديث وأبلغه . أحبوا ما أحب الله . أحبوا الله من كل قلوبكم . ولا تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقس عنه قلوبكم . فانه من كل مايخلق الله يختار ويصطفى . قد سماه الله خيرته من الأعمال . ومصطفاه من العباد . والصالح من الحديث . ومن كل ما أوتى الناس الحلال والحرام . فاعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا . واتقوه حق تقاته . واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم . وتحابوا بروح الله بينكم . ان الله يغضب أن ينكث عهده . والسلام عليكم » .

٢٦ ــ الدعــوة الاسلامية بالمدينــة

(أ) الاخاء بين المهاجرين والأنصار :

بعد أن استقرت الأوضاع للمسلمين بالمدينة ، رأى النبى صلى الله عليه وسلم ببعد نظره أن يدعم الصداقة والمودة بين المهاجرين والأنصار ، وأن يبعد التنافس بينهم ، فآخى بينهم واختار على بن أبى طالب أخا له . واختار عمه حمزة بن عبد المطلب أخا لزيد بن حارثة . واختار أبا بكر الصديق أخا لخارجة بن زهير . وهكذا تم الاخاء بين المسلمين . وهذه تربية صادقة ، وخلق قويم . وأسلوب حكيم ، وجدير بالمسلمين فى العصر الحاضر فى كل مكان السير على هذا المنوال ، لمـا فيه خيرهم . واقتباس الخطط المثلى من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسـنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثـيرا) .

وقد أفاد هذا الاخاء بين المهاجرين والأنصار فى جميع ما تم من أعمال فى مستقبل الأيام . هذا الاخاء بتطبيقاته العملية غير مسبوق فى الجزيزة العربية . ولم تعرفه الأديان السابقة .

(ب) عهد وميثاق :

جمع النبى صلى الله عليه وسلم سكان المدينة من المهاجرين والأنصار واليهود . وناقشهم فى انشاء اتحاد يضم جميع القاطنين بها . فتصبح المدينة وحدة متكاملة اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا . تدافع عن نفسها ضد أى غزو خارجى مع اقتسام النفقات . وتهيىء للسكان الأمن والهدوء ، وتقيم بينهم أواصر المحبة والمودة والتعاون .

فوافقوا جميعا وكتبوا بذلك صحيفة ، وتعهدوا بتنفيذ شروطها . ومن أهم ما جاء بها ما يأتى :

١ — التعاون الصادق بين المسلمين .

٢ — يقف المسلمون صفا واحدا ضد من يسعى الى عدوان أو فساد بين المؤمنين . ولو كان من أبنائهم .

٣ — لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر . ولا ينصر كافرا على مؤمن .

٤ — من تبع المسلمين من اليهود فلهم النصر غير مظلومين .

٥ — لا يجير مشرك مالا أو نفسا لقريش .

٦ — يقوم اليهود بالانفاق مع المسلمين ماداموا محاربين .

٧ — الحرية الدينية : للمسلمين دينهم ولليهود دينهم .

٨ — عند وجود خلاف يرجع الأمر الى النبى صلى الله عليه وسلم لينظر فيه .

وبذلك أصبحت المدينة وحدة متكاملة لا يعتدى فيها شخص على آخر . وأن نفقة الدفاع عنها يؤديها جميع القاطنين بها . وأعطت الصحيفة الأمن لليهود المقيمين بها بشرط عدم الاتصال بالأعداء أو نصرتهم أو ايوائهم .

وهنا ملاحظة جديرة بالذكر . وهى أن الاسلام لم يجبر أحدا من سكان المدينة من المشركين أو اليهود على الدخول فيه . بل ترك الحرية لكل فرد ، وأبقى لليهود مكانتهم . لهم ما للمسلمين من حصانة واحترام ، ولم يفرض عليهم جزية أو اية أعباء مالية . وهذا المعنى يؤكد بدون شك أن الاسلام لم ينشر بالسيف أو بالقوة كما يزعم بعض المرجفين . بل بالحكمة والموعظة الحسنة . قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

(جـ) المدينة والدعوة الاسلامية :

لقد انتقل مقر الدعوة الاسلامية من مكة الى المدينة . وابتعد المسلمون عن قريش واضطهادها ، وعاشوا فى عبادتهم آمنين مطمئنين . وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم ينظم لهم حياتهم الجديدة . ويضع قواعد هذا المجتمع القائم على المحبة والايمان ، ونسوا ما تحملوه من ايذاء فى مكة ومن متاعب الهجرة الى الحبشة . ومضت السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة فى راحة ودعة واطمئنان ، وأصبحوا وأمسوا فى دعاء الى العلى القدير أن يلهم ذويهم بمكة طريق الرشاد ، وأن يعصمهم من الشرك والكفر قبل أن يفوت الأوان .

ولكن المشركين واليهود بالمدينة قد نقضوا العهد . وأخلوا بالشروط المدونة بالصحيفة ولم يستجيبوا لنداء الحق ، وركبوا رءوسهم ، واشتطوا فى عداوتهم للمسلمين ، وحاولوا القضاء عليهم بقوة السلاح وبخذلانهم والتخلى عنهم فى المعارك . واتصلوا بالأعداء سرا ، فباءوا بفشل ذريع وخسران مبين .

٢٧ — المشركون واليهود بالمدينة

١ — طبعت بعض النفوس منذ قديم الزمان على الذل والعبودية والخيانة والخداع وعدم احترام الشرف وفقدان الضمير . وهذا كله يتمثل فى اليهود من أقدم العصور .

وقد أرادوا تجربة هذه الخصال الدنيئة فى محاربة الاسلام عند ظهوره . يخادعون الله وما يخادعون الا أنفسهم ، فقد رأوا اندفاع الناس نحو الدين الاسلامى مسلمين مؤمنين بالله وبرسوله الكريم . فثار الحقد فى نفوسهم ، وملأ الحسد صدورهم ، فعمدوا الى ارسال وفودهم وعلمائهم لمناقشة النبى صلى الله عليه وسلم ، تحت ستار طلب العلم والتزود بالمعلومات ، وتقديم الاستفسارات بل والطلبات الغريبة الشاذة بقصد التعجيز والاحراج .

٢ — ومثال ذلك أنهم سألوا عن الروح . ثم سألوا عن قصة الفتيان (من أهل الكهف) . فاذا تأخر نزول الوحى قالوا ان الله سبحانه وتعالى قد تخلى عن نبيه . وقد جاهروا يوما بأنه ليس هناك أنبياء بعد موسى عليه السلام.وأخيرا وليس آخرا ادعوا أنسيدنا محمدا صلوات الله عليهوسلامه

قد أخذ مبادىء الدين الجديد وأسسه ونظمه من الدين اليهودى . وهذا بهتان لا يحتاج الى الرد عليه وتفنيده .

٣ ـ يذهبون الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويناقشـون ويداورون ويحاورون ، ثم ينتدبون من بينهم بعض أفذاذ علمائهم . فيسمع النبى الكريم أقوالهم ، ويرى أفكارهم ، ثم يبدأ حديثه معهم ويفضح جهلهم حتى بكتبهم ، فهم يحملونها رمزا ، دون قراءة أواطلاع أو فهم . ثم يخلو عالمهم الكبير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعترف له بأنهم يعلمون أنه رسول الله حقـا وصدقا ، ولكنهم يخشون على أموالهم من الضـياع ، ويخشى كهنتهم على مصادر رزقهم فكيف يعيشون وهم لايحسنون فى الدنيا شيئا ، وبعضهم صنائع للدول الكبرى المجاورة ، يأتمرون بأمرها ويخضعون لسلطانها ، ابقاء على مالهم من حظ أو جاه .

٤ ـ لقد وادعهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتب مع يهود المدينة عهدا وموثقا ، وترك لهم حرية الحركة والعبادة . بشرط عدم مؤازرة الأعـداء فى أية صورة ، وأسهمهم فى الدفاع عن المدينة ، والمشاركة فى النفقات . ولكن نفوسهم الأمارة بالسوء لم تستطع أن تعيش فى النور ، فسعوا فى الظلام ، ونفثوا سموم الحقد والحسد ، واتصلوا بقريش سرا ، كما اتصلوا بالمشركين واليهود فى المناطق المجاورة للمدينة ، لايجاد رابطة بينهم خشية ازدهار قوة المسلمين وزيادة نفوذهم ، وألبوا الأحزاب وشجعوا المنافقين .

٥ ـ وهنا كان لابد من الحـركة السريعة لرد الظالمين . وايقـاف الطغيان . وحماية المؤمنين . ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لا يأتى عملا من نفسه ، ولابد له أن ينتظر أوامر الله سبحانه وتعالى ، وهو المطلع على خفايا النفوس وخبايا الصدور ، وهو صاحب هذا الدين (ان الدين عند الله الاسـلام) .

ثم صدر الأمر الالهى لنبيه الكريم بالقتال بالآيات الكريمة فى سورة البقرة (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا . ان الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم . والفتنة أشد من القتـل) .

٦ ـ وبالرغم من كل ما أعطى ليهود المدينة من ضـمانات لأمنهم وعدم التعرض لهم ، الا اذا خرجوا على ما ورد من شروط فى المعاهدة . وبالرغم من أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقابلهم فى ندواتهم ومجتمعاتهـم ، ويدعوهم الى الله ، ويقرأ عليهم القرآن الكريم . وكادت قلوبهم تؤمن لولا العناد والمكابرة بالباطل .

لهذه الأسباب قد تحولت المدينة الوادعة الى فئات متباينة من الناس :

(أ) مسلمون يؤمنون بالله وبرسوله دون أن يخشوا فى الحق لومة لائم .

(ب) منافقون يعلنون اسلامهم نهارا والكفر ليلا . وزيادة فى التضليل ينطقون بالشهادتين ويتظاهرون بالايمان .

(ج) وفريق ثالث من اليهود يعمدون الى مضايقة النبى صلى الله عليه وسلم . بأسئلتهم السخيفة الماكرة ، وحججهم البالية ، ولجاجتهم الهزيلة ، مع اعلان حقدهم وضيقهم بالدين الحنيف .

(د) ثم فريق (الامعة) : لا رأى لهم ولا وزن لأفكارهم ، لأنه لا يعنيهم الدين أى دين . انما يهتمون بالعيش على موائد الآخرين . فهم تارة هنا وتارة هناك . وهم فى كل عصر آفة المجتمع ، يحسبون من عداده، وهو من نكراته . لقد اشتروا الضلالة بالهدى . وبئس ما عملوا .

٧ — من ذلك نرى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يترك وسيلة للدعوة والمناقشة والاقناع الا اتخذها ، مهما ناله من جهد ونصب بل وايذاء . حتى انتشر الاسلام وتدعمت أركانه عن طريق السلام . عن طريق الفكر الحر والاقتناع . عن طريق العقل والقلب . وفى يمينه القرآن الكريم المعجزة الخالدة .

كان عليه الصلاة والسلام مع المشركين واليهود وغيرهم من وفود وأفراد . واسع الصدر ، حليما قوى الحجة ، أمينا فى دعوته ، رقيقا فى حديثه، يجتذب القلوب من حوله . عاداه بعض قومه فصبر . وهاجمه اليهود والكفار فصمد وانتصر . كان سلاحه الايمان . وسنده القرآن . لم ينطق عن الهوى .بل هو وحى يوحى .

٨ — ولكن للصبر حدود . ولم يعد السكوت ممكنا على ما يدبر الأعداء سرا . وعلى ما يبذلون فيما بينهم من اتفاقات وتجمعات لمهاجمة المسلمين فى المدينة . وكلما ازداد المسلمون قوة ، ازدادت قريش سخطا وحنقا ، وبلغ من تفكيرها الآثم أن تثير القبائل لمهاجمة المدينة والاعتداء على المؤمنين ، والقضاء عليهم قبل أن يشتد ويقوى سلطانهم ، وكرهوا أن يجدوا منافسا لمكة ، وأخذوا يشترون ضمائر المنافقين لينقلوا اليهم أخبار النبى صلى الله عليه وسلم .

٩ — ومما أثار ضيق اليهود بالمدينة ما حدث من تغيير القبلة من بيت المقدس الى الكعبة الشريفة .فقد تخيلوا — وبالسوء ماتخيلوا — أن الاسلام قد اختار بيت المقدس تكريما لليهود . وهذا وهم لا يوجد ما يبرره من دين أو

عقل أو منطق . ولم يحدث مطلقا أن فكر المسلمون فى أية لحظة فى هــذا التكريم . فلما تحولت القبلة الى الكعبة قالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم قد خذلهم وتخلى عنهم . وهى أسباب واهية تذرعوا بها لاظهار دفينة نفوسهم ، فدارت عليهم الدائرة ، وتولت عليهم الهزائم . فقتل رجالهم ، وشرد أولادهم وضاعت أموالهم ، ووقع نساؤهم سبايا ، وانتهى أمرهم بالجلاء عن المدينة وغيرها . وكانت هذه الاعتداءات المستمرة سببا فى دفاع المسلمين عن أنفسهم بالغزوات والسرايا .

٢٨ ــ دعوة الملوك والرؤساء الى الاسلام

لقد كان من نتائج صلح الحديبية بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، أن مرت فترة راحة واطمئنان . فأفاد منها الرسول الكريم فى ارسال كتبه مع رسله الى الملوك ورؤساء القبائل يدعوهم الى الاسلام . وأصبح الدين الحنيف على كل لسان سواء من آمن به أو من فكر أو من اعترض عليه ، وأصبح العقل البشرى فى دوامة بين الحق والباطل . ولكن لم يطل عذابه فقد رأى أنوار الاسلام تبدد دياجير الظلام . ويعلو الحق فوق الباطل فيدمغه . (وقل جاء الحق وزهق الباطل . ان الباطل كان زهوقا).وانتشر الدين الاسلامى بين الناس واحتل الايمان سويداء القلوب . وصارت كلمة الله هى العليا .

نماذج من كتبه للملوك والرؤساء

١ ــ كتابه الى النجاشى ملك الحبشة :

من محمد رسول الله الى النجاشى ملك الحبشــة . انى أحمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . وأشهد أن عيسى ابن مريم البتول الطيبة الحصينة حملته من روحه ونفخه . كما خلق آدم بيده . وانى أدعوك الى الله وحده لا شريك له . وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى . فانى رسول الله . وانى أدعوك وجنودك الى الله عز وجل . وقد بلغت ونصحت . فاقبل نصحى . وقد بعثت اليكم ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المسلمين . والسلام على من اتبع الهدى » .

وقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب مع (عمرو بن أمية الضمرى) .

٢ ــ كتابه الى المقوقس حاكم مصر :

« من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط . سلام الله على من اتبع الهدى . أما بعد . فانى أدعوك بدعاية الاسلام . فاسلم تسلم . وأسلم

يؤتك الله أجرك مرتين . فان توليت فعليك اثم القبط . (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) » .

أرسل النبى صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب مع (حاطب بن أبى بلتعة) .

٣ — كتابه الى كسرى ملك الفرس :

« (من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى . وآمن بالله ورسوله . وأدعوك بدعاية الله عز وجل . فانى أنا رسول الله الى الناس كافة . لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . وأسلم تسلم . فان توليت فان اثم المجوس عليك) » .

أرسل النبى صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب مع (عبد الله بن حذافة السهمى) .

نماذج من الكتب الواردة الى النبى الكريم

كتاب من المقوقس عظيم القبط الى النبى صلى الله عليه وسلم .

« لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه . وما تدعو اليه . وقد علمت أن نبيا قد بقى . وكنت أظن أنه يخرج بالشام . وقد أكرمت رسولك . وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم . وكسوة . وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك » .

والمندوبون الذين أرسل النبى صلى الله عليه وسلم كتبه معهم الى الملوك والرؤساء يدعوهم الى الاسلام هم :

١ — دحية بن خليفة الكلبى	الى قيصر	ملك الروم
٢ — عبد الله بن حذافة السهمى	الى كسرى	ملك فارس
٣ — عمرو بن أمية الضمرى	الى النجاشى	ملك الحبشة
٤ — حاطب بن أبى بلتعة	الى المقوقس	حاكم مصر
٥ — عمرو بن العاص السهمى	الى جيفر وعياذ	ملكى عمان
٦ — سليط بن عمرو	الى ثمامة وهوذه	ملكى اليمامة
٧ — العلاء بن الحضرمى	الى المنذر بن ساوى	ملكِ البحرين
٨ — شجاع بن وهب الأسدى	الى الحارث الغسانى	ملك تخوم الشام

قدمنا بعض النماذج الصادرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك ورؤساء القبائل يدعوهم فيها الى الاسلام . بأسلوب واضح لا لبس فيه ولا ابهام . ولا يتسع المجال هنا للحديث عن أسلوب هذه الكتب من بساطة ودقة ووضوح . وكيف تبدأ وكيف تنتهى . انها لا تحمل معنى الترفع والاستعلاء . ولا تعرف الاستكانة والاستخذاء . انهـا دعوة نبى كريم للهداية والرشاد . فيها البشرى لمن يؤمن . والانذار لمن تولى وكفر . ان هذه الكتب الوادعة لم تحمل سيفا ولم تعـرف غزوا . انها تحمل الدعوة الى وحدانية الله وتدعو الى السلام .

ولننظر الى العبارة الموجزة فى مبناها . الدقيقة فى معناها (أسلم تسلم) . والخطاب يحمل المرسل اليه مسئولية عمله . ان خيرا فخير . وان شرا فشر . يبعث للنجاشى ملك الحبشة بالنصيحة ويقول له : (وقد بلغت ونصحت اقبل نصحى) . ويفتح باب الأمل والرجاء للمقوقس عظيم القبط بمصر للفوز بضعف الثواب والأجر فيقول له (يؤتك الله أجرك مرتين) . وكذلك ابلغ كسرى ملك الفرس الدعوة الى الحق . وأدخل على قلبه السـكينة والاطمئنان والسلام اذا اتبع الهدى . وجعله آثما فى حق نفسه وفى حق الأمة الفارسية اذا كفر وتولى .

وهكذا كانت كتبه الى القبائل بالجزيرة العربية وأطرافها . والى مختلف الأمصار . تحمل الآداب القرآنية . والأسلوب الرفيع . واللفظ الرصين فضلا عن الهداية والارشاد الى الصراط المستقيم . صراط الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وكانت لهذه الكتب النبوية أكبر الأثر فى نشر الاسلام فى كل مـكان .

الفصل الخامس

الغزوات والسرايا

٢٩ ـ أسباب الغزوات

٣٠ ـ الغزوات ونتائجها

٣١ ـ السرايا ونتائجها

٣٢ ـ الغزوات الكبرى (غزوة بدر الكبرى ، فتح مكة)

٣٣ ـ أهداف الغزوات ونتائجها

٢٩ ـ أسـباب الغـزوات

أمضى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاثة عشر سنة فى استقبال الوفود . ومقابلة الناس من جميع الطبقات . يذهب اليهـم فى مجتمعاتهم وندواتهم شارحا لهم أهداف الدين الاسلامى الحنيف . ومبادءه السامية لصالح الجنس البشرى . ويقرأ عليهم القرآن الكريم . ويسـير الى بعض المناطق المجاورة لمكة . ويذهب الى الأسواق . ويقابل الوافدين فى مواسم الحج لنفس الأسباب . ولم يدخر وقتا ولا جهدا الا بذله فى سبيل نشر هذا الدين القيم . وتثبيته فى النفوس مهما لاقى من متاعب وايذاء .

ثم هاجر الى المدينة فاحتفلت به أجمل احتفال . واسـتقبله المهاجرون والأنصار أكرم استقبال . ولما استقر به المقام ، استمر فى نشر الدعوة بكل الوسائل السلمية لمدة سنة كاملة . أى انه قد أمضى أربعة عشر سنة لم يمتشق فيها حساما . ولم يعرف حربا . ولم يجبر أحدا على الدخول فى دين الله . فمن دخله كان دخوله عن ايمان صادق . وحب شديد لله ولرسوله الكريم . وارتبطوا به والتفوا حوله . وكان أحب الى قلوبهم من فـلذات أكبادهم . وقد رأى المشركون الى أى مدى بلغ هذا الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا انهم رأوا كثيرا من الملوك والرؤساء فى كل مكان فلم يجدوا بين الناس مثل هذا الحب العميق .

فلما اشتطت قريش فى عداوتها ، وضمت اليهابعض القبائل ، وتعاهدت سرا مع يهود المدينة ، وحاولت بكل هذا التجمع ملاحقة النبى صلى الله عليه وسلم ، والتصدى لدعوته ومحاولة النيل منه ، والقضاء على المسلمين . قام عليه أفضل الصلاة والسلام ، بأمر من الله سبحانه وتعالى بأخذ الأهبـة لهم . والاسراع اليهم فى عقر دورهم ، وقضى عليهم فى معارك عرفت فى التاريخ بالغزوات والسرايا . والغزوة هى المعركة التى كان يقودها النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه . والسرية يقودها أحد قادة المسلمين بأمر الرسول الكريم الى جهة معينة . وقد بلغت الغزوات سبعا وعشرين غزوة . بدأت من السنة الثانية للهجرة الشريفة حتى السنة العاشرة . التى انتقل فيها النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى .

ولقد كانت الشجاعة والايمان وحب الاستشهاد فى سبيل الله ، أسبق الى المعركة من السيف والنبال . فما قيمة السيف فى يد رعديد جبان .

كانوا يكسبون كثيرا من المعارك بدون قتال لأن الله كان يلقى الرعب فى قلوب أعدائهم . وكانوا يتعقبون جيش الغزاة المنتصرين ، فيولون الادبار . كما حدث فى صبيحة يوم أحد . ولعلنا لا ننسى معركة مؤتة التى قابل فيها المسلمون بعدد قليل جيشا من الأعداء فى مائة وخمسين ألف مقاتل . فلم ترهبهم كثرة العدد وضخامة العتاد . بل اقدموا فى شجاعة نادرة وكروا على أعدائهم ، وقتلوا منهم كثيرين . كما استشهد من المسلمين كثيرون وخاصة قادتهم . ولكنهم رجعوا الى المدينة رافعى الرءوس بقيادة سيف الله المسلول خالد بن الوليد . وهنأهم النبى صلى الله عليه وسلم عند عودتهم .

وللحديث عن الغزوات والسرايا نعرض فيما يلى بيانا عنها . مع تفصيل بعض الغزوات الهامة . وقد كان لاحدى الغزوات آثار هامة دعت المسلمين الى الاحتفال بها سنويا فى كل العالم وهى غزوة بدر الكبرى . لأنها أول وأكبر انتصار للمسلمين على قريش . وكانت الدعامة القوية فى بناء الاسلام وابراز دولته وصولته .

٣٠ — الغزوات ونتائجها

رقم	الغزوة	التاريخ الهجرى	الموضوع	ملاحظات
١	الأبواء (ودان)	صفرسنة٢	خرج النبى صلى الله عليه وسلم غازيا قاصدا بنى ضمرة . فبلغ ودان بالقرب من المدينة . تقدموا اليه بالصلح فوافق وعاد الى المدينة .	أول غزوة فى الاسلام
٢	بواط	ربيع الأول سنة ٢	أراد المسلمون الرد على اعتداء قريش فتربصوا لتجارتها الى الشام . فساروا الى جبل بواط بالقرب من ينبع . ولم يظفروا بهم . فعادوا الى المدينة .	لم يحدث قتال
٣	العسيرة	جمادى الأولى سنة٢	كانت ضد تجارة قريش الراحلة الى الشام برئاسة أبى سفيان بن حرب فتقدم بنو مدلج وطلبوا الصلح .	مرت العير قبل وصول المسلمين فلم يحدث قتال
٤	سفوان (بدر الأولى)	جمادى الآخرة سنة٢	اعتدى (كرز بن جابر الفهرى) على سرح المدينة وهرب . فطارده المسلمون ولكن لم يظفروا به .	لم يحدث قتال
٥	بدر الكبرى	١٧ رمضان سنة ٢	استمرت قريش فى اعتداءاتها على المسلمين فاعترضوا تجارتها العائدة من الشام . فلما أحست قريش بذلك أرسلت جيشا ضخما قابل جيش المسلمين عند بدر . تقابل الجيشان وانتصر المسلمون . (بيان الغزوة بالتفصيل فى آخر هذا الفصل) .	أول وأكبر انتصار للمسلمين
٦	بنى سليم بالكدر	رمضان سنة ٢	بعد غزوة بدر الكبرى بخمسة أيام غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد (بنى سليم) . ووصل الى ماء لهم يقال له (الكدر) . بقى هناك ثلاث ليال . ولم يجد مقاومة فرجع الى المدينة .	لم يحدث قتال

رقم	الغزوة	التاريخ الهجرى	الموضوع	ملاحظات
٧	بنى قينقاع	سنة ٢	تعهد يهود بنى قينقاع بالمدينة مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمسالمة وعلم الاعتداء . ولكنهم نقضوا العهد فحاصرهم المسلمون خمسة عشر يوما . فتقدم عبد الله بن أبى بن سلول وهو رأس المنافقين راجيا فك الحصار عنهم والسماح لهم بالجلاء عن المدينة بنسائهم وأولادهم على أن يتركوا أموالهم للمسلمين . فتمت الموافقة على ذلك .	الجلاء عن المدينة بدون قتال
٨	السويق	ذى الحجة سنة ٢	خرج ابوسفيان بن حرب فى مائتى رجل من قريش قاصدا غزو المدينة . فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك أسرع اليهم فهربوا وألقوا بطعامهم المكون من السويق فى الطريق تخفيفا من أعبائهم . فسميت الغزوة (غزوة السويق) .	هرب جيش قريش وتركوا طعامهم ولم يحدث قتال
٩	ذى أمر (غطفان)	صفر سنة ٣	خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا نجد يريد غطفان فلم يجد أحداً وعاد الى المدينة .	لم يحدث قتال
١٠	بحران	ربيع الآخر سنة ٣	خرج النبى صلى الله عليه وسلم غازيا قريش ، فسار حتى وصل الى بحران وأقام بها شهرى ربيع الآخر وجمادى الأولى . ولم يجد أحدا .	لم يحدث قتال
١١	أحد	شوال سنة ٣	أرادت قريش أن تثأر لهزيمتها فى بدر الكبرى فخرجت لقتال المسلمين بتحرض من أبى سفيان . اجتمع الجيشان عند جبل أحد . اطمأن المسلمون الى النصر فى أول المعركة وخالف بعضهم أوامر النبى الكريم وتركوا مواقعهم فدارت الدائرة عليهم .	هزم المسلمون

رقم	الغزوة	التاريخ الهجرى	الموضوع	ملاحظات
١٢	بنى النضير	ربيع الأول سنة ٤	اتفق يهود بنى النضير بالمدينة على نصرة النبى صلى الله عليه وسلم . ثم غدروا وحاولوا قتله بالقاء حجر كبير من فوق جدار منزل . ولكن الله أخبر نبيه بسرهم فحاصرهم ست ليال . فاستسلموا وتركوا المدينة نهائيا ومعهم نساؤهم وأولادهم . ولكن لم يسمح لهم بأخذ الأسلحة معهم .	جلاء اليهود عن المدينة
١٣	ذات الرقاع	جمادى الأولى سنة ٤	كانت ضد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان . التقى الجيشان ولكن لم يحدث قتال بينهما . وانسحب الأعداء . قام النبى صلى الله عليه وسلم بأداء صلاة الخوف . ثم رجع بالجيش الى المدينة . وسميت الغزوة بذات الرقاع لأنهم رقعوا راياتهم .	انسحب الأعداء ولم يحدث قتال
١٤	بدر الآخرة	شعبان سنة ٤	عندما هزم المشركون فى غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هجرية نادى أبو سفيان مهددا المسلمين بلقائهم فى العام التالى . ولكنه لم ينفذ وعيده وتهديده . بل سار بجيشه الى ضواحى مكة ثم قفل راجعا . فلما خرج جيش المسلمين لم يجد أحدا .	لم يحدث قتال
١٥	دومة الجندل	ربيع الأول سنة ٥	اجتمع بعض الأعراب المقيمين بالقرب من دمشق وأرادوا غزو المدينة فخرج النبى صلى الله عليه وسلم للقائهم فهربوا وتركوا مواشيهم .	لم يحدث قتال
١٦	الخندق (الأحزاب)	شوال سنة ٥	اتفق يهود بنى النضير مع بنى وائل وأهل غطفان وقريش على غزو المدينة . وسار جيشهم حتى جبل أحد برئاسة أبى سفيان . فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم بأمرهم خرج اليهم بعد أن أمر بحفر خندق فى شمال المدينة . اختلف الأعداء فيما بينهم وعادوا الى بلادهم . بعد أن يئسوا من حصارهم للمسلمين لمدة شهر .	حفر الخندق عمل حربى جديد بالنسبة للعرب وقد أشار به سلمان الفارسى

رقم	الغزوة	التاريخ الهجرى	الموضوع	ملاحظات
١٧	بنى قريظة	ذى القعدة سنة ٥	أثناء غزوة الأحزاب نقض يهود بنى قريظة بالمدينة عهدهم للرسول الكريم وانضموا للاعداء . فحاصرهم المسلمون خمسة وعشرين يوما . فاستسلموا وطلبوا السماح لهم بالجلاء عن المدينة أسوة بيهود بنى النضير . ولكنهم قتلوا جميعا جزاء غدرهم وانضمامهم للاعداء والمنافقين بقصد هزيمة المسلمين .	القضاء على يهود بنى قريظة بالمدينة .
١٨	بنى لحيان	جمادى الأولى سنة ٦	حضر وفد من بنى لحيان وطلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يرسل معهم من يفقههم فى الدين . فاستجاب لرغبتهم وأرسل معهم بعض الصحابة وعلى رأسهم (عاصم بن ثابت) . ولكنهم غدروا بهم فى الطريق وقتلوهم . فخرج اليهم الرسول الكريم فهربوا فى الجبال .	غرروا بمن سيعلمهم الدين وقتلوهم
١٩	ذى قرد	جمادى الأولى سنة ٦	أغار عيينة بن حصن على ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسار المسلمون فى أثرهم واستنقذوا بعض الابل وعادوا بها الى المدينة .	استعاد المسلمون بعض الابل بدون قتال
٢٠	بنى المصطلق (المريسيع)	شعبان سنة ٦	أخذ بنو المصطلق بقيادة الحارث أبى ضرار فى الاستعداد لمحاربة النبى صلى الله عليه وسلم . فلما علم بذلك خرج اليهم وقابلهم عند ماء لهم يسمى (المريسيع) وانتصر عليهم . قتل كثير من رجالهم ووقع الباقون فى الأسر . وأخذ المسلمون الأموال والسبايا ومن بينهم جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار فأسلمت وتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم . وكذلك أسلم أبوها وقومها . فأعيدت لهم كل أموالهم وسباياهم احتراما لهذا الزواج .	انتصر المسلمون وأسلم بنو المصطلق وتزوجت جويرية من الرسول الكريم

رقم	الغزوة	التاريخ الهجرى	الموضوع	ملاحظات
			حضرت السيدة / عائشة هذه الغزوة مع النبى صلى الله عليه وسلم . وعند عودتها تخلفت عن الجيش لأسباب ضرورية . فتحدث بعض الناس عنها بالكذب واختلقوا ضدها بعض الشائعات ثم ظهرت براءتها بأمر الله تعالى فى القرآن الكريم .	حديث الافك ضد السيدة عائشة ثم نزلت براءتها فى سورة النور من القرآن الكريم
٢١	خيبر	محرم سنة ٧	عندما هزم بنو النضير واضطروا الى الجلاء عن المدينة نهائيا ذهبوا الى خيبر وأقاموا بها . وهى مدينة ذات حصون منيعة وحولها زراعات . وتقع فى الطريق الى الشام . اتفق بنو النضير مع يهود خيبر على محاربة النبى صلى الله عليه وسلم . والأخذ بالثأر لهزيمتهم السابقة . فأسرع النبى صلى الله عليه وسلم . وحاصرهم حتى سقطت حصونهم الواحد بعد الآخر . ولما تم له النصر عليهم أخذ أموالهم وسباياهم . ومن بينها صفية بنت حيى بن أخطب أحد زعمائهم . فأسلمت وتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم	فتحت حصون خيبر واستسلم الرجال ووقع النساء فى السبى ومنهن صفية بنت حيى بن أخطب وتزوجها النبى الكريم
٢٢	فدك	محرم سنة ٧	حصن لليهود بالقرب من خيبر . تقدم أهله الى النبى صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه الأمان على أن يدفعوا الجزية وكذلك فعل أهل تيماء بالقرية المجاورة لحصن فدك	سيطر المسلمون على مناطق اليهود المحيطة بالمدينة
٢٣	وادى القرى	محرم سنة ٧	حاول يهود تلك القرى الاعتداء على المسلمين . فهزم اليهود وباءوا بالفشل . وهى قرى بين خيبر والشام . أخذ المسلمون كثيرا من الغنائم .	هزيمة منكرة لليهود وانتهت شوكتهم

رقم	الغزوة	التاريخ الهجرى	الموضوع	ملاحظات
٢٤	مؤتة	جمادى الأولى سنة ٨	أرسل النبى صلى الله عليه وسلم (الحارث بن عمير) الى أمير بصرى بالشام يدعوه الى الاسلام . فقتله الأمير . فلما علم النبى الكريم بذلك جهز جيشا كبيرا وأمر عليه زيد بن حارثة . فان قتل يتولى الامارة بعده جعفر بن أبى طالب . فان قتل يتولى بعده عبد الله بن رواحة . وصل جيش المسلمين الى مؤتة فوجدوا الأعداء من الروم فى مائة وخمسين ألف مقاتل . وعتاد حربى ضخم لم يروا مثله من قبل . ومع ذلك هجم المسلمون بشجاعة وايمان على الأعداء . فقتل أمراء الجيش الثلاثة . فاختار أفراد الجيش خالد بن الوليد أميرا لهم . فقاتل ببسالة وقتل كثيرين من الأعداء . ولما رأى كثرة العدو الهائلة . استعمل الحكمة وانحاز بالجيش بمهارة فائقة ورجع الى المدينة . فتضايق بعض المسلمين بالمدينة من عودة الجيش على هذه الصورة . ولكن النبى صلى الله عليه وسلم هنأ الجيش لبسالته . وهنأ خالد بن الوليد لشجاعته ومهارته .	حرب ومعركة من نوع جديد بالنسبة للعرب انتصر الروم ولكنهم أحسوا بقوة العرب
٢٥	فتح مكة	سنة ٨	نقضت قريش صلح الحديبية وساعدت بنى بكر ضد خزاعة الذين كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . فلما علم بذلك جهز جيشا كبيرا وسار الى مكة فى عشرة آلاف مقاتل . فاستسلمت قريش وأسلم أبو سفيان بن حرب فأكرمه الرسول الكريم وجعل الأمان لمن يدخل بيت أبى سفيان . دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة ظافرا منتصرا وطاف بالكعبة . وأذن بلال بن رباح فوقها . وأزيلت الأصنام من حول الكعبة وكانت قريش فى انتظار العقاب ولكن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم بعطف كريم وتسامح عظيم (اذهبوا فأنتم الطلقاء) . أسلم كثيرون من أهل مكة . وبعد فترة عاد النبى صلى الله عليه وسلم مع جيشه الى المدينة شاكرا لله . حامدا نعمته وفضله . (بيان الغزوة بالتفصيل فى آخر هذا الفصل)	فتح من الله ونصر مبين أسلم كثيرون وفى مقدمتهم أبو سفيان وأبو قحافة والد أبى بكر الصديق

رقم	الغزوة	التاريخ الهجرى	الموضوع	ملاحظات
٢٥	حنين	شوال سنة ٨	اتفقت ثقيف وهوزان على محاربة النبى صلى الله عليه وسلم . حقدا عليه لانتصاره فى فتح مكة ودخولها بدون قتال وهزيمة قريش على يديه . فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بأمرهم . أسرع اليهم بالجيش الذى دخل به مكة وعدده عشرة آلاف مقاتل . وانضم اليهم ألفان من أهالى مكة الذين دخلوا الاسلام حديثا . وقابل الأعداء عند (حنين) . اغتر المسلمون بكثرتهم وظنوا أنهم لن يغلبوا . ولكن العدو كان قد توارى واختبأ فى شعب الجبال . وانهال على المسلمين من كل جانب . وكاد ينتصر عليهم لولا ثبات النبى صلى الله عليه وسلم فى مكانه وحوله بعض الصحابة . أمر النبى الكريم عمه العباس بن عبد المطلب أن ينادى على المسلمين ويستحثهم على القتال . فعادوا أشداء على الكفار . وكروا عليهم بعزيمة ومضاء . فانتصروا على عدوهم وأثخنوا فيه القتل والجراح . وأخذوا الأموال والسبايا . ومن بينهم الشيماء (بنت الحارث بن عبد العزى وأمها حليمة) . وهى أخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فأكرمها وأعادها الى قومها . قال تعالى فى شأن هذه الغزوة فى سورة التوبة (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .	

رقم	الغزوة	التاريخ الهجرى	الموضوع	ملاحظات
٢٦	الطائف	سنة ٨	تجمع الفارون من معركة حنين فى الطائف وتحصنوا بها وأرادوا محاربة النبى صلى الله عليه وسلم . فخرج اليهم وحاصرهم تسعة عشر يوما ورماهم (بالمنجنيق) لأول مرة فى الاسلام . كما هاجمهم (بالدبابات) المصنوعة من الخشب ومغطاة بالجلد . وبعد أن تراشق الطرفان بالنبال تركهم النبى الكريم وعاد الى المدينة بعد غياب يزيد على شهرين . وقد أسلم أهل الطائف .	أسلمت ثقيف وهوازن
٢٧	تبوك (العسرة)	رجب سنة ٩	أرادت الروم غزو المسلمين فى ديارهم وجمعوا جموعهم فخرج اليهم النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ثلاثون ألف مقاتل . وسار بالجيش حتى وصل الى تبوك (بين المدينة والشام) . فلم يجد أحدا من الأعداء . أقام هناك حوالى عشرين ليلة ثم رجع الى المدينة بدون قتال . وأثناء اقامته فى تبوك تقدم اليه أهالى المناطق المجاورة ودفعوا الجزية طلبا للأمان . وكان أغنياء المسلمين قد أسهموا فى تجهيز الجيش . كما أسهمت النساء بحليهن . وقد سميت بغزوة العسرة لأنها تمت فىجوشديد الحرارة . والمؤنقليلة والماء أقل . والطرق وعرة . وهى الغزوة الوحيدة التى أعلن النبى صلى الله عليه وسلم عن مكانها ومسارها ليستعد كل فرد للمشاركة فيها بكل وجدانه لأنها حرب ستتم فى ظروف قاسية . وفى الغزوات السابقة لم يعلن النبى الكريم عن مكانها امعانا فى السرية . وضمانا لعدم وصول أية أخبار عن تحركات الجيش للاعداء .	

رقم	الغزوة	التاريخ الهجرى	الموضوع	ملاحظات
			ولقد كشفت هذه الغزوة عن معادن الرجال . فمنهم الشجاع المؤمن ومنهم الضعيف المتردد الجبان . ومنهم المنافق الذى ينسلخ من المعركة ويتوارى عن العيون . ومنهم من ضحى بكل أمواله فى سبيل الله وجهز الجيش بكل ما يلزم . مثل أبو بكر الصديق . وعمر بن الخطاب . وعثمان ابن عفان وغيرهم . ومن ناحية أخرى أحس الروم أن هناك دولة تنمو وتشتد داخل الجزيرة العربية وسيكون لها شأن بعيد . وأن العرب حين يشتركون فى معركة لا يهمهم الموت لأنهم يحاربون من أجل العقيدة . وأن الاستشهاد طريقهم الى الجنة . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض . أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة . فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل) . سورة التوبة : آية ٣٨	

٣١ ـ السرايا ونتائجها
« نسجل فيما يلي بعض السرايا حيث لا يتسع المجال لسردها جميعا »

رقم	اسم قائد السرية	الموضوع	ملاحظات
١	عبد الله بن الحارث	خرجت السرية فى ثمانين مقاتلا من المهاجرين بقيادة عبد الله بن حارث بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسارت فى طريقها حتى وصلت الى ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة . فقابلت كثيرين من قريش بقيادة عكرمة ابن أبى جهل . ولكن لم يحدث قتال .	أول سرية فى الاسلام
٢	حمـزة بن عبدالمطلب	خرجت السرية فى ثلاثين مقاتلا من المهاجرين أيضا الى سيف البحر بقيادة حمزة بن عبد المطلب (عم رسول الله صلى الله عليه وسلم) . فقابلت أبا جهل بن هشام فى ثلثمائة مقاتل من أهل مكة . فحجز بين الفريقين (مجدى بن عمرو الجهنى) . فانصرف الفريقان ولم يحدث قتـال .	لم يحدث قتال
٣	سعد بن أبى وقاص	خرجت السرية بقيادة سعد بن أبى وقاص . وسارت حتى وصلت الى (الخرار من أرض الحجاز) . ولم يحدث قتال .	لم يحدث قتال
٤	عبد الله بن جحش	خرجت السرية بقيادة عبد الله بن جحش فى شهر رجب من السـنة الثامنة للهجرة قاصدة مكانا ـ يسمى (نخلة) بين مكة والطائف وذلك لمراقبة تحركات قريش والوقوف على أخبارهم . وهناك رأوا تجارة لقريش فتصدوا لها وقاتلوا رجالها وأسروا منهم رجلين . واستولوا على العير ورجعوا منتصرين الى المدينة . أسلم أحد الأسيرين وهو (الحاكم بن كيسان) . وأما الثانى وهو (عثمان بن عبد الله) فقد مات كافرا بمكة .	انتصر المسلمون ولكنهم أخطـأوا اذ حاربوا فى شهر رجب الشهر الحرام

رقم	اسم قائد السرية	الموضوع	ملاحظات
		لم يرض النبى صلى الله عليه وسلم عما قامت به السرية لأنها قاتلت العدو فى شهر رجب وهو شهر حرام . فتألم رجال السرية وخجلوا مما عملوا . ولكن الله سبحانه وتعالى غفر لهم وأنزل فى حقهم الآيات الكريمة (يسألونك عن الشهر الحرام . قتال فيه . قل قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله . وكفر به . والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله) . سورة البقرة آية ٢١٧	فغضب النبى الكريم ثم غفر الله لهم لحسن نيتهم
٥	زيد بن حارثة	خرجت السرية بقيادة زيد بن حارثة فلقيت تجارة قريش برئاسة أبى سفيان . تقابل الجمعان عند (القردة) وهى ماء من مياه نجد . وقد سلكت قريش طريق العراق خشية تعرض المسلمين لهم فى ذهابهم الى الشام . انتصر زيد بن حارثة واستولى على العير وما فيها . وعاد بها الى المدينة . وقد تم ذلك بعد موقعة بدر .	أصبحت قريش تخشى على تجارتها فتغير طريقها انتصر المسلمون
٦	يوم الرجيع	بعد موقعة أحد حضر وفد من عضل والقارة وطلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يرسل معهم من يفقههم فى الدين . فبعث معهم ستة أشخاص برئاسة (مرثد بن أبى مرثد الغنوى) . وفى الطريق عند (الرجيع) وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز غدروا بهم وقتلوهم جميعا وهم : مرثد بن أبى مرثد خالد بن البكير ، عاصم بن ثابت ، زيد بن الدثنة ، خبيب بن عدى ، عبد الله بن طارق .	

رقم	اسم قائد السرية	الموضوع	ملاحظات
		وقد استقبل هؤلاء الشهداء الموت فى سبيل الله بايمان صادق . قال تعالى فى شأنهم فى سورة البقرة (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله . والله رؤوف بالعباد) . آية ٢٠٦ .	
٧	بئر معونة شهر صفر سنة ٤ هـ	قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر الى المدينة وقابل النبى صلى الله عليه وسلم . وطلب منه أن يرسل بعض الصحابة الى نجد ليفقهوا أهله فى الدين الحنيف . فبعث اليهم المنذر بن عمر فى أربعين رجلا من الصحابة . فغدر بهم عامر بن الطفيل وقتلهم جميعا . ما عدا عمرو بن أمية فقد أخذوه أسيرا ثم أطلقوا سراحه . فعاد الى المدينة .	
	خالد بن الوليد	بعث النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على رأس سرية الى بنى خزيمة ليدعوهم الى الاسلام بدون قتال . ولكن خالدا خالف الأمر وقتل منهم كثيرين . فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك غضب وقال انه برىء مما فعل خالد . وأرسل على بن أبى طالب فدفع لهم الدية . وأجزل لهم العطاء حتى أرضاهم .	

٣٢ ـ الغزوات الكبرى

(أ) ـ غزوة بدر الكبرى :

سافرت تجارة قريش كالمعتاد الى الشام برئاسة أبى سفيان بن حرب . فلما علم المسلمون بذلك ارادوا الثأر من اعتداءات قريش وذلك بالتصدى لتجارتها ، فذهبوا لملاقاتها فى الطريق ولكنها مرت قبل وصولهم اليها . فانتظروا عودتها من الشام . ولكن المنافقين واليهود بالمدينة وقفوا على حقيقة الأمر ، فأسرعوا سرا الى أبى سفيان وأخبروه بالنبأ . فأرسل فورا الى قريش مستنجدا لانقاذ تجارتهم . فهبوا اليه سراعا ووصلوا عنـــد بدر .

فوجىء المسلمون بهذه التحركات . وعلم النبى صلى الله عليه وسلم باستعداد قريش بجيش كبير . فخرج اليهم والتقى الجيشان ببدر يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة . وانتصر المسلمون انتصارا مبينا . ورجع جيش المشركين الى مكة مهلهلا حاملا الخزى والعار . وقد امتلأت قلوبهم رعبا مما رأوا من شجاعة المؤمنين وبسالتهم واقدامهم . قال تعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) .

وقد تمت هذه الغزوة بتدبير محكم . واستشار فيها النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة وأخذ باقتراحهم ولم يرد الاستقلال بالرأى . بل آثر أن يعمد دائما الى المشورة . وقد حدث فعلا أن نزل الرسول الكريم بالجيش فى موضع بالقرب من (ماء بدر) . فتقدم اليه (الحباب بن المنذر ابن الجموح) وسأله عمـــا اذا كان اختيار ذلك المـــكان بأمر من الله فلا يغيرونه ، أو هو الرأى والحرب والمكيدة . فلما أجاب النبى صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى والحرب والمكيدة . اقترح (الحباب) موقعا آخر أفضل من الأول . فوافق الرسول الكريم وانتقلوا بالجيش اليه . وأقاموا للنبى صلى الله عليه وسلم (عريشا) يقيم فيه تنفيذا لاقتراح (سعد بن معاذ) وهو من صناديد الاسلام ومن زعماء الأنصار بالمدينة .

وكان جيش المسلمين مكونا من حوالى ثلثمائة مقاتل وأما جيش العدو فيبلغ الألف . وقد جرت العادة فى مثل هذه الحروب أن تبدأ بالمبـــارزة

الفردية . فنادى المشركون على النبى صلى الله عليه وسلم ليخرج لهم أبطال المسلمين . فنادى الرسول الكريم على (عبيدة بن الحارث ، حمزة ابن عبد المطلب ، على بن أبى طالب) . فتقدم من المشركين لمبارزتهم عتبة ابن ربيعة فبارزه عبيدة بن الحارث . وخرج منهم أخوه شيبة بن ربيعة فبارزه حمزة بن عبد المطلب . ثم خرج منهم الوليد بن عتبة فبارزه على ابن أبى طالب . وما أن صال الشجعان من المسلمين حتى قتلوا المشركين الثلاثة .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يشجع المسلمين ويقول لهم (والذى نفس محمد بيده . لا يتقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا . مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة) . فسمعه (عمير بن الحمام) وكان فى يده تمرات يأكلها فألقى بها فورا وتوشح سيفه وقاتل حتى قتل رحمه الله . وقد قتل فى هذه الغزوة كثيرون من المشركين وفى مقدمتهم أبو جهل ، أمية بن خلف الذى كان يعذب بلال بن رباح فى مكة . وقد اشترك بلال فى قتله . وقتل أيضا النضر بن الحارث ، عقبـــة بن أبى معيط . وقد أسر كثيرون من المشركين ففدى بعضهم نفسه بالمال ، وفدى الآخرون أنفسهم بتعليم المسلمين القراءة والكتابة حيث جعل رسول الله فداء الأسير مقابل تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة .

(ب) — فتح مكة :

١ — لقد تم الاتفاق فى صلح الحديبية فى شهر ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة الذى عقد بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، أن من أراد أن يدخل فى عهد الرسول الكريم فليفعل . ومن يرغب فى الدخول فى عهد قريش فليدخل فيه . فاختارت خزاعة عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . واختار بنو بكر بن عبد مناف عهد قريش .

٢ — ولكن حدث فى السنة الثامنة للهجرة أن اعتدى بنـــو بكر على خزاعة . وناصرتهم قريش سرا ظلما وعدوانا . ونقضوا بذلك عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وضربوا بصلح الحديبية عرض الحائط .

٣ — فأسرعت خزاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم واستنصرته على أعدائها طبقا لصلح الحديبية . فوافق الرسول الكريم ووعدهم خيرا . أحست قريش بالتجاء قادة خزاعة وهم عمرو بن سالم الخزاعى ، بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم . فأرسلوا أبا سفيان بن حرب لمقابلة النبى الكريم ، والتحدث اليه فى استمرار صلح

الحديبية واطالة مدته . فأعرض عنه ولم يرد عليه . فذهب أبو سفيان الى أبى بكر الصديق يستنجد به فلم يستمع له . فذهب الى عمر بن الخطاب فلم يقبل منه أى حديث . فأسرع الى على بن أبى طالب وزوجته فاطمة الزهراء وابنهما الصغير (الحسن) يستنجد بهم ويسألهم مساعدته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يستمعوا له ولم يقبلوا الشفاعة له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يجد سبيلا لحل هذه المشكلة الا أن يذهب الى منزل ابنته (أم حبيبة) زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذهب اليها وقابلها فرفضت وجوده عندها . بل ورفضت أن يجلس على فراش زوجها . فأسقط فى يده وعاد حزينا الى مكة دون أن يصل الى نتيجة .

٤ — أمر النبى صلى الله عليه وسلم بتجهيز الجيش للسير الى مكة . والتصدى لقريش لنقضها المواثيق والعهود . وفى اليوم العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة النبوية الشريفة . خرج عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فى عشرة آلاف مقاتل . ولم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار .

حاولت قريش أن تعرف أخبار تحركات هذا الجيش ففشلت لأن الرسول الكريم قد أوصد دونهم كل باب حتى تكون المفاجأة قاسمة لظهورهم ، وقاضية على سلطانهم . وفى الطريق الى مكة حضر أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومعه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ابن عمة الرسول الكريم . وقابلاه وأسلما على يديه .

٥ — ذلك بأن أبا سفيان بن حرب حاول أن يعرف أخبار جيش المسلمين وتحركاته . فخرج ليلا لعله يصل الى شىء . فقابله العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى طريقه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخذه معه وأركبه خلفه على فرسه . فهم بعض المسلمين بقتله ولكنهم تركوه اكراما لوجوده مع العباس بن عبد المطلب الذى قدمه للنبى عليه الصلاة والسلام فأسلم بين يديه . فتقدم العباس الى الرسول الكريم راجيا أن يجعل لأبى سفيان شيئا من التكريم لمكانته فى قومه وفى مكة عامة . فأكرمه النبى صلى الله عليه وسلم وقال (من دخل دار أبى سفيان فهو آمن . ومن أغلق بابه فهو آمن .. ومن دخل المسجد فهو آمن) . وهنا أحس أبو سفيان بن حرب بهذا الشرف العظيم فأسرع الى مكة وأعلن اسلامه . وأخبرهم عن قوة جيش المسلمين وكثرة عدده وعتاده وحسن نظامه لأنه كان قد رأى الألوية الاسلامية بأعلامها . ورأى الكتيبة الخضراء التى تحيط بالنبى صلى الله عليه وسلم . وأخبرهم بقول رسول الله المتقدم .

٦ ــ أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يدخل قادة جيشه بألويتهم مكة من جهات مختلفة . ثم دخلها عليه الصلاة والسلام ممتطيا صهوة ناقته (القصواء) . وطاف بالكعبة سبعا فوق راحلته . ثم فتحت له الكعبة ودخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيديه . ثم رأى صورا لسيدنا ابراهيم عليه السلام يستقسم بالأزلام فأمر بها فطمست . ثم وقف على باب الكعبة وقال (لااله الا الله وحده . لا شريك له . صدق وعده . ونصر عبده . وهزم الأحزاب وحده) . ثم التفت الى قريش وقال لهم (يا معشر قريش : ما ترون انى فاعل بكم ؟) . قالوا خيرا : أخ كريم وابن أخ كريم . فقال (اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

هذا التسامح ساعة النصر يفوق الوصف . لم يعاقب ولم ينتقم . لأنه صاحب رسالة وقد أرسله الله للهداية . وبهذا الخلق الكريم والحلم العظيم . دخلت قريش فى دين الله أفواجا . تحدث يوما على بن أبى طالب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سماحته وسمو أخلاقه فقال له (يا رسول الله . اننا نعيش دائما معا . فمن أين لك هذه الأخلاق العظيمة) . فقال له المصطفى عليه الصلاة والسلام : (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) .

أخذ على بن أبى طالب يوم فتح مكة مفتاح الكعبة من صاحبه ، وأراد أن يستبقيه لنفسه لتكون له الحجابة مع السقاية . فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن طلب عثمان بن طلحة صاحب مفتاح الكعبة وأعاده له قائلا (اليوم يوم بر ووفاء) .

٧ ــ ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن . فدوى صوته بذكر الله عاليا فى أرجاء مكة . وفى أثناء طوافه عليه الصلاة والسلام بالكعبة ، كان يشير الى الأصنام المشدودة الى الكعبة بالرصاص بقضيب فى يده قائلا (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) . فتسقط فى الحال . وبذلك زالت الأصنام من حول البيت . وعددها ثلثمائة وستون صنما . وانتهى أمرها الى غير رجعة .

وحدث أثناء طواف النبى صلى الله عليه وسلم بالكعبة أن تقدم نحوه رجل يدعى (فضالة بن عمير بن الملوح الليثى) وأراد أن يعتدى عليه ويقتله . فكشف الرسول الكريم أمره . فخجل الرجل وأسلم بين يديه .

٨ ــ تقدم كثيرون الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون الاسلام بين يديه . منهم أبو قحافة والد أبى بكر الصديق وعمره تسعون سنة ، هند زوجة أبى سفيان بن حرب التى أسلمت وهدمت الصنم الموجود فى بيتها .

وكذلك أم حكيم زوجة عكرمة بن أبى جهل . التى طلبت الصفح عن زوجها فعفا عنه وأسلم . وتقدم (وحشى) قاتل حمزة بن عبد المطلب وأسلم . ثم حضر هبارة الذى ضرب زينب أثناء رحلتها الى المدينة وسبب لها نزيفا حادا ماتت بسببه بعد فترة . طلب هبارة الصفح وأسلم فصفح عنه . مع أنه كان ضمن الأشخاص الذين قرر النبى الكريم قتلهم ولو كانوا تحت أستار الكعبة . وكذلك حضر ابن أبى السرح وأعلن اسلامه .

٩ ـــ كيف نستطيع أن نفسر هذا الحلم الكبير الذى امتاز به النبى صلى الله عليه وسلم . يدخل مكة منتصرا بدون قتال . بعد أن أخرجوه منهـــا مهاجرا مدة ثمانية سنوات . ولم تسكت قريش فى تلك المدة عن عنادها وعداوتها له . ومحاربته وتأليب القبائل من مشركين ويهود ضده ، وايذاء المسلمين وحبسهم . ومع ذلك فقد صفح عنهم جميعا صفح الكريم . مع أنهم يوم الفتح كانوا أذلاء صاغرين . تصهرهم دوامة الفكر . وتوقعوا العقوبة على ما اقترفت أيديهم ولكنه نبى الرحمة ورسول الهدى . فقال لهم (اذهبوا فأنتم الطلقاء) . فانشرحت له القلوب وآمنوا بالله وبرسوله . لم يروا سيفا فوق رءوسهم ، بل رأوا وجهه المشرق بالحب والايمان . ولم يسمعوا منه الا تلاوة سورة الفتح (انا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . ويتم نعمته عليك . ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا) .

١٠ ـــ وبفتح مكة انتهت المنافسة والعداوة بين مكة والمدينة ، وحل بينهما الآلفة والاخاء والصفاء .وأسلمت القبائل المحيطة بمكة . ما عدا الطائف من ثقيف وهوزان .

١١ ـــ أقام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة . وكان يقصر فيها الصلاة . وقد ظن الأنصار أنه سيبقى بها حيث قومه وعشيرته ، ولن يعود معهم ، ولكنه عليه الصلاة والسلام رجع معهم داعيا لهم بالخير . كما عاد معهم المهاجرون . والايمان يملأ قلوبهم جميعا . ولم يعرف الزهو والخيلاء سبيلا الى نفوسهم . وهكذا ارتفعت راية الاسلام فوق مكة .

١٢ ـــ واننى أناشد أعداء الاسلام أن يرشدونا الى أى قائد فى أى زمان عمل بمثل هذا الاحساس الجميل فى معاملته للمهزومين . ان تاريخ الحروب شرقا وغربا أمامنا . لم يذكر بين بردتيه الا محاكم التفتيش والتعذيب ومحاكمات مجرمى الحرب دون رحمة أو شفقة . وقد قيل حديثا (ويل للمغلوب من الغـــالب) .

ولعلهم يفهمون القيم الانسانية الخالدة من رسول الانسانية . فلا يعميهم النصر فتطغى قلوبهم . ويشقى الانسان بيد أخيه الانسان .

٣٣ ـ أهداف الغزوات ونتائجها

(أ) الأهـــداف :

لم يفكر النبى صلى الله عليه وسلم فى أى يوم فى غزو أو حرب أو اعتداء على أحد . واستمر فى دعوته الى الاسلام طوال اقامته فى مكة منذ اعـــلان النبوة الى أن هاجر بعد ثلاثة عشر سنة الى المدينة . وقد صبر على ايذاء قريش ومن يلوذ بها . أو يسير فى ركابها . وكان صلى الله عليه وسلم يعتمد على الشرح والاقناع . ومقابلة الناس فى كل مكان . يدعوهم الى الله مبشرا ونذيرا . فالجنة لمن اهتدى والجحيم لمن كفر .

وفى المدينة أيضا سار سيرته من الهداية والارشاد . ولكن قريشا أحست بقوة المسلمين حين استقروا بالمدينة . فخشيت على مكانتها المرموقة فى مكة والجزيرة العربية كلها . وشعرت بالخطر يهدد تجارتها ، فتآمرت سرا مع حلفائها على مهاجمة المدينة ، والقضاء على الاسلام قبل أن يستتب له الأمر .

عندئذ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بالقتال لصـــد المعتدين ، والتصدى بقوة للمشركين وأذنابهم من اليهود والمنافقين . فخرج النبى صلى الله عليه وسلم غازيا هؤلاء وهؤلاء . وكانت طريقته فى الغزو الا يخبر أحدا بمكان المعركة أو الجهة التى يقصدها ، حتى لا يجد الأعداء فرصة لمعرفة أخباره أو تحركاته . فكانت المفاجأة عاملا من عوامل النصر . يضاف اليها الايمان والشجاعة والقدرة على القتال ، وقوة الاحتمال . ولكنه صلى الله عليه وسلم صرح لأصحابه فى غزوة تبوك لوقوعها فى الحر الشديد ، والجدب ووعورة المسالك والأعباء المالية التى تكفل بها أغنياء المسلمين أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم حتى النساء .

فالغزوات لم يدخلها لذاتها . رغبة فى الحرب أو حبا فى القتال . بل كانت الغزوات ضرورة اقتضتها الظروف . وقد استمرت فى فترات امتدت من السنة الثانية للهجرة الى السنة العاشرة التى انتقل فيها الرسول صـــلى الله عليه وسلم الى جوار ربه . قادها بنفسه بثقة وشجاعة وخبرة نادرة دلت على أنه القائد الماهر .

لم يستقل برأيه فى الغزوات كما رأيت ولكنه كان يستشير أصحابه ، ويعمل بمشورتهم ، لأنها أعمال حربية لا تدخل ضمن الأحكام الالهية . وقال لرجاله (ان الحرب خدعة) لئلا يكشفوا عن خططهم للأعداء فيفيدون منها . كما طلب من أحد أصحابه أن (يخذل) بين الأعداء . وكانت له

عندهم كلمة مسموعة ولم يعلم الأعداء باسلامه ونجحت الخطة وانفض جمعهم ، وتفرقت كلمتهم . وأحيانا كان يعمد النبى صلى الله عليه وسلم الى تخويف أعدائه ، باظهار قوته المتزايدة ، كما فعل فى اليوم التالى لمعركة أحد بعد انتصار قريش . فتعقب جيوشهم الى حمراء الأسد ففروا وخشوا العودة لقتاله .

ولا يمكن أن ننس ما أمر به عليه الصلاة والسلام . من استعراض الجيش أمام أبى سفيان بن حرب حين حضر اليه مندوبا عن قريش للتفاهم عند فتح مكة . فرأى ألوية ضخمة لا قبل لهم بها . ورأى الكتيبة الخضراء . وهى ما تسمى الآن تقريبا (فرقة الصاعقة) ، فاهتز قلب أبى سفيان فرقا ، وهلعت نفسه بين جنبيه . وأسرع الى قريش فأخبرهم بهذه الأنباء المروعة ، ثم أعلن اسلامه . وبهذا (التكتيك) القوى فتحت مكة ، ودخلها الرسول صلى الله عليه وسلم ظافرا منتصرا .

نرى من كل ذلك أن أهداف الغزوات واضحة لكل ذى عينين . وكل ذى قلب سليم . فقد كان الأعداء يحيطون بالمدينة ، ويعذبون المستضعفين من المسلمين ، ويحبسونهم فى مكة ، ويمنعوهم من الهجرة واللحاق باخوانهم ، ويؤلبون القبائل ويأتمرون مع اليهود ، ويشترون ضمائر المنافقين . فلا غرابة اذا قام المسلمون بعمل حاسم فى تأديب الأعداء بقتالهم بعزم أكيد ، حيث كانت الغزوات الحل الوحيد . ويظهر أن التاريخ يعيد نفسه — كما يقال — فاليهود حتى اليوم لا يعرفون الا لغة القوة ، ولا يعرفون العدل والرحمة الا حين تدوسهم الأقدام ردا لعدوانهم . وستظل راية الاسلام والعروبة مرفوعة الى الأبد باذن الله والله مع الصابرين .

فالسيف لم يكن سبيلنا الى نشر الدين الحنيف . نحن لا نشهره الا اذا رأينا من الأعداء صفاقة لا نستطيع السكوت عليها وعندئذ نتركه يهوى على رقابهم يقطفها اذا حان قطافها وعلى أجسامهم يحصدها حصد الهشيم ، حتى يكونوا فى الحياة نسيا منسيا . والصهاينة اليوم يعلنون فى تبجح أنهم يثأرون لهزيمتهم فى غزوة خيبر على يد النبى صلى الله عليه وسلم .

(ب) النتائج :

ماذا أقول عن نتائج الغزوات وقد سجل التاريخ لها صحائف مشرقة . نذكر منها بعض سطورها عبرة وعظة لأولى الألباب .

١ — خضعت قريش وانتهى أمرها . ودخلت فى الاسلام راضية .

٢ ــ فتحت مكة بدون قتال . وعاد اليها النبى صلى الله عليه وسلم فاتحا بعد ثمانية اعوام من هجرته الى المدينة .

٣ ــ انتهت عبادة الأوثان والأصنام . وأصبحت العبادة للواحد الديان .

٤ ــ غادر معظم اليهود أماكنهم ، وجلوا عن المدينة ، وتشتتوا فى الصحراء وأطراف الجزيرة .

٥ ــ تكونت بالجزيرة العربية دولة قوية ناهضة لها دستورها ونظامها ومقوماتها .

٦ ــ بعث النبى صلى الله عليه وسلم بكتبه مع رسله الى الملوك والرؤساء يدعوهم الى الاسلام . فلما أحسوا بقوة الاسلام وصدق مبادئه استجاب بعضهم . ورد آخرون باجابات طيبة وارسلوا الهدايا .

٧ ــ حرم على المشركين دخول المسجد الحرام والطواف حول الكعبة لأنهم نجس بالشرك .

٨ ــ ومن أهم النتائج أن يأخذ شبابنا العبرة من عزة أسلافهم فى تلك الغزوات التى تنادينا لنستعد لأعدائنا بكل قوة ، ونستمد من تاريخنا العظيم ، وتراثنا التليد ، سبيلنا الى المجد والنصر .

(جـ) خاتمة :

هذه هى الغزوات بمالها وما عليها . لقد انتصر المسلمون فى معظمها . وهزموا فى بعضها . وكانت الهزيمة دروسا لهم . عرفوا منها خطأهم حين خرجوا على أوامر القيادة الحكيمة ، وأفادوا منها الصبر واحتمال المشاق والتآخى والتعاون . واقبلوا فيها على الموت فكتبت لهم الحياة ، والسعادة فى الدارين . فقد خرجوا منها فى النهاية مرفوعى الرءوس موفورى الكرامة . وقد انتهت الغزوات بأكرم نهاية فقد حج مع الرسول الكريم فى حجة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة آلاف من المسلمين .. وهم اليوم مئات الملايين فى كل أنحاء الدنيا . يقدمون لها أفضل القيم ، وأروع النظم ، ويسهمون بقوة فى بناء الحضارة الانسانية وأساسها العلم والايمان .

الفصل السادس

أمهات المؤمنين

(أ) خديجة بنت خويلد

(ب) سودة بنت زمعه

(جـ) عائشة بنت أبى بكر الصديق

(د) حفصة بنت عمر بن الخطاب

(هـ) زينب بنت خزيمة

(و) زينب بنت جحش

(ز) جويرية بنت الحارث

(ح) صفية بنت حيى بن أخطب

(ط) رملة بنت أبى سفيان بن حرب (أم حبيبة)

(ى) هند بنت أبى أمية المخزومى (أم سلمة)

(ك) ميمونة بنت الحارث الهلالى

(ل) أسماء بنت النعمان الكندية

(م) عمرة بنت يزيد الكلابية

(ن) مريم المصرية (القبطية)

بيان موجز عن أمهات المؤمنين

(أ) خديجة بنت خويلد

ذات حسب ونسب ، وذات مال وجمال . تزوجت من عتيق بن عابد المخزومى وأنجبت له طفلة ثم توفى . فتزوجت من أبى هالة بن مالك التميمى . وانجبت منه طفلين ثم توفى . ولم يدم زواجها منهما الا بضعة أعوام . تقدم لها كثيرون من الأشراف للزواج منها بعد وفاة زوجيها . ولكنها أعلنت عزوفها عن الزواج . وزهدها فى الرجال واكتفت بتربية أطفالها .

وكانت تستثمر أموالها فى التجارة الى الشام والى اليمن . وتستأجر من أجل ذلك بعض الأشخاص الذين تثق فى اخلاصهم وأمانتهم . الى أن سمعت عن محمد بن عبد الله الشاب القرشى الملقب بالصادق الأمين بين قومه فى مكة . وعرفت من أخلاقه وسجاياه ما حببها فى اتخاذه وكيلا لها فى تجارتها فأرسلت اليه تعرض عليه هذا الشأن فوافق .

خرج لها فى تجارة الى الشام . وسار معه أحد مواليها (ميسرة) . ولما رجعت القافلة كانت خديجة فى انتظارها فى لهف زائد وشوق عظيم . ولكن فى الحقيقة كانت تنتظر محمدا فقد تحرك قلبها نحوه . وزاد من حبها له ما سمعته من ميسرة مما حدث فى الطريق فقد قرر الرهبان الذين رأوا محمدا أنه صاحب شأن كبير فى المستقبل . وأن به سماتا لا تظهر الا على الأنبيـــاء .

استقبلت محمدا بكل ترحاب ، وسمعت منه أخبار التجارة وأرباحهـــا الوفيرة ، فلم تجد وسيلة تعبر له بها عن عظيم شكرها وامتنانها الا أن تعرض عليه الزواج منها . بالرغم من فارق السن فهى فى الأربعين من عمرها وهو فى الخامسة والعشرين .

فذهب محمد الى أعمامه وعرض عليهم الأمر فوافقوا . وذهب معـــه عمه أبو طالب وخطبها له من أبيها . وتم الزواج السعيد وعاشا معا أكرم زوجين خمسا وعشرين سنة . وأنجبت له كل أولاده ما عدا ابراهيم . وهم : زينب ، رقية ، أم كلثوم ، فاطمة ، القاسم ، عبد الله الملقب بالطيب الطاهر . ولذلك كان محمد يكنى بأبى القاسم .

لاحظت خديجة على زوجها عزوفه عن التماثيل والأصنام ، وعدم احترامه لها أو التقرب منها . كما لاحظت ميله الى التفكير ، ثم رأته يخرج الى الخلاء ،

ويذهب الى غار فى سفح جبل بالقرب من مكة يسمى (غار حراء) . وقد يبقى به أياما للتفكير الهادىء بعيدا عن مكة وأسواقها التجارية والأدبيـة وحجاجها وضوضائها . فكانت خديجة تعد الطعام وترسله له فى الغار . كما ترسل مواليها للاطمئنان عليه .

وفى أحد الأيام عاد اليها مسرعا مضطربا . وأخبرها بأن شخصا أتى له فى الغار ، وطلب منه أن يقرأ . فأجاب عليه أنه لا يقرأ . فكررها ذلك الشخص ثلاثا ثم ضمه الى صدره بقوة وقال له (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم) . فقرأها محمد بن عبد الله وانطبعت فى قلبه . ولم يفهم المقصود من ذلك .

فاستبشرت خديجة خيرا وآمنت به . فكانت بذلك أول انسان يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وقالت له (أبشر يابن عم واثبت . فوالذى نفس خديجة بيده . انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة) . وكان عليه الصلاة والسلام قد بلغ الأربعين من عمره . ووجد فى مال زوجته ما يغنيه عن العمل بأجر . فأعطى كل وقته للرسالة الالهية ليقوم بأعبائها على أحسن وجه وأتمه .

ومن فضل الله على السيدة / خديجة أنه سبحانه وتعالى قد خصها بالتحية والسلام فان جبريل عليه السلام أبلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن الله يقرؤها السلام . وهذا تكريم وتشريف لم تسعد به أية امرأة فى العالمين . فاستقبلت ذلك بالحمد والشكر . رضى الله عنها وأرضاها .

وقد رأينا فيما سبق أن قريشا قد اضطرت النبى الكريم وبنى هاشم للاقامة فى شعب أبى طالب بالقرب من مكة وحاصرتهم حصارا شديدا ومنعت عنهم المؤن وامتنعت عن مصاهرتهم . فتركت السيدة / خديجة أموالها وذهبت مع زوجها لتعيش معه فى السراء والضراء واحتملت الجوع وشظف العيش . وذلك فى السنة السـابعة للنبوة . واستمر الحصار كما قدمنا ثلاث سنوات .

وهناك شـعرت السيدة / خديجة بالمرض يدنو منها بسبب الجهـود المضنية التى بذلتها طوال خمس وعشرين سنة . لتهيئة الجو الهادىء الملائم لزوجها العظيم لتأدية رسالته . ولزمت الفراش وعيونها لاتغيب عن ابنتيها أم كلثوم وفاطمة . وتكاد تفضى اليهما بذات نفسها . وانهـا على وشك الرحيل . ولكنها أشفقت عليهما واحتملت الآلام .

وذات يوم دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم متهللا . يفيض وجهه بشرا . فقامت اليه وقد دبت فيها القوة والنشاط . ونسيت مرضـــها واستقبلته ببشاشة ومحبة . فأخبرها بانتهاء الحصار الذى فرضته عليهم قريش . وانهم سيعودون قريبا الى مكة وفعلا عادوا الى البيت الحبيب الى قلوبهم . وفرحت الشقيقتان برؤية مهـــد حياتهما بعد هجرة ثلاث ســـنوات .

ولم يكن يستقر للأسرة المقام فى بيتها حتى عاد المرض واشـــتد مره أخرى على السيدة / خديجة . فأحاط بها زوجها وبناتها الثلاث زينب وأم كلثوم وفاطمة . الى أن فاضت روحها الطاهرة . وصعدت الى بارئها فى العاشر من شهر رمضان من السنة العاشرة للنبوة . وهى فى الخامسة والستين من عمرها . وعرف الحزن طريقه الى تلك القلوب المؤمنة . رحمها الله رحمة واسعة بقدر ما قدمت للأمة الاسلامية من خير وبركة . ولا يستطيع أى قلم أن يصف أو يصور تلك المشاعر النبيلة . والعواطف الجياشة فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم . وتأثره العميق لفقده شريكة حياته . ووزيرة جهاده . وأم أولاده . بل الأم الأولى للمؤمنين جميعا . عاونته بكل ما تملك ليؤدى الرســـالة بصـــدق وشجاعة . وآزرته بكل ما تستطيع أدبيا وماديا . فلاغرو أن يستغل الأعداء فقدانها ليزدادوا عتوا واستكبارا فى وجهه . ولكن الله ناصره . والله عليم بذات الصدور .

(ب) سودة بنت زمعة

بعد وفاة السيدة / خديجة رضى الله عنها . عاش النبى صلى الله عليه وسلم مع بناته يرعاهن ويؤدى لهن واجب الأبوة . بالرغم من عنايته الكبرى ليلا ونهارا بنشر الدعوة الاسلامية . ومقابلة الوفود ورؤساء القبائل .

وقد لاحظت (خويلة بنت حكيم) زوجة عثمان بن مظعون (وهمـــا من أوائل المسلمين المهاجرين الى الحبشة) . أن النبى صلى الله عليه وسلم فى حاجة الى من ترعى شـــئون بيته وبناتـــه . فاقترحت عليه أن يتزوج (سودة بنت زمعة بن قيس) . وهى سيدة متقدمة فى السن ولكنها تستطيع ان تقوم بهذه المهمة . وكانت سودة زميلتها فى الهجرة الى الحبشة ومات زوجها السكران بن عمرو بعد عودتها الى مكة . فوافق المصطفى عليه الصلاة والسلام وتزوجها .

فكانت أول سيدة يبنى بها الرسول الكريم بعد وفاة خديجة رضى الله عنها . وقد قامت بواجبها نحو زوجها العظيم ونحو بناته . وعرفت بالصلاح والتقوى . وعاشت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام حتى خلافة عمر بن الخطاب . .

(جـ) عائشة بنت أبى بكر الصديق

عندما عرضت (خويلة بنت الحكيم) على رسول الله أن يتزوج (سودة بنت زمعة) باعتبارها سيدة متقدمة فى السن . لترعى شئون بيته وبناته ، اقترحت عليه فى نفس الوقت أن تخطب له عائشة بنت أبى بكر . فوافق وخطبها فى مكة قبل الهجرة بسنة . ونظرا لحداثه سنها اذ لم تبلغ من العمر أكثر من تسع سنوات ، فقد تركها فى بيت أبيها لمدة ثلاث سنوات . وبنى بها فى المدينة فى السنة الثانية للهجرة . وبذلك زادت أواصر الصداقة بينه وبين صديقه الوفى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

كانت عائشة الزوجة المفضلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لنبوغها والمعيتها . حفظت القرآن الكريم ، وتفقهت فى الدين ، وحضرت مجالس المؤمنات مع رسول الله . وكانت حجة فى الأحاديث النبوية . وقد أشار الى فضلها عليه الصلاة والسلام فى قوله (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) . . .

وقد ذهبت مع النبى صلى الله عليه وسلم الى غزوة بنى المصطلق . وذلك جريا على التقاليد العربية فى ذهاب النساء والأطفال مع الرجال وحضور المعارك ، لتشجيع المحاربين ومنع المتسللين . انتصر المسلمون فى هذه الغزوة كما هو معلوم وكما رأينا فى الحديث عن الغزوات . وعادوا بالأسرى والأموال والسبايا . وأخذ الجيش فى العودة الى المدينة .

وكانت السيدة / عائشـــة تركب هودجها . وفى الطريق اضـــطرت لظروف قهرية أن تتخلف عن الجيش وتتأخر قليلا . ولم يتنبه الأشخاص الموكول اليهم قيادة الهودج بأنها لم تكن فيه ، وســـاروا مع الجيش . فعادت عائشة ولم تجد أحدا فجلست فى مكانها لتستريح أملا فى أن الموالى سيتنبهون الى غيابها عن الهودج ، وأنهم لاشك سيعودون اليها .

فى هذا الوقت مر أحد الصحابة فعرفها . فقدم لها ناقته وابتعد حتى ركبت وأسرعا فى السير حتى لحقا الجيش فى الطريق . وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد سأل عنها ولم يجدها . ثم علم بما حدث وعادا معا الى المدينة .

ولكن العداوة لا ترحم . والنفوس المريضة لا ترعى ذمة ولا كرامة . بل تنقض على الأعراض بالاشاعات الكاذبة ، والافتراءات المهينة . دون اعتبار لضمير أو شرف . ومتى كان يجتمع الضمير الحى مع الكذب والنفاق ! استغل بعض الأدنياء من الأعداء هذه الحادثة العادية للطعن فى السيدة /

عائشة رضى الله عنها . انتقاما من النبى صلى الله عليه وسلم . وحقدا عليه لانتصاراته المتوالية بفضل الله . سار حديث الافك بين الناس بتشجيع بعض الناس وقد عرفت أسماؤهم . فلم يصدق المؤمنون حرفا واحدا منه حتى زوجات النبى الكريم وهن ضرائر للسيدة عائشة .. فقد رفضن تصديق هذه الشائعات . وشهدن بأنهن لا يعرفن عن عائشة الا العفاف والطهر .

بلغت الشائعات أسماع النبى صلى الله عليه وسلم فتأثر لأنه انسان من حقه أن يشعر ويحس ويتألم . ولكنه لم يصدق شيئا من ذلك بل صبر صبرا جميلا . وكان واثقا كل الثقة من عائشة ولذلك لم يتخذ قرارا بشأنها . ولكنه فى دخوله عندها لم يكن حديثه معها كعادته . وقد مرضت عائشة فى تلك الفترة وذهبت عند أهلها . وطال المرض لمدة شهرين تقريبا وهى لا تعلم شيئا مطلقا مما تلوكه الألسنة فى حقها .

وأما أسرتها فقد علمت النبأ المؤلم فنزل على صدر والديها بالغم والحزن والألم الممض . ولكن الأسرة كتمت أمرها واحتملت عذاب النفس الى أن يأتى الله بأمره . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يزورهم من وقت لآخر ، ويلحظ الحزن فى العيون الصامتة . ويسمع دقات قلوبهم تكاد تخرج من صدورهم فزعا وألما . وفى احدى الأمسيات وعائشة طريحة الفراش . أخبرتها أمها بكل شىء . فزاد مرضها واشتد همها ، وأدركت عندئذ لماذا كان قد تغير أسلوب النبى الكريم نوعا معها . دون أن تدرى أن الأعداء أرادوا الاساءة التى سمعتها للنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحزنت وبكت ولكنها لم تيأس من رحمة الله ، واتجهت اليه تعالى بقلب خاشع ، فاستجاب الله الى دعائها . وأظهر براءتها وأنزل فى حقها فى القرآن فى سورة النور (ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لاتحسبوه شرا لكم . بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم) . وقال تعالى أيضا (أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وقد نزل الوحى الأمين على سيد المرسلين بهذه الآيات الكريمة وهو جالس بجوارها فى بيت أبيها . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبشرها بنفسه بالبراءة . ففرحت القلوب . وسعدت النفوس . وعادت الحياة الزوجية سيرتها الأولى . وعوقب الظالمون المفترون . وأقيم عليهم الحد الشرعى .

وعندما اشتد المرض على النبى صلى الله عليه وسلم . استأذن زوجاته أن يقيم عند عائشة . فوافقن ورضين بذلك عن طيب خاطر . وعندما حانت لحظة انتقاله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى . كانت رأسه فى حجرها بين سحرها ونحرها . وعاشت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام خمسين عاما . تفقه الناس فى الدين ، وتروى الحديث ، ويرجع اليها الصحابة وغيرهم فى كثير من الموضوعات الدينية . وخاصة ما يتصل بحياة النبى الكريم الشخصية والعائلية . وقد ماتت فى السبعين من عمرها بعد حياة حافلة بالعلم والدين والتقى والورع . رحمها الله رحمة واسعة .

(د) حفصة بنت عمر بن الخطاب

كانت حفصة متزوجة من (خنيس بن حذافة السهمى) أحد المهاجرين الى الحبشة . وقد استشهد فى غزوة بـــدر . وهى فى الثالثة عشرة من عمرهــا .

وتبعا للتقاليد العربية وقتئذ . فقد عرض أبوها على صديقه أبى بكر أن يتزوجها فرفض لأنه كان يرجو الزواج من فاطمة بنت الرسول الكريم بالرغم من حداثه سنها . فعرض عمر بن الخطاب على صديقه عثمان بن عفان أن يتزوج من ابنته حفصة فرفض لحزنه على وفاة زوجته رقيه بنت النبى صلى الله عليه وسلم . وكان يرغب الزواج من أختها أم كلثوم .

فتضايق عمر وتألم من اعراض صديقيه عن الزواج من ابنته . وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو له ما حدث منهما . مع أن ابنته فى ريعان الشباب وأن حزنها على زوجها قد ملأ قلبها . فرأى النبى الكريم بثاقب فكره وحكمته . وحرصه على صحابته . أن يطيب خاطر عمر بن الخطاب . وأن يعيد الفرحـــة لقلب ابنتـــه الثكلى . وقال له (سيتزوجها من هو خير منهما) . فأدرك عمر بن الخطاب أن النبى الكريم يخطبها لنفسه . فتهلل وجهه ونقل البشرى الى ابنته . ففرحت ونفضت عن كاهلها الأحزان . وتم الزواج وأصبحت حفصة من أمهات المؤمنين .

وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . عاشت حفصة مرجعا للصحابة والعلماء فى الأحاديث النبوية . واختارها أبو بكر أثناء خلافته لحفظ صحف القرآن عندها . ثم توفيت الى رحمة الله بالمدينة فى الستين من عمرها .

(هـ) زينب بنت خزيمة

تزوجت زينب بنت خزيمة من ابن عمها (جهم بن عمرو بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف) . ولما توفى تزوجت (عبيدة بن الحارث بن المطلب

ابن عبد مناف) . وقد استشهد فى غزوة (أحد) التى استشهد فيها كثيرون من صناديد المسلمين . أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يكفكف عبراتها وأن يعيد البهجة والسرور الى قلبها المكلوم . فلم يجد خيرا من أن يخطبها لنفسه ويتزوجها بالرغم من تقدم سنها .

فكانت لهذه اليد النبوية الحانية . والقلب الشـــفيق . أكبر الأثر فى انتشال النفوس الكريمة المؤمنـــة من غياهب الأحزان . واعادتهـــا الى سعادة الدين والدنيا . وانتقلت زينب الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . حيث وجدت راحة النفس واطمئنان الجنان . الى أن حانت النهاية وانتقلت الى جنة ربها راضية بعد ثمانية أشهر من الزواج الكريم .

وبذلك كانت زينب بنت خزيمة رضى الله عنها احدى زوجتين توفيت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم . والأولى كانت السيدة / خديجة رضى الله عنها . وقد تكلمنا عنها من قبل .

(و) زينب بنت جحش

كانت زينب بنت جحش ذات حسب ونسب . ولها مكانة مرموقة فى قومها . وكانت أمها أميمة (أو أمية) عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
خطبها الرسول الكريم لزيد بن حارثة . وكان قد تبناه منذ طفولته ورباه فى بيته مع (على بن أبى طالب) . وكان يعرف فى أول الأمر بين لداته باسم (زيد بن محمد) . وافقت زينب على هذا الزواج احتراما لأمر النبى صلى الله عليه وسلم . ولكنها كانت فى أشد حالات الضيق النفسانى . وتعالت على زوجها لحسبها ونسبها . فهى قريشية وهو من الموالى . ولم تشفع له عندها نشأته فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأن الاسلام قد قضى على نظام الطبقات .

أحس زيد بقسوة معاملة زوجته له . وتعاليها عليه . وتبرمها بالحياة معه . لقد صبر كثيرا وحاول اصلاح الأمر حتى يئس من استجابتها للحياة الشرعية الواجبة حين لم تهدأ نفسها الشامخة المتعالية . وتعود الى الحق . فطلقها ليرتاح ضميره .

لقد ظنت زينب فى قرارة نفسها أنها بهذا الزواج قد انحط قدرها بين رفيقاتها . واهتزت مكانتها الرفيعة . وتضايقت من هذه الخواطر التى كانت تأتيها ليلا فتؤرقها . وتطوف بها نهارا فتعذبها . وقد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم بانسانيته العميقة . ما يدور فى قرارة تلك النفس

المعذبة . فأراد أن يبعث فيها الثقة والاطمئنان . وأن يعيدها الى مكانها المرموق من قريش . فخطبها لنفسه وتزوجها . وبذلك عوضها خيرا عما أحست به عند زواجها السابق أنه محنة ومأساة .

والنبى صلى الله عليه وسلم بهذا الزواج قد قرر قاعدة لها أهميتها وأثرها فى حياة الناس الى الأبد . لأن العرب كانوا لا يتزوجون مطلقات أبنائهم بالتبنى . ولكن القرآن الكريم أثبت بالآيات الكريمة فى سورة الأحزاب أن ما قام به النبى الكريم هو الصحيح . وهو الواجب أن يتبع بالنسبة لكل الناس . وقصر المنع على مطلقات الأبناء من الاصلاب فقط . ومنذ تلك اللحظة عرف زيد باسم أبيه الحقيقى حارثة . قال تعالى (واذ تقول للذى أنعم الله عليه ، وأنعمت عليه . أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا . وكان أمر الله مفعولا) .

وعلى طريقة العداوة القريشة ، فقد وجد بعض الناس الآثمين فى هذا الطلاق وهذا الزواج سبيلا للطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم ، والنيل من الاسلام ، لأنه خالف تقاليدهم العتيقة التى عفا عليها الزمن ، وهم من الجهود الفكرى بحيث يكرهون أى اصلاح ، ولكن من واجب النبوة أن ترتفع بهذا الفكر . وأن تسمو به الى مصاف الانسانية ، ونسى هؤلاء المرجفون فى زحمة الحقد والحسد ، أن الرجل منهم كان يرث زوجات أبيه ويتزوجهن ، وقد منع الاسلام ذلك ، وكانوا يجمعون بين الأختين ، فحرم الدين الحنيف ذلك أيضا ، وكثيرا غيرها مما تأباه النفوس الكريمة والضمائر الحية ، وليتذكروا اذا ما تعدد الاخوة . وتعددت زوجات الأب . كيف تعيش هذه الأسرة بعد وفاته . وكيف يعيش الأبناء مع زوجات الأب بصورة حيوانية همجية . بل ان الحيوانات مظلومة لأنها لا تعيش كذلك .

فهل يعاب على الدين الاسلامى أن نظم لهم المجتمع ، وجعل للزواج معنى أسمى من الاتصال الجنسى والمتع الرخيصة . ومن جهة أخرى فانه بالنسبة للسيدة / زينب بنت جحش وزواجها من رســـول الله صلى الله عليه وسلم . فهى بنت عمته . وكان يستطيع الزواج منها قبل زيد بن حارثة لو أراد . وكان يراها دائما ولذلك فهـــو ليس فى حاجة أن يعجب بجمالها بعد زواجها من زيد . انه يعرفها حق المعرفة . ويعرف جمالها وكمالها ومكانتها فى قومها . وذلك بعكس ما يرجف به المرجفون المغرضون من أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم . وأعداء الاسلام . سواء من

أدعياء المستشرقين أو غيرهم الذين يفترون الكذب ويقولون ان محمدا عشق زينب فطلقها من زيد ليتزوجها من بعده .

انهم يجهلون حقيقة الاسلام . ويجهلون مكانة النبى العظيم . ويجهلون شخصيته الفذة . والتى لم ولن يجود الزمان بمثلها . لأنها من صنع الله سبحانه وتعالى . فليأكل الحقد قلوبهم . وليموتوا بغيظهم . فالجحيم مأواهم . والسعير مثواهم .

(ز) جويرية بنت الحارث

لقد انتهت غزوة بنى المصطلق فى السنة السادسة للهجرة بانتصار المسلمين وظفرهم بالسبايا والأسرى والأموال الطائلة . وكان ضمن السبايا (برة بنت الحارث أبى ضرار) سيد بنى المصطلق وقائد جيشهم . وعدو الاسلام .

وعند توزيع المغانم والسبايا وقعت (برة) فى سهم (ثابت بن قيس) . فأرسلت له تسأله عن مقدار الفدية لتفدى نفسها وتعود الى أهلها . ولكنه غالى فى قيمة الفدية فذهبت الى النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة بنت أبى بكر . وشكت اليه حالها . وأخبرته أن زوجها عبد الله (ابن عمها) قد قتل فى المعركة .

فعطف عليها النبى صلى الله عليه وسلم وأراد أن يخفف عنها مصابها . وخيرها بين أن يعتقها ويتزوجها . وبين أن تعود الى أهلها . ففرحت وأسلمت وأعلنت رغبتها فى الزواج منه عليه الصلاة والسلام .

وحضر والدها ومعه ابل كثيرة ليفتدى ابنته . لأنه لا يليق بمكانته أن تبقى ابنته ضمن الاماء وهو سيد قومه . فوجدها معززة مكرمة . وعندئذ خطبها منه النبى صلى الله عليه وسلم . فوافق اعجابا بهذه الروح السمحة وأسلم معه قومه . فبادر جميع المسلمين باعادة السبايا والأسرى والأموال الى بنى المصطلق احتراما لهذا الزواج الذى هداهم الله به الى الهدى والرشاد .

عكفت (برة) على العبادة والتقى . وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير اسمها الى (جويرية) . وهى أول زوجة عن طريق السبى والانتصار فى الغزوات يتزوجها النبى الكريم . وعاشت رضى الله عنها خلافة معاوية بن أبى سفيان . وعند وفاتها دفنت فى البقيع بالمدينة مع سيداتنا أمهات المؤمنين .

(ح) صفية بنت حيى بن أخطب

انتصر النبى صلى الله عليه وسلم على يهود خيبر عندما نقضوا عهدهم . والبوا الأعداء ضده فى السنة السابعة للهجرة . واستولى المسلمون على السبايا والأسرى والأموال . وقتل عدو الله حيى بن أخطب سيد خيبر وقائد جيش الاعداء .

وكان ضمن السبايا سيدة تدعى (صفية بنت حيى بن أخطب) وكانت متزوجة من كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق . من زعماء اليهود فى بنى النضير . وكانت قبله عند سلام بن مشكم . وكذلك وقع زوجها كنانة فى الأسر . فسئل عن مكان أمواله وهو من أثرياء اليهود فأنكرها وكذب وحاول أن يغدر بالمسلمين فقتلوه . جزاء بهتانه وغدره .

وعند توزيع السبايا عرض عليها النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام أو البقاء على دينها . فاختارت الاسلام وأسلمت . وحسن اسلامها . فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها . فأثارت غيرة باقى الزوجات لجمالها وخاصة عائشة رضى الله عنها . ولكنها أحبت فاطمة الزهراء بنت رسول الله وأخلصت لها الود .

وقيل عنها أنه عندما كانت فى قومها قبل المعركة أنها كانت تعطف على المسلمين . ولا توافق أباها على عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل أيضا أنها ذكرت النبى الكريم بالخير أمام زوجها كنانة بن الربيع فضربها .

وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . حدث فى خلافة عثمان بن عفان أن اعترض عليه بعض الناس لتصرفاته وتعيين أقاربه حكاما للولايات . وسخطوا عليه . وحبسوه فى داره دون طعام أو شراب . وكانت صفية تسكن بجواره . فأخذت تنقل اليه الطعام سرا . كما انتصرت له ودافعت عنه . وقد توفيت فى خلافة معاوية بن أبى سفيان . ودفنت فى البقيع مع سيداتنا أمهات المسلمين .

(ط) رملة بنت أبى سفيان (أم حبيبة)

هاجر بعض المسلمين فى بداية الدعوة الاسلامية بمكة الى الحبشة بأمر من النبى صلى الله عليه وسلم ابتعادا عن قريش وظلمها واعتداءاتها . وهاجر منهم عبيد الله بن جحش الاسدى ومعه زوجته رملة بنت أبى سفيان بن حرب عدو الله فتضايق أبو سفيان من اسلام ابنته وهجرتها مع زوجها .

وفى الحبشة عاشت رملة مع زوجها وأنجبت منه ابنتهما (حبيبة) . ولكنه لم يلبث أن تنصر وتركها وحيدة بلا معين . مع أنها هاجرت معه فى سبيل الله . واحتملت مشاق الاغتراب . فصبرت صبرا جميلا على هذا البـــــلاء .

فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرها . أرسل الى النجاشى ليخطبها له . كما أرسل الى خالد بن سعيد أحد المهاجرين بالحبشة ليكون وكيلا عنه . وقد تفضل الرسول الكريم بذلك تثبيتا للسيدة رملة على اسلامها وتعويضا لها عما أصابها بسبب ترك زوجها لها . ولتجد نفسها عند عودتها الى بلادها فى رعايته فلا يتعرض لها أحد بأذى وخاصة والدها . وقد ارتاحت نفسها لهذا الزواج واطمأن خاطرها . وعادت مع المهاجرين الذين وصلوا المدينة يوم انتصار المسلمين فى غزوة خيبر . فاشتركوا مع المنتصرين فى أفراحهم . واستقبلها النساء بالترحاب والتقدير والاحترام لصبرها على المتاعب . واحتمالها للمكاره فى سبيل عقيدتها . ووجدت فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كل اكرام .

وقد عاشت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فى عبادة وتقوى الى أن توفيت ، ودفنت فى البقيع مع سيدتنا أمها المؤمنين .

(ى) أم سلمة بنت أبى أمية المخزومى (هند)

هاجر عبد الله بن عبد الأسد المخزومى ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة مع أوائل المهاجرين اليها من المسلمين . وأخذ معه زوجته هند بنت أبى أمية بن المغيرة . فأنجبت منه ابنهما (سلمة) بالحبشة . وعندما سمعوا فى الحبشة باسلام قريش اطمأنوا وعادوا الى مكة . ولكن ظهر أن النبأ غير صـــحيح . ووجدوا قريشـــا مستمرة فى اضطهادها للمسلمين . فهاجر أبو سلمة وزوجته وطفلهما الى المدينة قبل هجرة الرسول الكريم اليها .

وفى الطريق الى المدينة هاجمهم بعض الأشخاص من قومها ومنعوا أم سلمة من اللحاق بزوجها . واحتجزوها واختطفوا الطفل وأطلقوا سراح زوجها أبى سلمه . فسار الى المدينة وحيدا . حاولت أم سلمة فى هذه الفترة الخلاص من أهلها واستمرت فى هذه المحاولة حوالى سنة تقريبا . الى أن استطاعت النجاة بطفلها وذهبت الى زوجها بالمدينة . فرحب بهم الأنصار أكرم ترحاب . وأحاطوهم بكل رعاية لما قاسوه من متاعب . وهذه كانت صورة متكررة من اعتداءات أعداء الاسلام . فقد كانوا يمنعون

المسلم من اداء واجباته الدينية . ويفرقون بين الزوج وزوجته . ويخطفون الأطفال . وليس لهم من ذنب أو جريرة الا أن يقولوا (ربنا الله) .

وبعد ثلاث سنوات من الهجرة مات أبو سلمة فحزنت عليه حزنا شديدا وعاشت مع بناتها الثلاث وابنها سلمة . وطبقا للتقاليد العربية (التى رأيناها فى الفصول السابقة) تقدم اليها أبو بكر الصديق طالبا الزواج منها بقصد رعايتها ورعاية أولادها بعد كل هـــذا العذاب والعناء والمتاعب الجمة التى تعرضت لها فى حياتها فرفضت . فتقدم اليها عمر بن الخطاب للزواج منها أيضا لنفس الأسباب الكريمة التى تقدم من اجلها أبو بكر . وهذا تقليد نبيل لم يفهمه الأعداء .

فتقدم المصطفى عليه الصلاة والسلام طالبا الزواج منها . فأعتذرت بتقدم سنها وكثرة أولادها وبغيرتها من نسائه فقال لها صلى الله عليه وسلم . أما انك مسنة فأنا أسن منك ، وأما الغيرة فيذهبها الله وأما الأطفال فدعيهم لله وللرسول . وعندئذ لم تمانع أن تحظ بهذا الشرف العظيم الذى كانت تتمناه كل قبيلة مؤمنة . وتسعى اليه بأجمل فتياتها . ولكنه عليه الصلاة والسلام كان يرى فى الزواج من المؤمنات المجاهدات الصابرات مهما تقدمت سنهن واجبا انسانيا . لتخفف عنهن ضراوة الحياة . ويمنع عنهن شظف العيش وذل الحاجة . فهـــو زواج بعيد عن المتعة والجنس . ولا يفهمه الا الانسان المسلم المؤمن . زواج يقوم على الرحمة والحفاظ على المؤمنات من غدر الغادرين واعتداء المعتدين . وحمايتهم من العوز والفاقة ، ومعظمهن تجاوزن سن الشباب بل كن فى شيخوخة واضحة . ولم ينفرد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الزواج . فقد شاركه الصحابة فى هذا الخير . ولو أنه يتميز عنهم بسعة الرحمة التى كان يفيض بها قلبه . والحنان الذى كان يملأ صدره نحو المؤمنات وخاصة الثكلى اللائى فقدن العائل فى ميدان الشرف والجهاد فى سبيل الله ولا تعجب من ذلك فقد قال تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) .

تم الزواج من السيدة أم سلمة وعاشت عزيزة الجانب فى كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعرف عنها الرأى السديد . وقد حدث أنه عندما وقفت قريش ضد النبى الكريم وأرادت منعه من دخول مكة حتى لا يقال انها خضعت وهزمت امام المسلمين . فى حين أن المسلمين كانوا يصرون على الدخول بالقوة مهما كلفهم الأمر . فى هـــذه اللحظات الحاسمة العصيبة ظهرت قيمة المرأة الصالحة ذات الفكر الراجع والرأى الصائب . فقد أشارت السيدة أم سلمة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مركز

القوة أن يؤجل دخول مكة الى العام التالى ، وأن يحل من احرامه بالعمرة ويحلق رأسه فاذا رآه أصحابه قد حلق رأسه حلقوا فأخذ بمشورتها بالرغم من غضب المسلمين لأنه اقتنع بوجهة نظرها .

وبعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم عاشت أم سلمة الى أن توفيت فى خلافة يزيد بن معاوية .

(ك) ميمونة بنت الحارث الهلالى

فى شهر ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة اتفقت قريش مع النبى صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية . أن يدخل مكة معتمرا فى السنة التالية لمدة ثلاثة أيام فقط . وتنفيذاً لهذا الاتفاق السلمى دخل النبى الكريم مكة معتمرا (عمرة القضاء) . وطاف وأصحابة حول الكعبة ، ودوى اذان بلال فى أرجاء مكة .

وهناك قابله عمه العباس بن عبد المطلب . وعرض عليه الزواج من (برة بنت الحارث) شقيقة زوجته (أم الفضل) . من المؤمنات السابقات فى الاسلام . يقال انها المرأة الثانية التى آمنت بالرسول الكريم بعد السيدة خديجة رضى الله عنها . وكانت (برة) سيدة فقيرة فى الخمسين من عمرها وقد توفى زوجها (أبو رهم بن عبد العزى) .

فوافق النبى صلى الله عليه وسلم على الزواج منها عندما علم بظروفها القاسية . وأعلنت خطبته لها . فلما علمت (برة) بما تم بين النبى الكريم وعمه العباس بشأنها وكانت فى الطريق الى منزلها . فرحت وأعلنت أنها قد وهبت نفسها للرسول صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله تبارك وتعالى فى حقها (وامرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبى) .

أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يتم زواجه منها فى مكة . ولكن وحضر اليه فى اليوم الثالث حويطب بن عبد العزى ومعه نفر من قريش ، وطلبوا منه أن يغادر مكة طبقا للاتفاق المعقود بينه وبينهم ، ولم يسمحوا له ببضعة أيام لاتمام الزواج . فاستجاب النبى الكريم لطلبهم احتراما للاتفاق وغادر مكة . ثم لحقت به (برة) فى الطريق بقرية (سرف) بالقرب من مكة . وبنى بها هناك .

وسبق أن هاجرت (برة) مع شقيقاتها الثلاث . فأطلق عليهن النبى صلى الله عليه وسلم : (الشقيقات المؤمنات) . وقد غير الرسول الكريم اسمها من (برة) الى (ميمونة) تيمنا بدخوله والمسلمين مكة . وهى آخر زوجة تزوجها المصطفى عليه الصلاة والسلام .

(ل) أسماء بنت النعمان الكندية

تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم . ولكن لما حضرت الى بيته وجد عندها مرض البياض وهو ما يعرف (بالبرص) . فلم يدخل بها وأكرمها وأعادها الى أهلها .

(م) عمرة بنت يزيد الكلابية

تزوجها الرسول الكريم ولما حضرت عنده كانت حديثة عهد بالكفر . وبها أنفة وكبرياء . وأساءت التعبير عند مقابلتها له . فأعادها الى أهلها معززة مكرمة بدون أن يدخل بها .

(ن) مريم المصرية (القبطية)

سبق أن تحدثنا أنه فى السنة السادسة للهجرة النبوية الشريفة قد تم صلح الحديبية بينه وبين قريش . ونتيجة لذلك هدأت الأحوال وامتنعت الحروب فترة من الزمن . فوجد النبى صلى الله عليه وسلم الفرصة مواتية لارسال رسله بكتب الى الملوك والرؤساء ، يدعوهم الى الاسلام . فأرسل (حاطب بن بلتعة) الى المقوقس عظيم أقباط مصر بمقره الدينى بالاسكندرية .

فرحب به المقوقس واستقبله استقبالا طيبا . وأجاب اجابة لطيفة كلها تقدير واحترام . وارسل مع حاطب هدية قيمة للنبى عليه الصلاة والسلام عبارة عن فتاتين شقيقتين (مريم ، سيرين) من أكرم بيت مصر . ومعهما أخوهما (مأبور) .

أخذ النبى الكريم مريم لنفسه وتزوجها بعد أن أسلمت . فأنجبت له (ابراهيم) ففرح به فرحا شديدا . وكان يحتضنه كثيرا ويقبله . ويأخذه بين يديه لتراه عائشة فكانت تغار لأنها لم تنجب . بل ان جميع الزوجات بعد خديجة لم ينجبن أطفالا للمصطفى عليه الصلاة والسلام . وبعضهن أنجبن أطفالا من الأزواج السابقين .

وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم شقيقتها (سيرين) لحسان بن ثابت بعد أن أسلمت وتسمت باسم (سعدية) وانجبت له ابنهما (عبد الرحمن) . وعاشت مريم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتزلت الناس حتى توفيت فى خلافة عمر بن الخطاب .

بيان موجز عن سيداتنا أمهات المؤمنين

رقم	الاسم	البيـــان
١	خديجة بنت خويلد	أول أمهات المؤمنين . أول من آمنت بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم من النساء . عاشا معا خمسا وعشرين سنة . وانجبت له كل أطفاله (٦) ماعدا ابراهيم فانه من مرية . لم يتزوج بغيرها فى حياتها . توفيت الى رحمة الله وهى فى سن الخامسة والستين .
٢	سودة بنت زمعة	هاجرت مع زوجها السكران بن عمرو ضمن المهاجرين الأوائل الى الحبشة وقد مات زوجها بعد عودتهما الى مكة . وهى أول سيدة تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بعد خديجة لترعى شئون بيته وبناته . كانت متقدمة فى السن .
٣	عائشـــة بنت أبى طالب	خطبها بمكة وعمرها تسع سنوات لزيادة رابطة الصداقة بينه وبين أبى بكر . بنى بها فى المدينة فى الســـنة الثانية للهجرة وعمرها اثنتا عشر سنة . كانت تتقـــد ذكاء . وحفظت القـــرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . قال عنها رسول الله (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) . كانت أثيرة عنده وكانت تغار بشدة من باقى الزوجات . ذاع ضدها حديث الافك ثم أظهر الله براءتها فى القرآن الكريم . توفى النبى صـــلى الله عليه وســـلم فى بيتها ورأسه على صدرها بين سحرها ونحرها .

رقم	الاسم	البيـــان
		وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام كانت مرجعا للفقهاء والعلماء فى الشئون الدينية وخاصة فى رواية الحديث النبوى الشريف .
٤	صـــفية بنت عمر	استشهد زوجها الأول فى معركة بدر الكبرى وهى فى ريعان الشباب . رفض أبو بكر وعثمان بن عفان الزواج منهـــا فتألم أبوها وشكاهما للنبى الكريم . تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم رحمة بشبابها وقلبها الحزين . بعد وفاة النبى الـــكريم اختارهـــا أبو بكر فى خلافته فعهد اليها أن تحفظ عندها صحف القرآن الكريم .
٥	زينب بنت خديجة	استشهد زوجها الأول فى غزوة أحد . تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بالرغم من تقدم سنها لحمايتها من الأعداء . توفيت بعد ثمانية أشهر من زواجها .
٦	زينب بنت جحسن	ابنة عمة رسول الله صـــلى الله عليه وســـلم (السيدة / أمية بنت عبد المطلب) وقد تزوجت أولا من زيـــد بن حارثة احتراما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . تعالت على زوجها بنسبها فهى قرشية وهو من الموالى واشـــتد الخلاف بينهما ولم يمكن التوفيق واصلاح الحال فطلقها . ثم تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ليعيد اليها الثقة فى نفسها . والأطمئنان فى قلبها . وزواج النبى الكريم منها أعطى قاعدة جديده لجميع المســلمين . لأنه تزوج من مطلقة الابن بالتبنى . واقر القرآن ذلك . واقتصر المنع على زوجات الأبناء من الأصلاب .

رقم	الاسم	البيـــان
٧	جويريـــــة بنت الحارث	أول زوجة من الســـبايا عنـــد هزيمة قومها فى غزوة بنى المصطلق . اسمها الأصلى (بره) فغيره النبى صلى الله عليه وسلم الى (جويرية) . فضلت الاسلام والزواج من النبى الكريم على العودة الى أهلها . أكرم المسلمون هذا الزواج فأعادوا الأسرى والأموال والسبايا الى قومهم . وتقديرا لما قام به النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين جميعا من سماحة وكرم . فقد أسلمها والدها وقومه .
٨	صفية بنت حيى ابن أخطب	وقعت فى الأسرة فى معركة خيبر . قتل أبوها فى المعركة . وقتل زوجها لغدره وكذبه واخفاء أمواله . خيرها النبى صلى الله عليه وسلم بين الاسلام وبين البقاء على دينها واعادتها الى أهلها فاختارت الاسلام . أعتقها النبى الكريم وتزوجها .
٩	أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب	هاجرت الى الحبشـــة مع زوجها مـــع أوائل المهاجرين وانجبت هناك ابنتهما (حبيبة) تنصر زوجها فى الحبشة وتركها بدون عائل . لما علم النبى صلى الله عليه وسلم بموضوعها أرسل للنجاشى ليخطبها له حماية لها عند عودتها وكى تبقى على اسلامها . كان أبوها من أشد الناس عداوة للاسلام حتى هداه الله وأسلم يوم فتح مكة .
١٠	أم سلمة بنت أبى أمية المخزومى	هاجرت مع زوجهـــا الأول الى الحبشـــة مع المهاجرين الأوائل واسمها (هند) . انجبت هناك ابنهما (سلمة) .

رقم	الاسم	البيـــان
		عادا الى مكة عندما ســـمعا بكف قريش عن اضطهاد المسلمين ثم ظهر أن النبأ لم يكن صادقا . فهاجر زوجها الى المدينة وكان أول المهاجرين اليها . ضايقها أهلها بسبب اسلامها . وحجزوها عندهم واختطفوا منها طفلها سلمة . أطلقوا سراحها وطفلها بعد عام . فأسرعت الى المدينة لتلحق بزوجها . توفى زوجها بعد الهجرة بثلاث سنوات فقام ابنها بتزويجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . بالرغم من تقدم سنها وكثرة أولادها .
١١	ميمونة بنت الحارث الهلالى .	شقيقة أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله . كانت فقيرة وفى الخمسين من عمرها . فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم تحقيقا لرغبة عمه العباس . وخاصة عندما علم بظروفها تمت الخطبة فى مكة أثناء عمرة القضاء . بنى بها النبى الكريم فى طريق العودة الى المدينة لانتهاء مدة الثلاثة أيام المتفق عليها فى صلح الحديبية بينه وبين قريش للبقاء بمكة .. كان اسمها (بره) فغيره النبى صلى الله عليه وسلم الى (ميمونة) تيمنا بدخوله مكة . انها احدى الشـــقيقات الأربع المهاجرات الى الحبشة وقد سماهن النبى صلى الله عليه وسلم (الشقيقات المؤمنات) .
١٢	أسماء بنت النعمان الكندية	تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها لوجود مرض (البرص) بها . وقد أعادها الى أهلها معززة مكرمة . .

	الاسم	البيـــان
١٣	عمــــره بنت يزيد الكلبى	تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها لأنها كانت حديثة عهد بالكفر . كان عندها استعلاء وكبرياء وأساءت التعبير أمامه وقالت (نحن قوم نؤتى ولا نأتى) وذلك حين كان يتحدث اليها . أعادها الى أهلها مع الاعزاز والاكرام .
١٤	مــــريم المصريـــة (القبطية)	أرسلها المقوقس عظيم القبط بمصر هدية قيمة للنبى صلى الله عليه وسلم . أسلمت وتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم وانجبت ابنهما ابراهيم . تزوجت من النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الستين من عمـــره أى قبل وفاته بثلاث ســـنوات . مات ابنهما ابراهيم وعمره عام ونصف عام فحزنا عليه حزنا شديدا .

الفصل السابع

بنات النبى صلى الله عليه وسلم وأولاده

٣٤ — تمهيد

لقد كان من التقاليد العربية فى الجاهلية أن الرجل اذا بشر بولادة بنت اكفهر وجهه وضاق صدره . وتوارى خجلا من النـــاس . ولعـــل هـــذه العادات قد تأصلت فى نفوس بعض الناس الى وقتنا هذا . بالرغم من التقدم الحضارى وارتفاع المستوى الفكرى والثقافى .

وقد رأينا فيما سبق امتهان المرأة فى الجاهلية وما كانت تفعله بعض القبائل من مرأد البنات . ولكن النبى صلى الله عليه وسلم حين تزوج السيدة / خديجة بنت خويلد فى الجاهلية لم يتأثر بتلك البيئة . مع أن البيئه لها حكمها فى علم الاجتماع . ولها أثرها وخطرها فى تكوين الرأى العام وتوجيه المجتمع ومن الثابت أن البيئة الخيرة تنتج الخير والعكس بالعكس . هذا أمر مسلم به ولا جدال فيه .

والسر فى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتأثر ببيئته الجاهلية أنه خطر على أخلاق النبوة ، والنبوة ليست مقودة للمجتمع ولكنها قائدة . انها ظهرت فى أشد الأوقات حاجة اليها . لتغير من ذلك المجتمع المتخلف . وترتفع به الى مدارج الانسانية الواعية . ووقد ارتفعت بالفرد كما ارتقت بالجماعات وطورت معالم الحياة وأوجدت مفاهيم جديدة . بات الناس فى الوثنية الغاشمة ، وأصبحوا فى نور الايمان ، تركوا أصنامهم وأزلامهم . وعبدوا الواحد الأحد . الفرد الصمد . الذى لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .

كانوا شيعا وأحزابا ثائرة متنافرة . فجمعهم الاسلام على قبلة واحدة . عاشوا متفرقين فى فوضى عاتية . فجمعهم الدين الحنيف فى صفوف متراصة منظمة . وجعل انتظام الصـــفوف من شعائر الصلاة . تقديســـا للنظام واحتراما للعبادة .

وقد تغيرت نظرتهم فى الاسلام الى المرأة . وعرفوا قدرها وقيمتهـــا وإثرها فى المجتمع . وامتنع وأدها لأن الاسلام حرمه . وقد كان البيت النبوى هو النموذج الأمثل للأسرة المســـلمة وقد شع عليهم نوره الساطع فهداهم الى سواء السبيل .

٣٥ ــ نظرة جديــدة

أنجبت السيدة / خديجة بعد زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتها زينب ففرح النبى الكريم حين بشر بولادتها . ثم أنجبت (رقية) فاستمرت الأفراح . ورأى الناس فرحة النبى صلى الله عليه وسلم بمولد البنات . ثم أنجبت (أم كلثوم) ثم ولدت لرابع مرة (فاطمة الزهراء) وكانت قرة عين أبيها وأحبهن الى قلبه .

وعاشت البنات فى كنف والديهن فى عز وكرامة وسرور دائم . وكانت الأم حانية عليهن من صميم فؤادها . والأب سعيد بهن رءوف بهن . لم يتألم لميلادهن كما كان يفعل العرب . بل أعطى للناس أروع الأمثلة للأبوة الصادقة . فاحتذى حذوه الصحابة وغيرهم من المؤمنين . حتى زالت من الصدور أسقامها . وانتهت آلامها . ولم تعد البشرى بمولد البنت كارثة تزلزل بنيان الأسرة . وتفزع عاهلها . وتحط من قدرها .

رأى الناس من النبى صلى الله عليه وســلم حسن معاملته لبناته . يداعبهن ويلاطفهن . ولا ننسى أنهن قد آمن به منذ اللحظة الأولى . وعرفن قيمة رسالته . ورأين ما كان يتعرض له أحيانا من ايذاء وعنت واضطهاد مثل ما كان يصدر ضده من عمه (أبى لهب) وامرأته (أم جميل) وكان يسكن بجوارهما حيث كانت أم جميل تلقى الشوك والقاذورات أمام بيت النبى صلى الله عليه وسلم . بل وعلى شخصه الكريم أحيانا . وكان أبو لهب يسب الرسول صلى الله عليه وسلم ويحرض قريشا ضده .

وعندما كان يعود الرسول الكريم الى بيته وعليه بعض القاذورات كانت تنهض بناته لازالة ما يوجد على ثيابه من أوساخ . وكن يتعلقن به للترفيه عنه . ولتخفيف آلامه فيجلس بينهن ويســتمع اليهن فى رقة غــامرة . ومشاعر آسرة . وخديجة بجواره تسرى عنه متاعبه . فلا يرون منه الا الحب . ولا يسمعن منه الا الكلام العذب . وختام حديثه دوما الدعاء لهن .

عرف الناس هذه اللمسات العائلية الكريمة التى لم يكن لهم بها عهد . فاتعظوا ومن فضله اكتسبوا . وأخذوا يغيرون من حياتهم ومن نظرتهم الى البنات . وتأثرت الأجيال المتعاقبة بما بدأه النبى الكريم منذ قرون . والأخلاق والشمائل النبوية خالدة فى غاياتها وأهدافها . مستمرة الأثر أبد الدهر . وهو مالم يحدث لغيره من قبل ولا من بعد .

وقد حاول كثيرون من قادة الأمم على مدى التاريخ . أن يقدموا لأممهم نماذج ممتازة يحتذونها . فكانت تحيا بحياتهم . وتموت بموتهم . وقلما عاشت بعدهم فترة يسيرة من الزمن . ولذلك يعجب الأصدقاء والأعداء لهذه الظاهرة الفريدة للنبى صلى الله عليه وسلم . فأحاديثه كلها مسجلة فى القلوب . وحياته العامة والخاصة . صغيرها وكبيرها . كلها منقوشة فى الأفئدة . فأى عظيم حدث له مثل ذلك ؟ وأى انسان مهما بلغ من النبوغ قد ترك مثل هـــذه الآثار الخالدة . والأعمال الباهرة . كلما استعادها الناس ازدادوا بها ايمانا . وعكفوا عليها وحفظا لها .

ان الأنبياء لا يورثون . ولكننا قد ورثنا عنه صلى الله عليه وسلم : حب الله . وحب المصطفى . وحب الحق والعدل . وحب الانسانية . وحب الوالدين والأولاد والبنات . وحب اليتيم والمسكين وابن السبيل . وحب الاستشهاد فى سبيل الله .

٣ — زينب

عاش البيت المحمدى عيشة راضية هنيئة . رافلة فى حياة ملؤها الحب الصادق بين الزوجين . وكانت السيدة / خديجة منذ زواجها قد تركت لزوجها محمد الصادق الأمين التصرف فى أموالهــا وتجارتها . وشــغلت نفسها بتهيئة الراحة له واسعاده . والاشراف بنفسها على شئون البيت بالرغم من وجود الخدم .

وبعد سنة من الزواج كانت باكورة الثمار الطيبة الأولى (زينب) . فاستقبلها والداها بالفرح والسرور . وبالرغم من أن خديجة سبق لها أن أنجبت أطفالا من زوجيها السابقين . الا أنها شعرت هذه المرة بسرور غامر لأن زوجها الأخير كان أكرم الأزواج .

كبرت زينب وترعرعت فى البيت المحمدى حتى اذا ما نضجت وبلغت سن الشباب . بدأت تعاون والدتها فى الاشراف على المنزل . وتساعدها فى رعاية اخوتها . لدرجة أنها كانت تعتبر الأم الصغيرة لشقيقتها الطفلة (فاطمة) تداعبها وتأنس بها .

وكان يتردد على البيت (أبو العاص بن الربيع) ابن أخت خديجة واسمها (هالة) وكان من أثرياء القوم . ومن أشراف قريش . ويتصل نسبة لأبيه مع النبى صلى الله عليه وسلم عند الجد الثالث (عبد مناف) . فهو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى . وأمه هالة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى .

شجعته خالته (خديجة) على أن يخطب زينب من أبيها . فوافق الأب وتم الزواج وأقيمت الأفراح . وكانت زينب فى الثالثة عشرة من عمرها . أى أن الزواج قد تم قبل النبوة . وأقام الزوجان فى بيتهما الجديد فى مودة وصفاء . وكان أبو العاص يخرج فى التجارة الى الشام أسوة بالشباب من الأشراف . ثم يعود الى بيته فيجد زوجته الوفية فى انتظاره . وبعد سنة أنجبت له الطفلة (أمامة) فسعدا بها . وأحبها جدا وكان يداعبها كثيرا لحنانه وحبه للأطفال .

وكانت زينب أثناء سفر زوجها تتردد على بيت أبيها لتعيش فترة من الزمن مع والديها واخوتها . وذات يوم علمت من أمها بأن الوحى قد نزل على والدها فى غار حراء . وأنه قد أصبح نبى هذه الأمة . فآمنت به زينب واخوتها فورا . واحسسن بقيمة هذه الرسالة السماوية . وشعرن بالفخر الواعى الرزين بأنهن بنات النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

وعند عودة أبى العاص من الشام استقبلته زوجته هاشة باشة . ونقلت اليه أحلى الأخبار . وأكرم الأنباء . ولكنه لم يجب . وظل صامتا مما أثار دهشتها . وكانت تعتقد أنه سيسارع الى اعلان اسلامه . ولكنهما عاشا فترة من الزمن على هذا الوضع فى محبة صادقة . لم يعكر صفوها اختلاف الدين .

وفى تلك اللحظة اتصل به أبو جهل عدو الاسلام وطلب منه أن يطلق زينب كما فعل عقبة وعتيبة ولدى أبى لهب عند اعلان الدعوة الاسلامية بتحريض منه . ليشغلوا محمدا ببناته . ولكن أبا العاص رفض رفضـــا باتا . ورفض كل اغراء فى ذلك .

وفى السنة الثانية من الهجرة حدثت غزوة بدر الكبرى ووقع أبو العاص ابن الربيع اسيرا فى أيدى المسلمين . فأرسلت زوجته زينب المال اللازم فدية له . ووضعت معه قلادة لها كانت لأمها وأهدتها اليها يوم زواجها . فعرف النبى صلى الله عليه وسلم القلادة وتأثر جدا . وعندئذ أعاد المسلمون الفدية والقلادة الى أبى العاص . وأطلقوا سراحه فعاد الى مكة بعد أن وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يرسل له زينب . حيث أن الدين الحنيف قد قرر أخيرا منع زواج المشرك من مسلمة فوعد بتنفيذ ذلك .

عاد أبو العاص الى مكة وأخبر زينب بما حدث . وأنهما سيفترقان على مودة صادقة لن تمحوها الأيام . فحزنت زينب لفراقها لزوجها وبدأت تستعد للسفر الى المدينة .. فطلب أبو العاص من أخيه كنانة بن الربيع

أن يسافر معها . فخرجا معا نهارا فلحق بهما أبو سفيان بن حرب وطلب العودة الى مكة والخروج منها ليلا حتى لا يشمت الناس بقريش وكانت لا تزال تئن من هزيمتها فى غزوة بدر الكبرى .

وحدث أثناء سفرها مع كنانة أن لحق بها بعض الشباب ممن قتل أهلهم فى غزوة بدر الكبرى واعترضوا سبيلها . ونخس (هبارة بن الأسود) ، (نافع بن قيس) بعير زينب بالرمح . فوقع هودجها كما وقعت زينب على الأرض ونزفت دما غزيرا وكانت حاملا فى الشهر الرابع وسقط الجنين واشتدت حالتها سوءا .

حاول كنانة الدفاع عنها وأراد الا يستجيب لرجاء أبى سفيان بالعودة الى مكة . ولكنه أمام ظروفها الخطيرة وسقوط الجنين والدماء التى تنزف منها بشدة . عاد بها الى مكة لعلاجها . فأخذ أبو العاص يواسيها ويشرف على علاجها حتى ارتاحت نوعا . وإستطاعت استئناف السفر الى المدينة وخرج معها أيضا كنانة بن الربيع الى مسافة قريبة من مكة حيث وجد زيد بن حارثة قادما من المدينة للعودة بها وبطفليها (أمامة ، على) . وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد كلف زايد بذلك .

وصلت زينب بسلامة الله الى المدينة فاستقبلها الأهالى استقبالا رائعا . وفرح والدها واخوتها بها وبأولادها . وعاشت فى كنف أبيها بضع سنوات عزيزة الجانب ، وكانت تفـكر دائما فى زوجهـا أبى العـاص وتدعو له بالهداية والاسلام . ولما علم النبى صلى الله عليه وسلم بما حدث لابنته فى الطريق . أمر بقتل (هبارة بن الأسود ، نافع بن قيس) .

وبعد بضع سنوات كان أبو العاص بن الربيع عائدا من الشام ومعه الأرباح الوفيرة . فهاجمه بعض المسلمين . وأحاطوا به وطاردوه بالقرب من المدينة . فهرب منهم ودخل عند زينب ليلا واستغاث بها ورجاها أن تجيره . فوقفت على باب المسجد بعد صلاة الفجر وأعلنت للمصلين أنها قد أجارت أبا العاص . وكان النبى صلى الله عليه وسلم حاضرا بالمسجد ولم يكن يعلم بذلك من قبل . ولذلك أخبر المصلين بأنه لا يعلم شيئا مما أعلنته ابنته . وعاد الى البيت وقابل أبا العاص الذى أسلم بين يديه .

وعاد أبو العاص الى مكة وأعطى الأموال لأصحابها ثم أعلنهم باسلامه . وقفل راجعا الى المدينة حيث عقد له الرسول صلى الله عليه وسلم مرة أخرى على زينب . واجتمع شمل الأسرة ثانية . وكان ذلك فى بداية السنة السابقة للهجرة .

عاشت زينب مع زوجها الحبيب ســـنة كاملة ثم توفيت متأثرة بالنزيف الذى أصابها عند سفرها من مكة الى المدينة . ودفنت بالمدينة فى أوائل السنة الثانية للهجرة فحزن عليها والدها كثيرا كما حزنت شقيقتها فاطمة ثم توفى زوجها فى خلافة أبى بكر الصديق فى ذى الحجة من السنة الثانية عشرة للهجرة .

وعند فتح مكة تقدم رجل ملثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن اسلامه . وطلب من النبى الكريم الصفح عنه وكان ذلك الرجل هبارة بن الأسود الذى حاول قتل زينب أثناء سفرها . فصفح عنه النبى صلى الله عليه وســـلم . وهكذا طويت صفحة مشرقة من حياة (زينب) الابنه الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما عن أولاد زينب فقد توفى (على) صغيرا . وتزوجت ابنتها أمامة ولم تنجب أطفالا .

٣٧ ــ رقيــة

كان عبد العزى أحد أعمام محمد بن عبد الله وجارا لم وكانت بينهما مودة كبيرة . وذات يوم ذهب عبد العزى مــع أخيه أبى طالب الى بيت محمد للزيارة . وفى تلك الجلسة العائلية طلب عبد العزى أن يزوج ولديه (عتبة ، عتيبة) من رقية وأم كلثوم ابنتى محمد بن عبد الله الذى وافق بعد أخذ رأى الفتاتين . وكان ذلك قبيل النبوة .

أقيمت الأفراح فى الأسرة الهاشمية . وانتقلت الأختان الى بيت زوجيهما حيث يقيم معهما أبوهما وأمهما (أم جميل) . وهى امرأة قد اشتهرت بين جيرانهـــا بالقســـوة وسلاطة اللسان ولها ارادة تحكمية على زوجها وأولادهـــا .

لم تمانع خديجة فى هذا الزواج فهى قد زوجت ابنتها الكبرى زينب من ابن أختها أبى العاص بن الربيع . فلا يعقل أن تعترض على زواج ابنتيها من شباب قريش وهم أهل زوجها وعشيرته . ولكنها كانت تخفى فى صدرها أمرا بالنسبة لأم جميل وقسوتها . اذ كانت تخشى أن تسىء معاملة رقية وأم كلثوم كما تفعل بعض (الحموات) اظهارا للسيطرة وحبا للسلطة .

استسلمت الشقيقتان لمصيرهما المشـــترك . وتحاشيا أم جميل بقدر الامكان ، ولكنها كانت ترقبهما بعين ماكرة . ويضيق صدرها حين تجتمعان فى الفة ومودة وقلما تفترقان . فى هذه الفترة نزل الوحى على محمد بن عبد الله وأعلنت النبوة فآمنت به زوجته خديجة وبناته ومن فى بيته . ولكن

قريشا لم تؤمن وعارضت وقاومت واعتدت على بعض المسلمين . وخاصة الموالى والضعفاء مثل بلال رضى الله عنه . أعلنت قريش خصومتها للدين الجديد . وانقلبت محبة عبد العزى لابن أخيه محمد بن عبد الله الى عداوة شديدة منكرة . وانضمت اليه زوجته أم جميل وأمرت ولديها بتطليق زوجتيهما . فخضعا للأمر لأنهما لا يملكان أمام أمهما حولا ولا قوة . ولم يقف أمرها عند هذا الحد بل ذهبت مع زوجها وبعض الأفراد من قريش الى أبى العاص بن الربيع لتطليق زوجته (زينب) . وذلك نكاية فى أبيها واشغالا له ببناته حسب تفكيرهم . ولكنه رفض فى شجاعة أن يستمع لهم . وأصر على بقاء زوجته الوفية معه .

عادت الشقيقتان الى بيت أبيهما . وهنا عادت اليهما السعادة . وزال عنهما شر تلك المرأة القاسية . وأخذا يشاركان أمهما فى شئون البيت . وفى تدبير أسباب الراحة لأبيهما ليتفرغ لرسالته الالهية . وهكذا كانت ارادة الله ترعى الفتاتين ولم تخيب رجاءهما فى النجاة من بيت الشرك والمشركين .

أراد الخالق سبحانه وتعالى أن يعوض (رقية) خيرا . وأن يمحو من ذاكرتها آثار تلك الآيام الأليمة التى عاشتها فى بيت أبى لهب . اذ تقدم عثمان بن عفان لخطبتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعثمان من ناحية أبيه يلتقى مع الرسول الكريم عند جده الثالث . فهو عثمان بن عفان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . كما يتصل به أيضا من ناحية الأم (أروى) بنت البيضاء (أم حكيم) عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان عثمان من شباب قريش المعروفين بالثراء وعلو الهمة . فضلا عن حسبه ونسبه . وقد تم الزواج وانتقلت رقية الى بيت زوجها حيث وجدت النبل والشهامة والحب الصادق . فأحبته وأخلصت له . وهاجرت معه الى الحبشة مع المسلمين الأوائل بأمر النبى صلى الله عليه وسلم تفاديا لاعتداءات قريش .

وفى الحبشة مرضت رقية وهى حامل . واعتلت صحتها لدرجة أنها أسقطت جنينها ثم رجعت مع زوجها وبعض المهاجرين الى مكة حين علموا بدخول بعض رجال قريش فى الاسلام . وذلك فى السنة العاشرة للنبوة . ولكن عند وصولهم علموا أن النبأ لم يكن صحيحا .

دخلت رقية بيت أبيها فى مكة والحنين يملأ قلبها والشوق فى فؤادها . فاستقبلتها أم كلثوم وفاطمة أحسن استقبال . ثم حضر أبوها فأجمل لقاءها. أخذت تبحث عن أمها وتسأل عنها أختيها فلا تجد جوابا غير الدموع فى

العيون . فأحست بفراق أمها السيدة خديجة وعلمت بوفاتها فى تلك السنة فحزنت عليها حزنا شديدا .

ثم هاجرت رقية مرة أخرى مع زوجها الى المدينة . بعد وصول والدها اليها . وهناك أنجبت (عبد الرحمن) فكان مصـــدر سرورها . وحلت الأفراح محل الأتراح . ولكن موجة الحزن كانت لهما بالمرصاد . فقد مات عبد الله طفلا . فتألمت رقية أشد الألم . ولم تحتمل هذه الصدمة المروعة فمرضت أثناء غزوة بدر الكبرى . فأقام زوجها بجوارها يشرف عليها . ولم يستطع الاسهام شخصيا فى هذه الغزوة .

ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم منتصرا فى غزوة بدر الكبرى . ذهب لزيارة ابنته رقية فى بيتها فوجدها مسجاة على سرير الموت . وبجانبها الزوج الملتاع الحزين . وما لبثت أن تركت الدنيا وذهبت الى جوار ربها فى جنة الخلد . فحزن عليها النبى صلى الله عليه وسلم ودعا لها وصلى عليها ثم دفنت فى البقيع بالمدينة . وقد كان لموتها أثر عميق وحزن بالغ عند جميع لمسلمين . فقد ضربت أروع الأمثلة فى التضحية ونكران الذات . عندما احتملت متاعب الهجرة الى الحبشة ثم الى المدينة . وما أضفت عليها الأحزان لفقد أمها ووفاة طفلها من آثار عميقة . رحمها الله رحمة واسعة . وأجزل لها العطاء فى الفردوس نزلا .

٣٨ — أم كلثوم

بعد موت رقية تقدم عثمان بن عفان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطب أم كلثوم . فوافق النبى الكريم وانتقلت أم كلثوم الى بيت زوجها . وعاشت معه سعيدة راضية . وقـــد عرف عن عثمان بن عفان الصلاح والتقوى والورع ويمتاز بالطيبة . ولكن أم كلثوم بالرغم من سعادتها معه فانها ظلت تذكر أمها وأختها رقية وقد عاشا معا منذ طفولتهما كتوأمتين متلازمتين لتقاربها فى السن وفى الميول والطباع . وارتبط مصيرهما معا فى أول الحياة عندما تزوجتا ولدى أبى لهب .

واليوم يتجدد نفس المصير بالنسبة لهما ولكن بالتتابع . اذ تتزوج أم كلثوم من عثمان بعد وفاة أختها . وتقيم معـــه فى نفس البيت . فتهتاج بقلبها الذكريات . وتطوف أمام عينيها صورة شقيقتها فتبكى . ثم تذكر أمها أيضا . تمر هذه الأطياف بخواطرها فتزيد من شجونها ويملأ الأسى صدرها . ولكن قد أثلج فؤادها انتصارات أبيها المتتالية وانتشار الإسلام فى الجزيرة العربية وخارجها . وحمدت الله على هذا النصر المبين .

ومضت الأيام هنيئة وضاءة فترة من الزمن . حتى أذن الموعد بالانتقال الى الرفيق الأعلى فى شهر شعبان من السنة التاسعة للهجرة دون أن تنجب أطفالا . ودفنت مع أختها رقية بالمدينة . رحمها الله رحمة واسعة . تكررت أحزان الأب وتجددت آلامه . فهـو لا يزال يذكر خديجة زوجته الحبيبة الوفية . كما جمع الحزن مرة أخرى بين الأختين زينب وفاطمة . وشعرتا بفقد الأحباب . وجل الخطب والمصاب . ولكن الايمان الصادق يملأ القلوب . فصبرا جميلا . ولله الأمر جميعا .

٣٩ ــ فاطمة الزهراء

أنجبت السيدة / خديجة ابنتها الرابعة (فاطمة) فى السنة العاشرة من زواجها بمحمد بن عبد الله ففرحـا بها واستبشرا خيرها بمقدمها . فقد ولدت يوم اعادة بناء الكعبة . وكان يوما شهود لأبيها الذى استطاع أن يحقن فيه الدماء بين القبائل المتنافسة على وضع الحجر الأسود فى مكانه من البنـاء . وقد سـماها أبوها فاطمة تيمنا باسـم زوجة عمـه أبى طالب التى ربته وكان يعتبرها أمه الثانية .

نشأت فاطمة فى أحضان والديها ومحبة اخوتها . وخاصة أختها الكبرى (زينب) التى كانت تداعبها وتعنى بها . فاعتبرتها فاطمة أمها الصغيرة وتعلقت بها . ثم تألمت جدا لفراقها لها عندما تزوجت (زينب) من أبى العاص بن الربيع . وبالرغم من صغر سن فاطمة فانها تلحظ خروج أبيها بين الفينة والفنية الى غار حراء . واشتركت مع أمها واخوتها فى تهيئة أسباب الراحة له . حتى اذا ما بلغت الخامسة من عمرها عرفت أن الوحى قد نزل على أبيها فى ذلك الغار . وأنه أصـبح نبى هذه الأمة . ففرحت واستشعرت بفطرتها السليمة قيمة النبوة . ويا لسعادتها لأنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم .

عاشت فاطمة منذ اللحظات الأولى للنبوة ولمست جهاد أبيها فى سبيل نشر الدعوة . وكانت تذهب معه الى المسجد . وتزيل عنه ما علق بثيابه من أقذار يلقيها عليه المشركون . ورأت ذلك الرجل الذى هجم على أبيها وجذبه من رقبته وهم بالاعتداء عليه مع غيره لولا أن تدخل أبو بكر وحال بينهم وبينه . وكانت فاطمة تنقل الى البيت هذه الأحداث التى تراها . فيتجهون الى الله القدير يسألونه نصر نبيه .

ثم حضرت فاطمة زواج أختيها رقية وأم كلثوم من عتبة وعتيبة ولدى أبى لهب عم النبى صلى الله عليه وسلم . ثم رأت عودتهما الى البيت

مرة أخرى بعد أن أنقذهما العلى القدير من العيش مع المشركين . وباركت لأختها رقية زواجها من عثمان بن عفان وهجرتها معه الى الحبشة . التى احتملت فيها فراقها لهـا وللأسرة وقاست فيها متاعب الاغتراب بصدر رحب فى سبيل الله .

ولكن الخطب الجلل قد أحزن فاطمة حين روعت بوفاة أمها السيدة / خديجة رضى الله عنها . وبكتها بكل ما تستطيع من دمع . واحتملت فراقها لها بكل ما تستطيع من شجن . وقد عادت رقية من الحبشة مع زوجها فرأت هذه الدموع فى مآقى اخوتها . فاجتمع عليها الحزن والمرض . وقد هاجرت رقية الى المدينة . وقد هد المرض جسمها النحيل فماتت راضية مرضية . ثم لحقت بها أختها أم كلثوم التى لم تحتمل هذه الصدمات .

وقد مرت هذه الأحداث الحزينة من موت الأم والأختين فى فترات متلاحقة ولكن فاطمة كانت صامدة صابرة على قضـــاء الله وقدره . صبر ايمان واطمئنان ليقينها انهن متمتعات برضوانه سبحانه وفسيح جناته . وعاشت فاطمة بعد ذلك وحيدة فى البيت ترعى شئونه وشئون أبيها . ولا يؤنسها الا على بن أبى طالب . وقد تربى معها منذ طفولته . وهو يكبرها بأربع سنوات . أصبحت سيدة البيت فى هذه السن المبكرة . وغدت بالنسبة لأبيها كل شيء . فتعلق قلبـــه النبوى الطاهر بحبها واعتبرها واحدة من عظمى النساء فى العالم وهن (مريم أم عيسى عليه السلام ، آسيا زوجة فرعون التى أنقذت موسى عليه السلام ، خديجة ، فاطمة) . وذكرها فى مناسبات كثيرة بما يشير الى اعتزازه بها . وسمع الصحابة منه أقوالا كثيرة فى هذا المعنى . وكانت فاطمة من جانبها تحس بمسئوليتها نحوه . وقد جمع الشبه بينهما فى جمال الخلقة فقد كانت فاطمة صورة من أبيها .

كانت فاطمة ترى عليا صبيا ويافعا وشابا . وتقدر فيه سجاياه العديدة من شجاعة وحزم فهو أول من آمن بأبيها من الفتيان . وافتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة هجرته الى المدينة . فنام مكانه وتغطى بردائه الأخضر معرضا نفسه للقتل . وفى الغزوات كان (على) درع الاســـلام وسيف الله المسلول . وعقد له اللواء فى بعضها . وبارز صناديد الأعداء تبعا لأسلوب العرب فى حروبهم فقتلهم . واصطفاه النبى الكريم اخا له حين آخى بين المهاجرين والأنصار بالمدينة . كما كان يتركه عليه الصلاة والسلام حين يغادر المدينة فى الغزوات وغيرها ليحمى الدار . ويقوم مقامه فيها باعتباره أقرب الناس اليه . وأحقهم فى رعاية أسرته أثناء غيابه . كل هذه الصفات كانت تمر بخواطر فاطمة وقد بلغت التاســـعة عشرة من

عمرها . وهى خصال تجمع بن الاخلاص والشـجاعة والتفانى فى نشر الدعوة الاسلامية .

ومن جانبه كان (على بن أبى طالب) يفكر فى الزواج من فاطمة . ولكن كيف السبيل الى ذلك وهو لا يملك شروى نقير . خالى الوفاض الا من قلب محب ومنعه الحياء من التقدم الى أبيها ليخطبها . وأخيرا جمع شجاعته بين يديه وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجلس صامتا بين يديه لا يعرف كيف يبدأ الحديث . وهنا تبسم الرسول الكريم وأدرك بثاقب فكره ما يدور فى عقل ابن عمه فشجعه على الافضاء بدخيلة نفسه . فتشجع (على) وطلب الزواج من فاطمة فوافق النبى صلى الله عليه وسلم وأشار عليه أن يبيع درعه الذى كسبه فى غزوة بدر . وأن يدفع بجزء من ثمنه مهر ابنته . ومما شجع (على) على الاسراع فى خطبة فاطمة أنه علم أن كلا من أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب قد خطبها لنفسه . وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يوافق وقال : « انى أنتظر بها القضاء » . وقد اشترى عثمان بن عفان الدرع من (على) بأربعمائة درهم ليساعده على اتمام الزواج . ثم أعاده اليه هدية منه . وهى روح عالية عرفت من الصحابة رضوان الله عليهم .

فى تلك الأثناء تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من (سودة بنت زمعة) وهى سيدة عجوز فقيرة . ثم تزوج عائشة بنت أبى بكر فى الثانية عشرة من عمرها وهو فى الرابعة والخمسين . فحاولت أن تخلق فى البيت روحا جديدة من الشباب والمرح بما يتناسب مع سنها . وكانت تعلم متاعب زوجها العظيم فأخذت تسرى عنه بحسن أسلوبها وذكائها . فاطمأن اليها وأصبحت أثيرة عنده وذات حظوة لديه .

عاشت فاطمة بضعة شهور مع هاتين الزوجتين حتى استطاع زوجها تدبير بيت جديد لهما . ثم انتقلت الى بيت زوجها وهى فى العشرين من عمرها . ممتلئة نشاطا وحيوية . ومن الطبيعى أن تسرع فاطمة بترك بيت أبيها لزوجته الشابة حرصا على المودة . ولم يضايقها فقر البيت الجديد وشظف العيش به . وأن تنام على حشية من الليف . لأنها تعلم أن (عليا) نشأ فقيرا . فكانت تقوم بنفسها بأداء كل الأعمال المنزلية بدون ملل أو ضجر . حتى كل ساعداها ووهنت قواها . ولكنها خجلت أن طالب . فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك غضب . وذهب الى أبيها لهذا الغرض ثم عادت دون أن تتدث معه بشأنه . الى أن استطاع زوجها تدبير هذا الأمر بعد فترة من الزمن .

وبالرغم من احتمالها هذه الحياة القاسية . فان بنى هاشم بن المغيرة المخزومى أرادوا تزويج ابنة عمرو بن هشام (أبو جهل) الى على بن أبى طالب . فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك غضب . وذهب الى المسجد وأعلن أمام الناس جميعا عدم رضاه عن هذا الزواج الا اذا طلقت ابنته أولا . ومن الطبيعى ألا تجتمع زوجتان لرجل واحد . احداهما بنت رسول الله والثانية بنت عدو الله أبى جهل . الذى أذاق المسلمين من صنوف العذاب ألوانا حتى قتل فى غزوة بدر الكبرى . وقد انتهى هذا الأمر بعودة على بن أبى طالب الى بيته معتذرا لفاطمة . وعاد الصفاء الى القلوب الطيبة الطاهرة مرة أخرى .

وأما عن أنجالهما فان التاريخ الاسلامى ليفخر ويعتز أنهما أنجبا أشرف الأنباء . فكانوا ذرية صالحة وامتدادا طيبا للنبى صلى الله عليه وسلم . بعد أن حرم من الذرية عن طريق بناته زينب ورقية وأم كلثوم . فان (زينب) أنجبت (عليا) ومات صغيرا . وأنجبت (أمامة) التى تزوجت ولم تعقب . ورقية أنجبت (عبد الله) فمات طفلا . وأم كلثوم لم تنجب أطفـــالا .

ولدت فاطمة ابنها الأول (الحسن) فكان قرة عيون والديه وجده الذى أحبه حبا شديدا . وفى العام الثانى أنجبت (الحسين) فامتلأ البيت بالبهجة والسرور . واحتضنهما لجدهما عليه الصلاة والســـلام منذ ولادتهما . وأعطاهما من قلبه كل حب وحنان . وكان يحملهما بين ذراعيه ويداعبهما ويجرى خلفهما . ويطيل السجود أثناء الصلاة بالمسلمين فى المسجد لأن الحسن أو الحسين قد امتطى ظهره ولا يريد أن يستعجله . وهذا منتهى الحنان من نبى عظيم يقدر الطفولة . وكان يتمناها فعوضه الله عن أولاده بأحفاده . وهو الذى سماهما بهذين الاسمين ولم يكن للعرب عهد بهما .

وقد توالى الخير فولدت فاطمة أولى بناتها فسميت (زينب) تيمنا باسم خالتها الراحلة التى كانت فاطمة تعتبرها أمها الصغيرة . وبعد عام أنجبت فاطمة بنتا ثانية فسميت (أم كلثوم) ليتردد فى البيت المحمدى مرة أخرى أسماء بناته عليه الصلاة والسلام . فدعا صـــلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة ولزوجها ولأحفاده بالخير والذرية الصالحة . وقال ذات مرة عن الحسن والحسين : « انما هما ابنا لى وابنـــا ابنتى ، اللهم انى أحبهما وأحب من يحبهما » .

تمتعت فاطمة بكل هذا الحب الأبوى وهى جديرة به . لأنها منذ الخامسة من عمرها رأت الضياء فى وجه أبيها ولمست الحب فى قلبه . انها صغرى

بناته ولكن الله منحها من المواهب والذكاء ما يعوض حداثة السن . وأتى عليها حين من الدهر كانت ربة بيته المسئولة عن شئونه . عاصرت الجهاد ورأت الانتصارات تلو الانتصارات . وفرحت بانتشار الاسلام في كل مكان . كما رأت استسلام قريش وفتح مكة واندحار المشركين والمنافقين واليهود المتآمرين . رأت الاصنام تسقط من حول الكعبة عند طواف الرسول صلى الله عليه وسلم بها . وسمعت أذان بلال من فوقها يدوى عاليا فتتجاوب أصداؤه فى كل أنحاء مكة . وأصبحت كلمة الله هى العليا .

ثم علمت بمرض أبيها فأسرعت اليه . تحتضنه وتقبله فى وجهه الشريف . فيرنو اليها ببصره . ويدنيها منه وليسر لها همسا ببضع كلمات . فتحزن وتقطب الجبين . ثم يهمس اليها مرة أخرى فتسرع اليه لتضع أذنها على فمه . فاذا جبينها يتهلل . والسرور يتجلى على وجهها . وآل البيت من حولهما ومن بينهم عائشة التى لاحظت تتابع الحزن والسرور على فاطمة فلم تفهم شيئا . ولم تشأ فاطمة أن تخبرها حين سألتها حتى لا تذيع سرا خصها به النبى الكريم . ولكنها بعد انتقال أبيها الى الرفيق الأعلى قالت ان أباها كان أخبرها بأنه قد اختار الرفيق الأعلى فحزنت . ثم أخبرها بأنها ستكون أول من يلحق به من أهل بيته ففرحت .

انتقل النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى فى شهر ربيع أول من السنة الحادية عشرة للهجرة . فظلت فاطمة حزينة حزنا بالغا . فقدت أمها وهى فى الخامسة عشرة من عمرها . ثم توفيت رقية ثم أم كلثوم ثم زينب . ثم غمرتها الأسقام والآلام بوفاة أبيها . وهى الوحيدة التى عاشت بعده من بناته وبنيه . ولكن الحياة لم تدم لها طويلا فلحقت بأبيها فى الثامن من شهر رمضان أى بعده ببضعة شهور ودفنت فى البقيع . رحمها الله رحمة واسعة . وبارك اللهم فى ذريتها الطاهرة الذين فرض الله علينا مودتهم ، قال تعالى فى سورة الشورى (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى . ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا . ان الله غفور شكور) . واقتراف الحسنة هو مودة آل البيت الأخيار الأطهار عليهم سلام الله ورضوانه .

٤٠ ـ أولاده : القاسم ، عبد الله ، ابراهيم

رأينا فى الصفحات السابقة من هذا الفصل أن السيدة / خديجة قد انجبت بناتها الأربع فى عشر سنوات . وتقدمت بها السن حتى بلغت الخمسين من عمرها . وفرحت بمولدهن وشاركها النبى صلى الله عليه وسلم فرحها وغبطتها . ولم يتأثر بالبيئة المحيطة بهما التى كانت تقصر

الحب والتقدير على البنين دون البنات . حقيقة ان الاسلام قد قضى على هذه النزعات . وألغى وأد البنات . ورفع من قيمة المرأة المسلمة . الا أن الطبيعة البشرية كانت تتجه بهم دائما الى تفضـــيل البنين حرصا على العصبية . ولعلنا نرى بعض هذه الآثار ما زال باقيا فى بعض الجهات وخاصة فى الريف .

ان الله سبحانه وتعالى قد وهب الرسول الكريم أربعة بنات فسعد بهن كما سعدت أمهن .ولكنهما بدون شك قد مرت بخاطرهما الرغبة فى انجاب البنين . ولكن كيف السبيل الى ذلك وقد تجاوزت السيدة / خديجة الخمسين من عمرها . وظنت أنها قد بلغت سن اليأس . ولكن آمالها قد تحققت وولدت له الابن الأول (القاســـم) ففرحت به الأسرة كلهـــا ، الأبوان والاخوات .

ولد القاسم قبل نزول الوحى بقليل . ولكنه لم يعش طويلا فقد مات فى مستهل النبوة وعمره أقل من سنتين . ولن نستطيع أن نصف مشاعر الأسرة وحزنها الشديد لوفاته . ثم أدركتهما رحمة الله فعوضهما بمولود جديد (عبد الله) الملقب بالطيب والطاهر . وقد سماه النبى صلى الله عليه وسلم على اسم أبيه . وقد لقب بهذه الألقاب لانه ولد فى الاسلام . وكانت أمه وقتئذ فى الرابعة والخمسين من عمرها . ولكنه لم يلبث أن لحق بأخيه ولما يتجاوز السنتين أيضا . وبذلك طويت صفحة لم تكتب لها الحياة . ومات الطفلان وهما موضع الأمل والرجاء .

وفى المدينة رزق المصطفى عليه الصلاة والسلام بالطفل (ابراهيم) فى السنة ا لثامنة للهجرة من (مريم المصرية) . وهـــو آخر بنيه . فكان يحتضنه الى صدره ويحمله بين ذراعيه الى زوجته عائشـــة . فتشيح بوجهها عن الطفل وتغار على عادتها لأنه (ابن ضرتها) . وهى لم ترزق البنين أو البنات بالرغم من شبابها . مات ابراهيم وعمره ثمانية عشر شهرا تقريبا . وبموته انتهى الأمل فى انجاب البنين . وقد بلغ النبى صلى الله عليه وسلم الثانيةوالستين من عمره الشريف . وبالرغم من أن بعض زوجاته سبق لهن الانجـــاب من أزواجهن الســـابقين فانهن لم يلدان له أطفـــالا .

وهنا يمر بالخاطر سؤال : هل كان النبى صلى الله عليه وسلم فى حاجة الى بنين ينصرونه فى جهاده . ويشدون أزره ضد أعداءه وأعداء الاسلام ؟ كلا ثم كلا . لأن النصر جاءه من عند الله . وقد حالفه دائما حتى كان يوم الفتح الأكبر فتح مكة فقد عاد اليها مرفوع الرأس بعد أن أخرجوه منها

قبل الفتح بثمانية أعوام . وأصبحت مكة بعد الفتح حراما على المشركين . ودخلت قريش فى دين الاسلام .

وقد تحدث أحد المشركين وهو (العاص بن وائل السهمى) الى الناس ضد سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ولم يخجل أن يقول لهم فى حديثه عنه (اتركوه انه أبتر بلا عقب يذكره من بعده) . فأنزل الله فى القرآن الكريم الآيات البييات من سورة الكوثر (انا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . ان شانئك هو الأبتر) . وقد أراد الخالق سبحانه وتعالى بذلك أن يثلج صدر نبيه الكريم بما أعدله من نعيم خالد فى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . كما أخبره بأن عدوه هو الأبتر ولا عقب له . وقد انتهى ذكره بكفره وشركه . ان العقب الحقيقى هو الفكر الصادق . والايمان الصحيح .

وهكذا رأينا فى هذا الفصل بعض البيانات عن بنات النبى صلى الله عليه وسلم وبنيه . وما صادفهم فى الحياة من أحداث وجهاد . وأن الله سبحانه وتعالى قد بارك لهم فى دنياهن وأخراهن . كما بارك فى الذرية الصالحة للامام على وفاطمة الزهراء رضى الله عنهم أجمعين . ولا نستطيع فى هذه العجالة أن نوفى الذرية الطيبة الطاهرة حقهم من البحث والدرس . وحسبنا أن نقدم لشبابنا الناهض الملمة يسيرة بينا أجمل النماذج وعرضنا مسالكهم فى أروع صور الحياة الانسانية فقد اجتمع لهم معرفة الله . والتخلق بآداب القرآن الكريم . وصفاء النفس واخلاص القلب ومناجاة الخالق . واستكملوا آداب الحديث والمعاملات والتعاون مع الناس . بلفظ جميل ووجه مشرق . فان احتذينا مثلهم العليا عشنا كراما بلا حقد ولا حسد . وعرفنا للدين الاسلامى حقه علينا (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

الفصل الثامن

المرأة فى الجاهلية والاسلام

وتعــدد الزوجــات

٤١ — المرأة فى الجاهلية

من المفيد أن نتحدث قليلا عن المرأة فى الجاهلية وقيمتها فى ذلك المجتمع وبذلك نضع أمامنا صورة للحياة بالجزيرة العربية . حيث عاشت القبائل والعشائر والبطون . ان حياة الصحراء وقسوتها . وقلة البساتين والآبار وأحوال الامطار المتغيرة . كل هذه الظروف الطبيعية قد فرضت على الناس نوعا خاصا من الحياة . فهم أغنياء حين يملكون البساتين وحين يتاجرون مع المناطق المجاورة لهم . فيصيبون منها أرباحا طائلة . وهؤلاء الأغنياء قلة من الناس تعيش فى ترف ورغد من العيش يصل ببعضهم الى حد المجون والفساد .

وأما الباقون وهم السواد الأعظم من السكان فهم رحل يسيرون بأغنامهم وابلهم يتتبعون الكلأ والعشب . ولفقرهم يضطر بعضهم الى النزوح الى أماكن الاثرياء للعمل عندهم بالأجر . وقد يفقدون بالخدمة عندهم حريتهم وحرية أسرهم فيعيشون فى الذل والعبودية والحرمان .

وأد البنات :

فلم يجد بعض الفقراء وسيلة للتخفيف عن كاهلهم المادى الا التفكير فى التخلص من بناتهم . كما فكر فقراء آخرون فى قتلهم أيضا خشية اغراء الأثرياء وسطوهم على الأعراض دون خجل أو وجل . وهكذا انضم الفقر الى الحرص على الشرف وحمايته والذود عنه للتخلص من البنات وقت ولادتهن ، فابتكروا لذلك ما عرف فى التاريخ (بوأد البنات) وهو دفنهن أحياء . لدرجة أنه قيل ان المرأة حين تشعر بلحظات الولادة تجلس بجوار قبر صغير أوحفرة من الأرض . فان أنجبت ولدا عادت به الى بيتها . وان أنجبت بنتا وضعتها فى الحفرة وهالت عليها التراب وعادت بدونها الى دارها . خفيضة الجناح . كسيرة الخاطر .

لقد حدث هذا الأمر الفظيع الذى تأباه الانسانية ويألم له الوجدان . ولكن من حسن الحظ أن بعض القبائل هى التى قامت بذلك الوأد دون غيرها . ولو اشتركت كل القبائل فى هذا العمل لانتهت الجزيرة العربية . وانقرض سكانها جميعا . ان بقاء الجزيرة ونمو سكانها لأكبر دليل على

أن الوأد كان محدود الأثر . ضيق الانتشار . فضـــلا عن أن الظروف الاجتماعية . وخاصة عند الأغنياء لم تحملهم على وأد البنات وأنهم كانوا فى عيشة راضية لا يكتنفها الفقر . ولا يدهمها البؤس والاحتياج . ولا يستطيع أى شخص أن يسىء الى سمعتهم بالاعتداء على شرفهم وأعراضهم .

ولكن مع ما كان عليه بعض القبائل من قسوة على البنات فى الجاهلية فإن المرأة لم تفقد احترامها عند الآخرين الذين قدروا لها فطنتها وذكاءها . وشدة اخلاصها ووفائها لزوجها وأولادها فى السلام والحرب . فقد كانت المرأة عندهم ترافق الجيوش لتشجيع الرجال على الصمود والنصر . وتحمل لهم الطعام والنبال والسهام . وتنطق بالشعر الجيد لتثير فيهم النخوة والشهامة . والرجال يعلمون أن الهزيمة معناها قتل الرجال وسبى النساء وهذا يشق عليهم ويشحذهم الى التفانى والاستبسال .

٤٢ — الزواج فى الجاهلية

لم يعرف الرجل فى الجاهلية للزواج حدودا أو قيودا . بل كان يتزوج من النساء ما يشاء تبعا لثروته أو نفوذه وسلطانه . وكان الفقير يتزوج لانجاب العديد من الأبناء لمساعدته فى رعى الأغنام والابل . وقد يتزوج غير الفقير لأنه فى حاجةالى زيادة الأسرة . للتباهى والتفاخر والدفاع عن العشيرة . وقد يتزوج أخيرا لمجرد المتعة الشخصية . فمن غلبته شـــهوته الجنسية كان لا يكتفى بواحدة . فهو بهيمى النزعة . ساذج العاطفة . بدائى التفكير . سقيم الوجدان . عليل النفس . وهناك من كان يتزوج لمجرد التظاهر وتقليد الآخرين تقليدا أعمى .

ولم يكن للمرأة فى الجاهلية أمام كل هذه النزعات المتباينة حول ولا قوة . فهى مسالمة مستسلمة تخرج من بيت أبيها الى بيت زوجهـــا . أو تســـاق اليه دون أن تفكر فى مصيرها أو تدرى من أمرها شيئا . انها صغيرة السن قليلة الخبرة . لا تستطيع أن ترفض لأبيها طلبا أو تتكلم معه فى شأن من شئون الحياة . انه الآمر الناهى فى كل شىء . انه رب البيت بكل معنى الكلمة . وأمها أيضا لا تستطيع أن تتدخل فى أمور الزواج . وليس من حقها أن توافق أو ترفض .

وكما عرفت الجاهلية تعدد الزوجات الى غير حد . فقد عرفت الطلاق دون مراجعة أو نصيحة أو مشورة . لأن الرأى والأمر كان للرجل وحده . يتزوج تبعا لأهوائه . ويطلق حسب مشيئته . وكان هذا الزواج يتم من الحرائر . وأما غيرهن من الرقيق فكن ملك يمين الرجل . لا يملكن حق

التصرف فى أى شىء . بل هو يملك التصرف فى شأنهن . فان شاء قتلهن . وان شاء أبقى عليهن . وكانت الاماء فى ذلك مثل الرقيق من الرجال لا يملكن لأنفسهن شيئا .

وكان أبناء الاحرار يختلفون تماما عن أبناء الاماء . فالأولون يتمتعون بكل حقوق الأحرار من مناصب الشرف والدفاع والانتساب الى الأسرة أو القبيلة . وممارسة صنوف الشجاعة والفروسية . وأما أبناء الاماء فقد كانوا يعيشون فى تعاسة منكرة . ومذلة بغيضة . وكانوا مطايا لبنى الانسان الذين قست قلوبهم فى تلك الأغوار السحيقة فى التاريخ . فاتجهت قلوبهم المكلومة الى الله فى صمت وسكون . وشكوا اليه سبحانه وتعالى ظلم الانسان لأخيه الانسان . وظلت دعواتهم تتردد آناء الليل وأطراف النهار . وترتفع رويدا رويدا الى كبد السماء . وبددت فى طريقها دياجير الظلام . وأحست برضاء الخالق العظيم الذى استجاب اليهم . وشعروا ببزوغ الفجر الجديد . واشراق شمس الحرية . وظهور نبى الرحمة . محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

٤٣ ـــ المرأة فى الاسلام

اننا لا نتحدث عن المرأة فى الاسلام من عند أنفسنا . أو للرد على المفترين من أعداء الاسلام وبعض المستشرقين المغرضين . ولكنه حديث الواقع التاريخى الذى لا يزال نورا هاديا لأصحابه . ونارا حارقة لأعدائه .

ولقد رأينا فى الحديث عن المرأة فى الجاهلية كيف كانت تلقى الاهمال والزراية والاحتقار حتى كان بعض القبائل يئدون البنات خشية الاملاق أو العار . ثم جاء الاسلام فخلق حضارة جديدة عالمية . وانتشل المرأة من وهدتها ليضعها فى مكانها اللائق . وحرم وأد البنات ، قال تعالى فى القرآن الكريم (واذا الموءودة سئلت . بأى ذنب قتلت) . كما قال تعالى أيضا (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق . نحن نرزقهم واياكم . ان قتلهم كان خطئا كبيرا) . والمقصود بالأولاد فى هذه الآية الكريمة وغيرها « البنات » . لأن القبائل العربية فى الجاهلية لم تقتل البنين لأنهم كانوا عدتهم فى العمل والتجارة وقوتهم فى الملمات .

وقد شجع الاسلام تثقيف المرأة وتعليمها حتى نبغ بعض فضليات النساء فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم مثل السيدة / عائشة رضى الله عنها . وقد قال عليه الصلاة والسلام فى حقها تقديرا لمكانتها من التفقه فى الدين . ورواية الأحاديث الشريفة (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) .

وكذلك حضرت كثيرات من النساء مجالس النبى صلى الله عليه وسلم . وعرفن الآداب القرآنية والسلوك الاجتماعى القويم .و كن للأجيال القديمة مشاعل النور والحكمة . واستمر الاسلام فى رعايته للمرأة فى كل مكان . وشجع الاسلام على الحرية وفك الرقاب ليقضى تدريجيا على الرق والعبودية فلا تباع وتشترى كسائر الامتعة . وجعل الاسلام الناس سواسية كأسنان المشط . وقضى على نظام الطبقات وجعل قيمة الانسان فى تقواه وعمله قال تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) كما قال (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

ومن مآثر النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يوصى رسله وسراياه بعدم التعرض للمرأة أو قتلها . وكذلك كان يوصيهم بالأطفال . ولعلنا رأينا قمة التكريم فى تزويجه زيد بن حارثة من زينب بنت جحش ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليكون فى ذلك أبلغ الأمثلة للناس عندما يتزوج مولى فقير من قرشية جميلة ثرية لها قيمتها فى قبيلتها . وفى المجتمع كله فى مكة وغيرها .

ان التاريخ الاسلامى ليزدهر بأسماء لا حصر لها من النساء المؤمنات اللائى ضربن بسهم وافر فى ميادين الثقافة والعلم والفن والسياسة . وبلغ بعضهن أعلى المناصب فأثبتن الخبرة والحنكة والجدارة . ومؤلفاتهن بكل اللغات بين أيدينا تشهد بما لهن من مكانة عالية وقدم ثابتة فى الشرق والغرب .

واذا كانت المرأة المسلمة قد تخلفت عن الركب حينا من الدهر . فليس هذا ذنبها بل انه كان نتيجة للاستعمار والاستغلال الظاهر والمستتر كما يرجع الى ظلم بعض الحكام وجهلهم فى العصور السابقة . فان الطاغية لا يعرف الدين . ولا يحترم القيم بالنسبة لأى دين وأى مجتمع . ولكنها عاصفة قد ولت الادبار أمام جحافل العلم ونور الايمان . وانقشعت الظلمات وتلألأت شموس المعرفة . واحتلت المرأة المسلمة مرة أخرى مكانها الممتاز .

٤٤ — الزواج فى الاسلام

الزواج شركة بين الرجل والمرأة . تسعى الى النجاح عن طريق التفاهم وتبادل التقدير والاحترام . وتقوم أساسا على حسن الاختيار والدقة فيه . وعدم التسرع ومراعاة التكافؤ فى المستوى الثقافى والاجتماعى . للوصول الى نتائج سليمة تستطيع الصمود أمام أحداث الزمن . ولا تتأثر بالهزات العرضية

كلما هبت رياح غير ملائمة . وتدوم الحياة للزوجين فى يسر وهناءة . قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

ولقد قام الاسلام بتنظيم الزواج فى المجتمع الجديد . وقرر أن يتزوج الرجل من امراة واحدة . الا اذا وجدت ضرورة تدعوه الى تعدد الزوجات والجمع بينهن الى أربعة . وذلك لتيسير أمور الحياة وتذليل العقبات . فقد تمر بالحياة الانسانية ظروف وأوضاع تتطلب الزواج بأكثر من واحدة مثل المرض والعقم وعدم الترابط النفسى أو الاتزان الجنسى . وهى أمور لابد منها فى كل مجتمع . قال تعالى (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم . ذلك أدنى ألا تعولوا) .

وبالنسبة للعدالة بين الزوجات . فقد يكون من العسير على الرجل أن يصل اليها وأن يحققها بصورة صادقة . مهما حاول فى النواحى المادية والأدبية . لأن قلب الانسان قد يميل بصاحبه الى ناحية دون أخرى . قال تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) .

فاذا حدث ما يدعو الى الزواج بأخرى . فان المرأة الأولى قد تفضل البقاء فى كنف الرجل مع الزوجة الثانية بدلا من الطلاق . لأنها لا تأمن على نفسها عثرات الحياة . فضلا عن انتظار زوج آخر قد تطيب معه الحياة وقد تضطرب . ولكن من المؤكد انها تضحى وتحتمل الحياة مع زوجها مهما كانت راغبة فى هجره والابتعاد عنه . انقاذا للأطفال من الضياع والتشرد . وهم ضحايا عدم الاستقرار العائلى . فليتق كل انسان ربه قبل أى تصرف وخاصة بالنسبة لكيان الأسرة .

ان تعدد الزوجات فى الاسلام ليس شرا كما يتخيله الأعداء والمكابرون من المستشرقين لعجزهم عن فهم حقيقته . أو عنادا لاشباع عداوتهم . فهذا التعدد ليس اجباريا بل قصد به خدمة المجتمع وتذليل العقبات . وحل المشكلات التى قد تصادف الناس على اختلاف مشاربهم وطبائعهم . ومن لم يجد حلا لمشكلته فى هذا الدين القيم فلن يجد لها حلا مطلقا . لأنه آخر الأديان السماوية الذى سد كل نقص . واستجاب ويستجيب لكل مطالب الحياة فهو الدين الكامل الشامل . وهو من صنع الله الخالق العظيم . الهادى الى سواء السبيل . ان الاسلام أباح التعدد ولكنه لم يلزم المؤمن بالتعدد ، والعيب ليس عيب الاباحة ولكنه عيب الرجل الذى يسىء استعمال الحق بغير ضرورة .

وفى الحقيقة انه بظهور الاسلام قد تدعمت الاسرة . واستقرت أوضاع المجتمع . وشرعت قواعد الزواج بما يتلاءم مع حياة الانسان فى يسر ووضوح . عرف الاسلام الزوجة المخلصة . وأنكر الخليلة الماجنة التى يتباهى بها الغربيون . فالرجال عندهم يتبادلون الزوجات علنا فى حلقات الرقص دون خجل وبلغ ببعضهم فى القرن العشرين التبادل التام للزوجات كنوع حديث من الابتكارات الخليعة . والجنون الآدمى . والشذوذ الخلقى. ناهيك عن فلسفات العرى وآراء الخنافس وفضائح الهيبز وغيرهم من المنحلين .

ان الأسرة الشريفة التى تعرف حدودها . وتستقيم أمورها على دعائم من الدين الحنيف . هى الأسرة المثالية التى أوجدها الاسلام ومهد لهـا الطريق القويم ، سبيلها الايمان . وقبلتها رضاء الله . ونبضات قلبها لا اله الا الله . وأنفاسها محمد رسول الله .

ومن رحمة الله بعباده أنه فى بداية الاسلام . ترك للناس استمرارهم مؤقتا فى حياتهم الزوجية بأسـلوبهم القديم . منعا من إضطراب الأسر والعائلات حتى يتم التخلص منها رويدا رويدا . كلما زاد احساسهم بنظام الزواج فى الاسلام . فمثلا كان الرجل فى الجاهلية عندما يموت أبوه . يأخذ زوجات أبيه ضمن الميراث ويعيش معهن حياة زوجية . فحرم الاسلام الحنيف ذلك . قال تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف . انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) .

كما أوضح القرآن الكريم معالم الطريق بالنسبة للزواج فى الآية الكريمة (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللائى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهـات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين الا ماقد سلف . ان الله كان غفورا رحيما) .

وقد قررت هذه الآية أيضا قاعدة جديدة لجميع الناس فحرمت زواج الرجل من مطلقة ابنه الشرعى أى من صـلبه فقط . وأما مطلقة الابن بالتبنى فيجوز للأب أن يتزوجها بعكس ما كان سائدا فى الجاهلية . ولهذا تزوج النبى صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة وكان الرسول الكريم قد تبناه منذ طفولته وبين الله سر ذلك فى قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا) .

ومن ناحية أخرى فى موضوع تكوين الأسرة . منع الاسلام زواج المشرك من مسلمة حتى يسلم . كما منع زواج المسلم من مشركة حتى تسلم . قال تعالى فى كتابه العزيز (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن . ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم . ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا . ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) .

اننى أختم هذه الفذلكة اليسيرة عن الزواج فى الاسلام برجاء لشبابنا وسيداتنا وفتياتنا فى الأمة العربية والاسلامية . رجاء العودة الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى كل الأمور ويراعوا ما يتصل بالزواج وتكوين الاسرة . فلا تبهرهم المظاهر الجوفاء الخادعة . والآراء المستوردة الزائفة . والمودات الماجنة فالاسلام أغنانا عن غيرنا . فليأخذ الأجانب عنا الأخلاق الفاضلة . كما أخذوا عنا أصول العلوم والمعرفة .

لقد اعترفت أوروبا أخيرا بالطلاق وقررته الكنيسة الكاثوليكية . فتقدم آلاف من الناس فى اليوم الأول للقرار طالبة التنفيذ فورا . لانهم عاشوا سنوات وسنوات فى انفصال دائم حقيقى . وبعضهم كان يعيش فى أحضان غير شرعية مع نتائجها الآثمة . ولم يكن لهم من العلاقات الزوجية غير الاسم فقط .

ان بعض الأجانب يفاخرون بالحياة الآثمة . ونحن المسلمين نفاخر بالحياة الفاضلة اننا كمسلمين لانؤمن بالخنافس والهيبيز ومذاهب العرى والاباحية وتبادل الزوجات . لان ديننا القويم يعصمنا من هذه المبادىء الهدامة التى بدأت تغزو الشرق كأسراب الجراد وقانا الله من شرها . وجنب شبابنا طريقها والوقوع فى حبائلها . ولن نحتمى منها ومن شرورها الا بالعودة الى أحكام الله العلى العظيم .

٤٥ — زواج النبى صلى الله عليه وسلم

أراد المشركون واليهود مهاجمة الاسلام من أية ناحية ومن كل سبيل . ولم يتورعوا عن مهاجمة النبى صلى الله عليه وسلم . ومحاولة النيل من حياته الخاصة . فلم يستطيعوا النيل من صفاته أو أخلاقه . فاتجهوا الى زواجه من أمهات المؤمنين . وأرادوا النيل من تعدد أزواجه عمدا أو جهلا .

ولو احتكموا الى ضمير حى ، أو عقل راجح . لعلموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد تزوج من سيدة واحدة فى حقيقة الأمر . وهى السيدة /خديجة بنت خويلد رضى الله عنها . تزوجها فى سن مبكرة وهو فى الخامسة والعشرين

من عمره وهى فى الأربعين أى أنها كانت أكبر منه بخمس عشرة سنة . وعاشا معا كأحسن زوجين خمسا وعشرين سنة . وتوفيت خديجة فى الخامسة والستين ولم يتزوج بغيرها قط فى حياتها . مع أن جميع القبائل كانت ترحب بالشرف العظيم بمصاهرته . كانت سنه تسمح بالزواج من كثيرات وخاصة قبل النبوة . ولكنه لم يفعل لانه لم يفكر فى بشريته بعقلية الناس . ولأن الله قد اصطفاه واختاره لرسالته فتفرغ لها . وعكف كل الوقت على أدائها .

يمضى ليله ونهاره فى الوعظ والارشاد . واستقبال الوفود والذهاب الى مختلف القبائل والمناطق . داعيا الى الله . هاديا الى الدين الحنيف . منذرا ومبشرا . بوجه سمح ولفظ كريم حتى وصفه الخالق جل شأنه فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) .

انه لم يفكر فى شبابه فى استمتاعه بعواطفه واقباله على النساء كغيره من شباب العرب . وهو من أكرمهم بيتا وأعرقهم نسبا . لقد اكتفى بزوجته حيث وجد فيها الصفاء والوفاء . وأنجبت له البنات والبنين . وزملته ودثرته وكانت أول انسانة فى الوجود يؤمن به ويؤازره . وكان عليه الصلاة والسلام بالنسبة لها الزوج المخلص الوفى . وعاش يذكرها بالخير طوال حياته حتى بعد وفاتها .

ينسى الأعداء والأدعياء هذه الفترة الطويلة الطيبة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم . يعيش حتى الخمسين من عمره الطاهر مع زوجة واحدة . انه لم يفكر فى امرأة أخرى لشبابها وجمالها وأنوثتها . مع أن الجمال عن يمينه وعن شماله وتحت أقدامه . فلم يحفل بكل ذلك وعاش مع زوجته التقية الصالحة حتى بلغت عنده الشيخوخة .

يتحــدث بعض الكتاب والمفكرين عن (بشرية) النبى صلى الله عليه وسلم وعن حبه للنساء . ويرون أن ذلك لايتعارض مع النبوة . ولعلهم قد تأثروا بمطالعاتهم فى كتب بعض الموتورين . ولعلهم نسوا أو تناسوا شبابه قبل النبوة ولم يكن هناك ما يمنع من الزواج بأكثر من واحدة لو أراد ذلك . اذن قد جانبهم الصواب حين تخيلوا أمورا لا وجود لها .

انه تزوج فى الشيخوخة بعد وفاة خديجة من بعض فضليات النســـاء الصالحات لاسباب ترجع الى ظروف كل واحدة منهن . ولكنها تجتمع جميعا عند فكرة واحدة . وهى حماية المرأة المسلمة بعد وفاة أو استشهاد زوجها . وبذلك تستطيع الاحتفاظ بدينها .ولا تتعرض لايذاء قومها . ومعظمهن فقيرات

متقدمات فى السن . وسبق لهن الزواج مرة أو اكثر . ماعدا السيدة /عائشة رضى الله عنا فقد تزوجها بكرا ولم يتزوج بكرا غيرها .

تزوج عليه الصلاة والسلام من سودة بنت زمعة لتشرف على شئون بيته وبناته . وتزوج زينب بنت خزيمة عندما استشهد زوجها فى غزوة أحد . وتزوج زينب بنت جحش لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم كما قال القرآن الكريم حيث كانوا يظنون خطأ أن زوجة الابن بالتبنى تحرم كما تحرم زوجة الابن من الصـــلب .

ثم تزوج من السبايا مرتين بعد اسلامهما . الأولى جويرية بنت الحارث فأسلم أبوها وقومها . والثانية صفية بنى حيى بن أخطب . مع أنه عليه الصلاةوالسلام عرض عليها العودة الى أهلها .ففضلت الاسلام والزواج منه.

ومن النواحى الانسانية التى يذكرها التاريخ بالاعزاز والفخر . أن النبى صلى الله عليه وسلم علم بما حدث لرملة (أم حبيبة) بنت أبى سفيان بن حرب التى هاجرت مع زوجها الى الحبشة . وهناك تنصر وتركها وحيدة بدون عائل . فأراد الرسول الكريم أن يحميها عند عودتها الى بلادها . وأرسل الى النجاشى ليخطبها دون أن يراها . مع أن أباها وقتئذ كان من أشـــد الأعداء للاســـلام .

وحدث ذلك أيضا بالنسبة لأم سلمة بنت أبى أمية . التى توفى زوجها بعد عودتهما من الحبشة . فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت اعتذرت له بكبر سنها وكثرة أولادها ، فقال لها : « أنا أسن منك وأما الأولاد فدعيهم لله وللرســـول » .

وتزوج عائشة وعمره خمس وخمسون سنة ليرتبط مع أبى بكر بأقوى الروابط بالاضافة الى ماكانت تمتاز به عائشة من نشاط وذكاء . وأمابالنسبة لحفصة بنت عمر بن الخطاب . فقد تزوجها بعد أن رفض أبو بكر وعثمان بن عفان الزواج منها . بعد أن استشهد زوجها فى غزوة بدر الكبرى . وهى فى شرخ الصبا وريعان الشباب . اذ لم تبلغ الثامنة عشرة من عمرها وأخيرا تزوج ميمونة أثناء عمرة القضاء بمكة . وهى شقيقة أم الفضل زوجة عمه العباس بن عبد المطلب . عندما علم بظروفها القاسية . وليس مع الحلال تهمه ، ان الله تعالى ارتضى له هذا التعدد وكرم زوجاته الطاهرات بقوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك) .

استغل المغرضون هذه الزيجات . لينالوا من الاسلام فى شخص الرسول العظيم . ولكنهم قد نثروا الدر من حيث لا يعلمون . فى حين أنهم أرادوا الشر .

ان زواجه صلى الله عليه وسلم زواج لحمته الرحمة وسداه العطف والانسانية . زواج تم فى الكهولة أيام النضال والكفاح من أجل الدعوة الاسلامية . زواج تم أيام الغزوات التى اضطر اليها للدفاع عن العقيدة . وصد المغيرين واتقاء المنافقين . وردع الغادرين والمعتدين .

فمتى كانت المتعة رائده ؟

ومتى كانت البشرية حافزه ؟

ومتى كانت العواطف قبلته ؟

انه ليس كسائر الناس . لقد تجمعت فيه كل عناصر الخير . انه لايجد وقتا للتفكير فى النساء والمتعة الشخصية . والرغبات الجنسية فى شيخوخته . وقد تجنب طريقها فى عنفوانه . لقد امتزجت روحه بنورانية شفافة لا تعرف النزوع الى الحيوانية . لقد صلى اماما بالأنبياء . وفتحت له أبواب السماء . ورحبت به الملائكة الأطهار . وبلغ سدرة المنتهى . ثم كان من عرش مولاه قاب قوسين أو أدنى . انسان جمع كل هذه الصفات . لابد أن يكون فوق الشبهات . انه صاحب الشفاعة يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم .

الفصل التاسع

العبادات

٤٦ ــ الاسلام

٤٧ ــ الشهادة

٤٨ ــ الصلاة

٤٩ ــ الأذان

٥٠ ــ القبلة

٥١ ــ الزكاة

٥٢ ــ الصوم

٥٣ ــ الحج

٤٦ — الاسلام

كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام . وهو الدين الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه . قال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) . يدخل فيه الانسان برغبته وبدون ضغط أو اكراه . فيستقيم ايمانه . ويسعد فى الدارين . قال تعالى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) .

ومن آيات الله تعالى اختلاف الناس فى الجنس واللون واللغة . وأما عن الدين فلو أراد سبحانه وتعالى أن يجعلهم جميعا دينا واحدا لتم ذلك فورا . قال تعالى فى كتابه العزيز : (ولو شــــاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .

والاسلام عقيدة وشريعة . الأولى موضعها الايمان والثانية مجالهـــا العمل . ويجمعها كلها القرآن الكريم . كما تجمع كلمة (الله) كل الصفات الالهية التى نحس آثارها ونراها فى أنفسنا . وفيما حولنا . دون أن ندرك مداها وماهيتها . قال تعالى (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) .

انه الخالق القادر الرحمن الرحيم الأحد الصمد . له الأسماء الحسنى ولا معبود سواه . قال تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) . فهل بعد هذه الآيات الكريمة الناطقـــة بوحدانية الله وقدرته وانفراده بالأمر وبالخلق يسمع الناس لحديث ضال يخالف ذلك ؟ لايصح أن يهجر كلام الله الى كلام مخلوق عميت بصيرته وأغلق قلبه دون الايمان . وضوء الشمس لايغيب اذا أغمض بعض الناس عيونهم عمدا أو جهلا . وأنكروا الاحساس بها .

والاسلام يدعو الانسان الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله . وأن محمدا خاتم الأنبياء والرسل . كما يؤمن بالجن والبعث واليوم الآخر . اننا نؤمن بالملائكة الأطهار رسلا للخير . دون أن نعرف كيفية خلقهم . لأن القرآن لم يذكر شيئا عن ذلك . ونؤمن بجميع الأنبياء السابقين . ولا نفرق بين أحد منهم . فكلهم مسلمون يدعون الى الله . ونؤمن بالكتب المنزلة من عند الله

بصورتها التى نزلت بها . قال تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) . ونؤمن بالجن باعتبـــار أنهم مخلوقات من نار . منهـــا الصالح والطالح ويجرى عليهم ما يجرى على الانســـان من خير وشر . ويعرفون الطريق الى الله تعالى عن طريق الأنبياء والرسل . وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى سورة الرحمن الانس والجن جنبا الى جنب فى آيات كثيرة (خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار . فبأى آلاء ربكما تكذبان) . وقال تعالى أيضا (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . لا تنفذون الا بســـلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان) .

والاسلام لايعرف وساطة بين العبد وربه . فلا قديسين ولا كهان كالأديان الأخرى . (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) . والاسلام يرشد الانسان الى حرية التصرف فى عمله . فيثاب اذا أحسن . ويعاقب اذا أساء . ولذلك لا يجوز للانسان أن يخطىء ويدعى أنه مقدر عليه اتيان الخطأ وارتكاب المعاصى . لأنه سبحانه أظهر أمره وأخفى قضاءه وقدره فيجب أن يطيع المؤمن الأمر الظاهر ولا يحتج بالقضاء الخافى .

والاسلام قد بنى على خمس كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله . واقام الصلاة . وايتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

فيجب على كل مسلم أن يتفقه فى الدين بقدر مايستطيع . وأن يعرف هذه الأركان الخمسة معرفة تامة لتنفيذها على الوجه الصحيح . وأن يسأل أهل الذكر كلما أغلق عليه أمر .

٤٧ ـــ الشهادة

انها أساس الايمان بوجود الله ووحدانيته . والتصديق بالمصطفى عليه الصلاة والســـلام خاتما للأنبياء والمرسلين . ومعناها أيضا أن الله هو الخالق العظيم لاشريك له وأنه صاحب الأمر أولا وأخيرا .

انها الفارق الأساسى بين المسلم والكافر . ويجب ألا تصدر عن اللسان فقط بل يجب أن يعتقدها المؤمن بالقلب بخشوع تام . وسبق فى عهد الرسول الكريم أن نطق بها المنافقون تظاهرا لخداع المسلمين . وماخدعوا الا أنفسهم فقد كشف الله عنهم لنبيه الكريم وأخبره بكذبهم وبهتانهم .

وعلى ذلك فان النطق بها لا يحتاج الى وقت معين أو جهة محددة كالصلاة والصوم . بل هى سعادة روحية تغمر المؤمن بالايمان والرضى . حيث ينطق بها ليلا ونهارا . فى غدوه ورواحه . فى سره وعلنه . يفرح بها القلب لأنه أداة الاتصال بالله سبحانه وتعالى . (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

انها ليست ألفاظا تتكرر وتتردد . ولكنها تقديس لذات الرحمن . وهى أجمل ما يتحلى بها الانسان . وأحلى ماينطق به اللسان . فلنحملها فى صدورنا بكرة وعشية . ولنجعلها تسبيحا مع أنفسنا . ولنعلمها لأولادنا وبناتنا . عقيدة كاملة . وبدونها لا يكون الاسلام . وهى خير تراث من السلف الى الخلف . (ومن أحسن قولا مما دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) .

٤٨ ــ الصـــلاة

دعا الاسلام كل مكلف من غنى وفقير ، ذكر وانثى الى أداء خمس صلوات فى اليوم والليلة يناجون فيها ربهم فى عبودية خالصة ويصف فيها التابع والمتبوع والحاكم والمحكوم كتفا لكتف فى اخاء اسلامى رائع ومساواة آدمية كريمة .

وقد تقررت الصلاة فى رحلة الاسراء والمعراج المباركة . فضلا وكرما من الله على عباده . أعطاها هدية للنبى صلى الله عليه وسلم فى السماء . فتقبلها بالشكر والدعاء . وكل صلاة لها وقت معين تؤدى فيه . والصـــلاة بصفة عامة لها قواعد وأصول لايختلف فيها اثنان . وهى تؤدى فى المنزل. وفى المسجد لاكتساب زيادة الثواب والتعارف مع أهل الحى أو المدينة . ثم فى الحج لتتسع دائرة التعارف والتعاون والمحبة بين جميع الأقطار والامصار.

والصلاة من أقدم العبادات . عرفها الأنبياء : ابراهيم واسماعيل وموسى وعيسى عليهم السلام . وأرشدوا أقوامهم اليها . قال تعالى (وأقم الصلاة . ان الصـــلاة تنهى عن الفحشـــاء والمنـــكر ولذكـــر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

(ا) الفـــرض :

الصلوات وأوقاتها كالآتى :

١ ــ صلاة الصبح	ركعتان	تؤدى جهرا فيما بين الفجر وشروق الشمس .

٢ ــ صلاة الظهر	أربع ركعات	تؤدى سرا بين الظهر ومنتصف المدة بينه وبين غروب الشمس .
٣ ــ صلاة العصر	أربع ركعات	تؤدى سرا بين هذا المنتصف وبين غروب الشمس .
٤ ــ صلاة المغرب	ثلاث ركعات	تؤدى اثنتان منها جهرا وواحدة سرا بين غروب الشمس وزوال شفقها .
٥ ــ صلاة العشاء	أربع ركعات	تؤدى اثنتان جهرا واثنتان سرا بين زوال شفق الشمس الى ماقبل طلوع الفجر .

هذه هى صلاة الفرض تؤدى فى وقتها المرسوم لها .

(ب) صلوات أخرى :

وهناك أيضا : صلاة الجماعة ، وصلاة الجمعة ، صلاة العيدين ، صلاة الجنازة ، صلاة الوتر ، صلاة الاستخارة ، صلاة التسابيح ، صلاة التوبة ، صلاة الحاجة ، صلاة الخوف .

(جـ) السنة :

ركعتا الفجر : قبل صلاة الصبح .

ركعتان : قبل صلاة الظهر أو الجمعة ، ركعتان : بعد الظهر أو الجمعة .

ركعتان : بعد صلاة المغرب ، ركعتان : بعد صلاة العشاء .

(د) النوافل :

كثيرة ولها ثوابها عند الله سبحانه وتعالى .

وتعتبر الصلاة الركن الثانى فى العبادات بعد الشهادة مباشرة . وهى مظهر كريم يربط بين المسلمين فى جميع أنحاء الدنيا ــ فى الأداء والتعبير والاتجاه الى قبلة واحدة . والتطلع بقلوب خاشعة الى معبود واحد . هو الله سبحانه وتعالى . وقد ورد فى القرآن الكريم (الم . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقــون) .

ان الصلاة ضرورية للناس كأفراد وجماعات . وهى اتصال دائم مع الله . وبها يستغفر الانسان لذنوبه بين صلاة وصلاة . وتتم الصلاة بعد الوضوء فى مكان طاهر وبالخشوع الواجب نحو رب العـالمين . ويقظة الضمير أثناء أدائها . فلا شرود للذهن ولا نزوع للقلب الى أمور أخرى مهما كانت . ولا يصح فيها الكلام أو الأكل أو كثرة الحركة . قال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم بالرغم من مكانته السامية عند الله . يقوم الليل ويطيل القراءة فى النافلة حتى تورمت قدماه . وقد سألت السيدة عائشة : لم تفعل ذلك يارسول الله وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر . فقال عليه الصلاة والسلام (أفلا أكون عبدا شكورا) . وكان من شدة حبه لمناجاة ربه يعتز بالصلاة ويقول (جعلت قرة عينى فى الصلاة) . ويلجأ اليها كلما حزبه أمر من الأمور امتثالا لأمر الله حيث قال تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين). أى نفس عن صدرك بالاسترواح فى الصلاة .

والصلاة سعى من الانسان للوقوف بين يدى الله . للدعاء والمناجاة والاستغفار . فهل يستطيع انسان عاقل أن يغفل عن هذه المناجاة . أو أن يقف بين يدى مولاه مشتت الفكر غافلا متكاسلا . أو خاملا لايدرى مايقول ومايعمل . أو يؤديها بجسمه دون قلبه وعقله . ان الصلاة أدب وطاعة . وهى فى مقدمة العبادات . قال النبى صلى الله عليه وسلم (انما موضـــع الصلاة من الدين . كموضع الرأس من الجسد) .

يجب أن يبدأ الانسان الصلاة من الطفولة ويحافظ عليها شابا ورجلا وكهلا ولذلك يجب أن تقوم العائلات بواجبها الدينى نحو أولادها . فلا تكتفى بتقديم الغذاء والمسكن والملبس اعتقادا خاطئا منها بأن هذه الواجبات هى كل رسالتها نحوهم . انها بالتوجيه الدينى تبنى مستقبلهم وحياتهم السعيدة التى تربطهم بالخالق الرازق سبحانه وتعالى . يجب أن يعتاد الشباب السلوك الدينى منذ نشأتهم صغارا . فلا يغفلون عنها كبارا . قال النبى صلى الله عليه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة لسبع ســـنين واضربوهم عليها لعشر) .

كيف يتقدم الى الله بطلبات من الصحة والسعادة وسعة الرزق والنجاح فى الأعمال والامتحانات وسائر حاجيات الدنيا قبل أن يتقدم اليه بالعبادة الخالصة . والطهارة التامة . وتنفيذ أوامره . ان الصلاة جماع الفضائل لانها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . وهى سياج يحمى الانسان من

الشيطان . قال تعالى (اتل ماأوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون) .

ان الصلاة فرض واجب الأداء يوميا . بشروطها المقررة من الوضوء والطهارة وطهارة المكان والنظافة وارتداء الملابس اللائقة بمقام الله سبحانه وتعالى . وانتظام الصفوف عند الصلاة فى المسجد . وصلاة الجمعة واجبة أيضا . ويجب المحافظة على أدائها . فيحظى الانسان برضاء الله تعالى . وأما من يتركها عمدا واهمالا فله حسابه عند الله . قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع . ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .

٤٩ — الأذان

لقد كثر عدد المسلمين بالمدينة وامتلأ بهم المسجد النبوى . وكانوا يذهبون اليه فى المواعيد المقررة للصلاة بدون دعوة أو نداء . وأمام هذه الكثرة الغالبة . أخذو يفكرون فى طريقة لدعوة الناس الى الصلاة . ففكروا فى استخدام الناقوس كالنصارى أو البوق كاليهود . ولكن أحد المؤمنين وهو (عبد الله بن زيد) رأى رؤيا صالحة . تتلخص فى انه رأى فى منامه شخصا يطوف به ومعه ناقوس . فأراد عبد الله أن يأخذه منه ليدعو به الناس الى الصلاة .

فعرض عليه هذا الشخص ماهو خير من الناقوس . وأرشده بأن يؤذن فى الناس قائلا (الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . أشهد أن لا اله الا الله . أشهد أن لا اله الا الله . أشهد أن محمدا رسول الله . أشهد أن محمدا رسول الله . حى على الصلاة . حى على الصلاة . حى على الفلاح . حى على الفلاح . الله أكبر . الله أكبر لا اله الا الله) .

ذهب عبد الله بن زيد الى المسجد وقابل النبى عليه الصلاة والسلام وأخبره بما حدث ثم حضر عمر بن الخطاب وقص على الرسول الكريم أنه رأى فى منامه رؤيا صالحة وذكرها فاذا هى مطابقة تماما لما حدث مع عبد الله بن زيد . فقال النبى الكريم لعمر ان الوحى قد سبقه الى ذلك . وأصبحت هذه الرؤيا الصالحة النداء والأذان الى الصلاة فى أوقاتها .

وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بلال بن رباح (وكان جهير الصوت) أن يؤذنبها فى الناس . فصعد الى بيت مرتفع بجوار المسجد . ودوى صوته

فى أرجاء المدينة بأول أذان فى الاسلام . واستمر على ذلك السنين والأعوام. ثم تناقل الناس الأذان فى سائر الأمصار .

وكان المسلمون حين يسمعون الأذان يتركون البيع والشراء . ملبين النداء مسرعين الى المسجد . للوقوف خاشعين بين يدى الله . ومناجاة رب العالمين . ان ربحهم من مرضاة الله الخالق القادر خير ألف مرة من أرباح تجارتهم الدنيوية . ان الأذان نداء من الله الى أحبابه . فهل يليق أن يتخلف أحد عن دعوة الرحمن ؟

٥٠ ـ القبلة

(أ) عندما فرضت الصلاة كان المسلمون يصلون فى أى اتجاه . قال تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله . ان الله واسع عليم) .

(ب) وبعد فترة طلب اليهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يتجهوا فى الصلاة نحو بيت المقدس (ثالث الحرمين) فاتجهوا اليه تنفيذا لأمره واستمروا على ذلك ثمانية عشر شهرا بعد الهجرة النبوية الشريفة .

(ج) وفى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يتجهوا نحو الكعبة فى صلاتهم . قال تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام . وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره) . ومنذ ذلك الحين يتجه المسلمون فى كل أنحاء الدنيا عند الصلاة نحو الكعبة الشريفة . وهذا مظهر فريد فى الوحدة الفكرية ووحدة النظام . وأساس متين للروابط الاسلامية مهما تباينت اللغات واختلفت الأجناس والألوان أو نأت الديار . وهو احساس عميق متبادل بين قلوب المؤمنين . ينقل اليهم وحدانية الله . ووحدة الهدف . واتحاد الكلمة من أجل صالح الدنيا والدين .

٥١ ـ الزكاة

الزكاة هى الدعامة الثالثة فى العبادات . وهى حق للفقير فى مال الأغنياء. انها تهدى الى خلق الروابط الطيبة والتعاون والمحبة بين الناس . وتقضى على الحسد والفتن فيما بينهم . وتزيل الكراهية من النفوس . قال تعالى (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) .

تعتبر الزكاة أول نداء وتطبيق عملى للاشتراكية . سبقت بها كل صور الاشتراكية فى العصور الحديثة . وهى اشتراكية نابعة من الايمان بحق الانسان فى الحياة الكريمة . والتعاون القائم على العدالة الاجتماعية . والزكاة أنواع مختلفة ولها مقادير محـــددة يرجع اليها فى الكتب الدينية المختصة بها . لادائها على الصورة الشرعية المقررة .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتنفيذها لما فيها من طهارة النفس . وتزكية القلب . وحب الخير . والتسامى بالانسانية . دون تفرقة بين الألوان والأجناس . قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

ومن الضرورى أن تنفق الزكاة فى الأغراض المخصصة لها . والى الجهات المسئولة عنها . والاساءت الحال وانقلبت الأوضاع . بسبب سوء التصرف أو الجهل بأحكامها وأهدافها ووسائلها . أو أطماع الطامعين فيها . ودخول غير المستحقين لها . وقد حدد القــرآن الكريم الجهات التى تصرف لها الزكاة فى الآية الكريمة (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .

والزكاة ترفع من قيمة الانسان وتحرص على كرامته وتمنع عنه ذل السؤال ومد اليد الى الغير . والزكاة واجبة على الغنى فى المال والتجارة والزرع والماشية والذهب والفضة . ولــو قام كل فرد من وحى نفسه وضميره بأداء الزكاة بما يرضى الله طبقا للشروط المقررة شرعا . فلن يوجد فى الأمة الاسلامية فقير أو جائع أو محروم . وليس معنى هذا أن يتكاسل المرء عن العمل ويقبع فى داره انتظارا للزكاة . لأن الاسلام ايمان وعمـــل .

ولقد رأينا العلوم الاجتماعية فى العصر الحديث تحاول ايجاد الحلول الملائمة لمشاكل الفاقة والجوع والحرمان . ولكنها مع الأسف لم تظفر بالنتائج المرجوة . ولا تزال تجرى بين الدرس والبحث أشواطا عديدة ، فما كست عريانا ، ولا أشبعت جائعا ، ولا منحت محروما ، لأنها تحاول حل المأساة عن طريق المال وحده وتدبير أمره . دون اتجاه الى الروابط الروحية . وايقاظ الوعى الدينى ، وياليتهم يريحون ويستريحون بالأخذ بالشريعة الاسلامية الغراء . فهى من صنع الله ، وفيها النجاة .

ولا عجب أن يعزف عنها العرب عند سماعهم بها وأن يصروا على عدم أدائها ، فالغنى فى الجاهلية كان لا يعرف الفقير ، ولا يهمه من أمره شيئا ،

مثل ما يجرى حاليا فى البلاد الرأسمالية ، رجل يموت من الفقر وجاره يموت من التخمة ، وكذلك كان الرجل فى الجاهلية يعيش لنفسه فقط ولأسرته الخاصة ولا يعرف سواها . ولكن من تمتع منهم بالايمان بالله وبرسوله الكريم ، عرف قيمة العطف والحنان على المحتاجين والمعوزين ، وأدرك أن الغنى والفقير عضوان فى مجتمع واحد متكامل ، وعرفوا المبدأ القائل بأن السعادة الحقيقية هى أن نراها فى عيون الآخرين . وعندئذ تختفى الأنانية وحب الذات . ويمتنع الحقد والحسد من النفوس . وتنتهى مأساة الانسان فى هذه الحياة ، وينتشر السلام ويصبح حقيقة واقعة فلاسبيل الى الاطمئنان فى المجتمع الا بالاسلام .

وهكذا ثبت ركن الزكاة وهو أحد أركان الاسلام الخمسة بعد أن لمس الناس فوائدها التى مست شغاف القلوب الغنية والفقيرة على السواء . وربطت بين الناس بالحب والتعاون والوفاء . فاستقر الاسلام فى النفوس نتيجة الاقناع والاقتناع . ولم تفرض الزكاة بالقوة وبحد السيف كما يقول بعض المرجفين ، بل قبلها العرب وأقبلوا عليها عن حب ورضى ، فانتشلتهم من مجاهل التفرقة الى مجال الوحدة والتضامن .

ان الزكاة ميزة ينفرد بها الدين الاسلامى دون سائر الأديان . وعند تطبيقها بصدق وإخلاص وأمانة تكفل اسعاد الناس جميعا . وتبعد عنهم شرور الفاقة . وتطهر القلوب . وتزكى النفوس من أدران الحقد الدفين ، وهو علة العلل .

أسأل الله تعالى التوفيق لكل انسان مؤمن أن يرعى ربه فى اخراج الزكاة بمقاديرها الشرعية . وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ، ولا ضير فى أن يسأل المزكى عنها أهل الذكر ، ليعرف حدودها ويؤديها كاملة ، فترضى نفسه ويطمئن خاطره . بوقوفه على أحكامها وتطبيقها كما أقام الصلاة بعد معرفته بأحكامها وأدى الصوم بشروطه وأحكامه . وقد قامت الدولة مشكورة باعداد الجهات التى تستطيع الاجابة على هذه الشئون ، وفى مقدمتها الأزهر الشريف ، ودار الافتاء . والهيئات الاسلامية المعتمدة .

وجميعها تنشر الكتب المبسطة والرأى الصائب . وتلقى المحاضرات وتقيم الندوات . وتستخدم كل وسائل الاعلام فهى قائمة بواجبها خير قيام . ولعلنا نرى فى كل بيت فى ركن صغير (المكتبة الاسلامية المنزلية) . تفيد منها الأسرة كلها وخاصة الشباب الذى لا يعنى العناية الكافية فى هذا العصر بدراسة دينه .

ان هذه المكتبة الاسلامية المنزلية التى ندعو اليها . ضرورية جدا وليست من الكماليات . لأنها ستحول الدين بالنسبة لشبابنا من مجرد حفظ من أجل الامتحانات ويزول بزوالها . الى ســـلوك دينى اجتماعى فى الحياة اليوميـــة .

ان هذا الركن الركين من الاسلام جدير بأن يلقى من الناس جميعا ماهو اهل له من تطبيق عملى . وعلى ولاة الأمور معاونـــة أبنائهم وبناتهم فى دراسة الأحكامالدينية . وبذلك نسهم جميعا فى بناء مستقبل بلادنا على العلم والايمان .

٥٢ ــ الصـــــــوم

فرض الله على المسلمين صيام شهر رمضان من كل عام فيعودهم ضبط النفس والتحكم فى هواها وصرفها عن مألوفاتها ، وليربيهم على مراقبة الله فى أسرارهم التى يطلع عليها الله تعالى دون غيره من البشر ، وبمقاومة هوى النفس ومراقبة الله تقوى صلة المؤمن الروحية بربه ويسمو وجدانه ويتصل بالملأ الأعلى الذين لا يأكلون ولا يشربون بل يسبحون ربهم بالليـــل والنهار لا يسأمون .

والصوم هو الركن الرابع فى العبادات . وليس الغرض منه الناحية الظاهرة . كالامتناع عن الاكل والشرب . ولكنه الطاعة لله بكل جارحة فى الانسان . فالعين صـــائمة لا تتطلع الى الحرام . واليد صـــائمة فـــلا تبطش ولا تؤذى . والرجل صائمة فلا تمشى ولا تســـعى الى باطل . والقلب صائم فلا يحقد ولا يحسد . ولا يغفل عن ذكر الله . والعقل صائم فلايفكر فى ضلال أو حرام . والروح صائمة لانها سابحة فى ملكوت الله . ولاتعرف من الجمال الا جمـــال الخالق سبحانه وتعالى وبديع صنعه . واللســـان صائم فلا ينطق الا بالحق .

ان الانسان الصائم بايمان صادق . يعيش مع الملائكة الأطهار . فى سمو مكانتهم وعلو منازلهم . وشفافية نورا نيتهم . انه يرتفع عن الحيوانية بشهواتها الأرضية . وملذاتهـــا الدنيوية . وهذا لا يمنعـــه من السعى فى طلب الرزق من سبله الشريفة . لأن الاسلام لا يعرف الرهبانية بحجة الانقطاع الى العبادة . فالســـعى الى الرزق أمر به الله تعالى فى قوله الكريم (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) .

ان الصائم الصادق يعيش بكل وجدانه مع الله . فلا يستطيع الشيطان أن يقترب منه . وبهذا المفهـــوم الحقيقيى للصـــوم . فانـــه لا يمكن أن يقتصر

على شهر واحد فى السنة . وهو شهر رمضان الكريم . الذى أنزل فيه القرآن هدى ورحمة . ان صوم الجوارح والبعد عن الحرام وعما يغضب الله . يجب أن يستمر طوال الحياة . ليكون مفتاحا للجنة . وتنفيذا لأمر الله . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) . والصيام مدخل الى التقوى التى تربط المؤمن بربه سبحانه وتعالى .

ان الحاكم الصائم يعدل فى رعيته ولا يظلم أحدا . والمحكوم الصائم يفنى فى أداء واجبه . والعمل من أجل أمته ووطنه والانسانية جميعا . واذا كانت الصلاة تذكرنا من وقت لآخر بالعودة الى الله . بالحمد والشكر والثناء والاستغفار . فان شهر رمضان كفيل بأن يعيد الهداية الى القلوب . وأن يذكرها بنظافة العقل والروح واللسان . وأن يغرس فيها حلاوة الايمان . والبعد عن وسوسة الشيطان والشرور والآثام . ان صيام شهر رمضان يحجب عنا طرق الغواية . ويفتح أمامنا آفاق الخير . ومدارج السعادة فى الدارين .

ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكتف بصيام الفرض فى رمضان بل كان يصوم بضعة أيام نفلا من كل شهر طوال حياته . لأن الصوم رياضة روحية وجسمية . ويجمع الأطباء فى كل عصر على ما فى الصوم من فوائد صحية كثيرة . ويجمع المؤمنون على ما فيه من راحة نفسية . وطهاره قلبية .

نسأل الله أن نعيد لشهر رمضان سيرته الأولى كما كانت فى صدر الاسلام فنحييه بالعبادة والألفة والمحبة والوفاء . وأن نبعد عنه ما يسىء اليه من سهرات ما جنة . وأعمال منافية للاداب القرآنية . وأن نفيد من وسائل الاعلام والصحافة لهداية الناس وخاصة الشباب . وأن نتخذ من حياة الرسول الكريم أسوة حسنة . وأن نستضيف الجار الفقير ليشاركنا الطعام . وأن نعطى مما نأكل السائل والمحروم . وأن نفهم النشء الصغير أن شهر رمضان لا يعنى المآدب الفاخرة والأطعمة الشهية . والسهر فى الملاهى والاسراف فى كل شىء . بل هو شهر العبادة والاحساس بآلام الفقير والأخذ بيده . والاقتصاد فى الانفاق . لأن المبذرين كانوا اخوان الشياطين . ان رمضان هو شهر القرآن . قال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه . ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

٥٣ — الحج

وفرض الله على المستطيعين من المسلمين حج بيته الحرام بمكة المكرمة فى أيام عيد الأضحى ليجمعهم فى مكان واحد وزمان واحد من جميع الأقطار والأجناس . ويساوى بين الأغنياء والفقراء فى الشعائر والملابس فيحسوا عمليا بالأخوة الاسلامية ويتعارفون ويتآلفون ويتعاونون على البر والتقوى، وبهذا الجمع يتعلمون الهجرة فى سبيل الله كما أنهم يتذكرن يوم القيامة حيث يحشر الله الخلائق فى صعيد واحد فيخافون ربهم من فوقهم وترق قلوبهم من خشية الله فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

والحج مؤتمر كبير للمسلمين يجتمعون فيه من مشارق الأرض ومغاربها فى رحاب الله . انهم جميعا الأمة الاسلامية . ربهم واحد يعبدونه دون سواه . وكتابهم واحد هو القرآن الكريم . وقبلتهم واحدة هى الكعبة الشريفة . ونبيهم واحد سيدنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين . وهم يؤمنون بكل الأنبياء والرسل .

وقد يسر الله للناس الحج فلم يفرضه الا على من يستطيع اليه سبيلا . قال تعالى (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم . ومن دخله كان آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) . ومع ذلك فان أمنية كل مسلم ومسلمة أن يتمتع بالحج ولو مرة واحدة فى العمر . وأن يسعد بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم يعود المؤمنون الى بلادهم وقد ارتبطت قلوبهم . وقويت شوكتهم . واتحدت كلمتهم . وتدارسوا مستقبل أمتهم الاسلامية بما يعود عليها بالازدهار والمنعة والقوة . قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) .

ولقد بدأ الحج منذ أيام سيدنا ابراهيم عليه السلام . فقد أمره الله ببناء الكعبة ودعوة الناس الى الحج للعبادة . قال تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) .

ولكن بمرور الأيام بعد سيدنا ابراهيم عليه السلامبعد الحجعن أهدافه . واتجه العرب فى الجاهلية الى عبادة الأوثان والأصنام . واشراكها مع الله . وأخذوا يطوفون بالبيت عرايا . الى أن جاءالاسلام بمبادئه السامية . وتعاليمه السمحة . فأعاد الحق الى نصابه . وخلص الحج من شوائب

المشركين . وهدم أصـــنامهم وأبعدهم عن دخول الكعبة والطواف بها .
وتحدد وقت الحج فى التاسع من شهر ذى الحجة من كل عام حيث يقف الحجيج بعرفة ثم يفيضـــون منهـــا الى المزدلفة ثم منى ويبقون فيها ثلاثة أيـــام بعـــد عرفة .

والحج سعى الى بيت الله الحرام . وحب عميق لذاته الالهية . وعبادة خالصـــة لوجهه تعـــالى . واطمئنان النفس الى أقدس مكان . فهى عاكفـــة على ذكر الله . داعية آنـــاء الليل وأطراف النهـــار . لا تعرف الجدال ولا الفسوق . تطوف البيت الحرام بقلوب خاشـــعة لا يشغلها خوف . ولا يعتريها ظلم أو اعتداء . لأن الخالق سبحانه وتعالى قد جعل البيت الحرام أمنا لكل مؤمن . وملاذا لكل خائف . وقد حرم فيه القتل . قال تعالى (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب) .

ومن الأسرار الربانية والرحمة الالهية فى الحج . أن الانســـان يتجرد فعلا من الشهوات ويبتعد عن الموبقات . ويخلص وجهه لله حنيفا . وماأحلى أن نسمع ابتهال الحجاج بصوت واحد . وكأنهم يسيرون بين طيات السماء (لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمـــد والنعمـــة لك والملك . لا شريك لك) .

والحج ليس لقبا يجرى وراءه الانســـان . أو رحلة كسائر الرحلات يتمتع فيها الفرد أو الجماعة بالمناظر الخلابة . والطبيعة الفاتنة . والصحبة الطيبة . وليس الحج أجازة من عناء الأعمال المضنية . يمضيها الناس فى كسل واسترخاء . وليس الحج تظاهرا بالعبادة والتقوى .

ان الحج عبادة كاملة لمن سعى اليها وهو مؤمن . والايمان حب فى الله . لا ينتهى ولا يعرف مداه . فاللهم اجعلنا ممن اصطفيت من عبادك الى بيتك المحرم ، وزيارة حبيبك ورسولك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام . وأجعلنا من الخاشعين ببابك . الراكعين الطائفين فى رحابك .

ومن فضل الله تعالى على عباده فى كل أقطار الدنيا . أن المواصلات أصبحت سهلة وسريعة وآمنة . واختفت تلك المتاعب التى كان يلقاها المسافر من وعثاء السفر الى مكة المكرمة والمدينـــة المنورة للحج وزيارة الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام . وقلت المدة اللازمة ذهابا وايابا. فقد تحمل آباؤنا وأجدادنا الأيام والشهور فى الرحلة الواحدة الى الأراضى المقدسة . بل ان بعض الناس فى كثير من البلاد النائية كانوا يستغرقون

أوقاتا لا نستطيع أن نتخيلها الآن . وكانوا يودعون أهلهم . وكانت الرحلة تعتبر من المخاطرات ومع ذلك كانوا يحبون هذه الرحلات فى سبيل الله ويقدمون عليها بعزيمة صادقة .

ومن آداب الحج وكماله ونظمه ما نراه فى الآيـــة الكريمة (وأتمـــوا الحج والعمرة لله . فان أحصرتم فما استيسر من الهدى . ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله . فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك . فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمـــا استيسر من الهدى . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم . تلك عشرة كاملة . ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المســـجد الحرام . واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب) .

والعمرة سنة مؤكدة وأركانها هى أركان الحج ما عدا الوقوف بعرفة ، وقد حج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة واحدة واعتمر أربع مرات . ولو كان حج أكثر من مرة واحدة للزم أن يحج المؤمنون بعدد حجاته .

الفصل العاشر

المعجزات النبوية الشريفة

٥٤ ــ بيان اجمالى بالمعجزات

٥٥ ــ المعجزات

٥٦ ــ المعجزات الخالدة (القرآن الكريم) .

٥٤ ـ بيان اجمالى بالمعجزات

المعجزات النبوية الشريفة كثيرة جدا ولا يمكن حصرها . فنكتفى هنا بذكر نماذج منها .

١ ـ ما حدث أثناء حمل أمه وولادته .

٢ ـ شق الصدر .

٣ ـ نزول القرآن الكريم .

٤ ـ الصحيفة فى الكعبة .

٥ ـ حمالة الحطب .

٦ ـ الاسراء الى بيت المقدس .

٧ ـ المعراج الى سدرة المنتهى .

٨ ـ ليلة الهجرة من مكة .

٩ ـ الفارس والجائزة .

١٠ ـ غار ثور .

١١ ـ العقرب فى الغار .

١٢ ـ ملائكة فى الجيش .

١٣ ـ عين المقاتل المؤمن .

١٤ ـ الضيوف والشاة .

١٥ ـ تفتيت الصخر .

٥٥ ــ المعجــــزات

لقد حدث للنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته الشريفة كثير من المعجزات التى تمت فى مناسبات عديدة . ولم يقصد الرسول الكريم اليها أو يعتمد عليها فى تبليغ واثبات رسالته السامية . ولكنه فضل من الله يؤتيه من يشاء . وأما المعجزة الخالدة فهى القرآن الكريم الذى نزل به الوحى الأمين على قلبه طوال ثلاث وعشرين سنة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

وفيما يلى نسجل بعض تلك المعجزات وبيان الظروف التى حدثت فيها . وهى معجزات تســـتقر فى القلب عن طريق الايمان . والتصــــديق بها واجب على كل مسلم لأنها قد تمت بقدرة الله .

١ ــ ما حدث أثناء الحمل والولادة :

وأول معجزة تمت قبل ولادته عليه الصــلاة والســلام . فقد حدث أن أمه حين حملت به لم تشعر بما تشعر به النساء من آلام ومتاعب وكذلك لم تجد الما عند ولادته .

٢ ــ شق الصـــدر :

وأثناء اقامته فى بنى سعد عند السيدة / حليمة رضى الله عنها للرضاعة فى البادية كما كان ذلك متبعا وفقا للتقاليد العربية . كان يلعب مع أخيه فى الرضــــاعة عبد الله بن الحارث ويرعى معه الغنم . وذات يوم حضر رجــلان يرتديان الملابس البيضـــاء وأخذا محمدا بعيدا عن أخيه . وشقا صدره وطهرا قلبه ثم أعادا صدره الى ماكان عليه .

رأى ذلك أخوه عبد الله بن الحارث فجرى الى والديه وأخبرهما بمـــا حدث لأخيه . فخافت حليمة على (محمد) وأسرعت الى مكة وأعادته الى أمه وعمره أربع سنوات . وقصت عليها ما سمعته من ابنها . ومن الطبيعى أن السيدة / حليمة لم تفهم أن هذين الشخصين هما من الملائكة الأطهار . وقد قاما بهذا العمل بأمر من الله سبحانه وتعالى . لتطهير قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام . واعداده للرسالة الالهية . وهى معجزة لم تحدث لأحد من الأنبياء .

٣ ــ نزول القرآن الكريم

وعندما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم الأربعين من عمره نزل اليه جبريل عليه السلام بأمر من الله فى غار حراء فى السابع والعشرين من رمضان بآيات

الله البينات . فكان ذلك بداية نزول القرآن الكريم بلسان عربى مبين . هدى ونور للعالمين . والقرآن هو كلام الله للناس كافة الى يوم الدين .

٤ — الصحيفة فى الكعبة

بدأ النبى صلى الله عليه وسلم الدعوة الاسلامية سرا لمدة ثلاث سنوات . الى أن أمره الله سبحانه وتعالى باعلانها والجهر بها . فاشتدت قريش فى عداوتها وزاد طغيانها الى أن جاءت السنة السابعة للنبوة فاجتمعت قريش مع حلفائها واتفقوا على مقاطعة بنى هاشم اقتصاديا واجتماعيا بسبب نصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وكتبوا ذلك الاتفاق فى صحيفة وضعوها فى داخل الكعبة . فاضطر النبى الكريم وبنو هاشم الى الالتجاء الى شعب أبى طالب بجوار مكة للابتعاد عن قريش واضطهادها . وأقاموا هناك ثلاث سنوات .

وبعد انقضاء هذه المدة ثاب بعض الموقعين على الصحيفة الى رشدهم . وأنكروا على أنفسهم فعلتهم الشنيعة وقسوتهم ضد أبناء أعمامهم من بنى هاشم . وقرروا تمزيق الصحيفة . وقد اختلفوا مع معارضيهم ولكنهم انتصروا عليهم واتجهوا الى الكعبة لاخراج الصحيفة منها .

ولكن النبى صلى الله عليه وسلم كان أسبق علما منهم بأمرها فقد تحدث الى عمه أبى طالب واخبره بأن الصحيفة لا وجود لها لأن الأرضة قد أكلتها ولم يبق منها الا (باسمك اللهم) . فأعلن ذلك أبو طالب للملأ من الناس . ففتحوا الكعبة ووجدوا أن الصحيفة قد أكلتها الأرضة . وأن الرسول الكريم كان صادقا فيما ذكره بشأنها دون أن يراها وهى محفوظة بمعرفتهم داخل الكعبة . وعندئذ أسلم كثيرون وآمنوا بأنه رسول الله . وعاد بنو هاشم الى مكة فرحين وانتهت مقاطعة قريش لهم .

٥ — حمالة الحطب

اشتدت عداوة أبى لهب وزوجته (أم جميل) للنبى صلى الله عليه وسلم . ونزلت فيهما سورة المسد (تبت يدا أبى لهب وتب . ما اغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد) . فلما سمعت ام جميل بهذه الآيات الكريمة . اهتاجت وزاد حنقها . فأخذت حجرا وذهبت الى الكعبة لتعتدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقاما لنفسها ولزوجها . فوجدت أبا بكر الصديق فأخذت تعنفه وتهدد بالاعتداء على النبى الكريم وأنها قد حضرت خصيصا لذلك . ثم عادت أدراجها . فتعجب أبو بكر من امرها لأنها لم تنفذ تهديدها ولم تلق الحجر

على رسول الله وهو جالس بجواره . فسأله فى ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله قد أعماها عنه فلم تره . وعادت بكيدها الى نحرها .

٦ ــ الاسراء الى بيت المقــدس

وفى السنة الحادية عشرة للنبوة الشريفة أعلن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قد أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . وأنه صلى اماما بالأنبياء عليهم السلام فى بيت المقدس . ووصفهم كما شاهدهم . ووصف بيت المقدس وصــفا دقيقا . كما أخبرهم عمـــا رأى فى طريقه من مكة الى بيت المقدس من أعراب وقوافلهم وحياتهم وخيامهم وابلهم .

وقد أحدثت هــذه الأنباء بلبلة فكرية عند بعض النـــاس . وأرادت قريش أن تستغلها للتشهير ضد النبى صلى الله عليه وسلم . ولكنها باءت بالفشل والخسران . لأن الأعراب حين وصلوا الى مكة قصوا على الناس حياتهم أثناء عودتهم فكانت مطابقة تماما لما قاله المصطفى عليه الصلاة والسلام . فذهبت تلك البلبلة عن (المتبلبلين) وعـــادت الســكينة الى نفوسهم . وآمنوا بالاسراء . وكان أول المصدقين لها بدون تردد (أبو بكر بن أبى قحافة) وقال للنبى صلى الله عليه وسلم (صدقت يارسول الله) . فقـــال له الرسول العظيم (وأنت يا أبا بكر « الصديق ») فصارت هذه الكلمة الجميلة لقباله وعرف بها فى التاريخ منذ ذلك الحين .

٧ ــ المعراج الى سدرة المنتهى

وفى بيت المقدس حدثت معجزة أخرى تفوق الأولى شأنا وتلتقى معها فى فضل الله عز وجل وقدرته . معجزة أذهلت الكفار والمشركين واليهود وزادتهم كفرا وعنادا . ولكنها أثلجت صدور المؤمنين وأسعدتهم . وزادتهم ايمانا بالله وحبا لرسوله الكريم .

معجزة لم ولن تحدث لأى انسان لأنها خاصة بالمصطفى صلى الله عليه وســلم . امتيازا وتكريما له من رب العالمين . فقــد بلغ عند مولاه منزلة لم تبلغها الملائكة الأطهار . أتى له بالبراق عند خروجه من المسجد الأقصى فركبه وصعد الى السماء وبجانبه جبريل عليه السلام . فاستقبلته الملائكة بالبشر والترحاب والتهليل والتكبير . ثم استمر فى الصعود من سماء الى سماء والملائكة تحف به من كل جانب وتصعد معه الى دائرة اختصاصها ثم تتركه مع جبريل لتتلقاه ملائكة آخرون . وهكذا حتى أتت الى مقام وقف عنده جبريل رئيس الملائكة لأنه لا يستطيع أن يتجاوزه وترك النبى صلى الله عليه وسلم يصعد وحده حتى بلغ سدرة المنتهى وكان قاب قوسين أو أدنى من

عرش الرحمن ، قرب مكانة وتكريم لأقرب‌مكان ، فكان الرسول فى المكان وربه فى اللامكان ، لأنه تعالى سبق فى وجوده الزمان والمكان .

فمن فى الوجود قد بلغ هذه المكانة ؟ ومن فى العالمين قد تمتع بهذا الرضاء الالهى والتكريم الربانى ؟ انه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . الذى أرسله رحمة للعالمين . ومن فضل الله على عباده المؤمنين أنه سبحانه وتعالى قد أهدى حبيبه هدية وهو فى السماء بين يديه . وأصبحت الهدية رمزا خالدا . وعملا صالحا . وعبادة حبيبة الى النفس . تربطنا بخالقنا . وتذكرنا من الحين الى الحين بالتقرب اليه وتسبيحه واستغفاره . هذه الهدية هى الصلاة . ولها الحق أن تزهو على سائر العبادات بأنها تقررت فى السماء بأمر الله مباشرة الى النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن الطبيعى أن نتصور المصطفى عليه الصلاة والسلام وقد عاد بالبشرى الى مكة . وأعلن ما حدث فى المعراج كما ذكر ما تم فى الاسراء . وأن المعجزتين المتتابعتين فى تلك الليلة المباركة قد أذهلت المشركين واليهود . ولكن المسلمين كانوا يحيطون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلوبهم المؤمنة ونفوسهم الصافية . والسنتهم تلهج بذكر الله شكرا لنعمائه وكرمه . وأصبحت الصلاة الركن الركين فى العبادة بعد الشهادتين . ومن أقامها فقد أقام الدين .

ان هذه المعجزة وغيرها لا تهدف الى اخضاع الناس للدين الحنيف عن طريق الغيبيات . ان الله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن الكريم على عبده فى الغار وفى كل مكان عن طريق الوحى بصوره المختلفة . وكان الصحابة يلمسون بكل حواسهم الآثار التى ترتسم على وجه النبى صلى الله عليه وسلم . والانفعالات الشديدة والعرق يتصبب من كل جسمه . فيعرفون أن الوحى معه يملى عليه أوامر ربه . ثم يستمعون من رسول الله الى الآيات البينات بلفظ عربى مبين فوق مستوى الفصحاء والبلغاء . وهو النبى الامى الذى عاش معهم أربعين عاما قبل الرسالة الشريفة ولم يسمعوا منه مثل هذا القول الحكيم . ثم يتولى بنفسه الشرح والايضاح بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب .

انهم يصدقون الوحى الهابط من السماء . ويصدقون أيضا صعود الرسول العظيم الى سدرة المنتهى بجسده وروحه معا ، وقد عبر القرآن الكريم عنه فى الاسراء بقوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) والعبد يطلق على الجسد والروح ، ولو كان الاسراء مناما ما بلبل أفكارهم وأثار تعجبهم ، وكما يقول أمير الشعراء شوقى رحمة الله .

مشيئة الخالق البارى وقدرته
وقدرة الله فوق الشك والتهم

٨ — ليلة الهجرة من مكة

أمر الله سبحانه وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة من مكة الى يثرب (المدينة) . وكان المسلمون جميعا قد سبقوه اليها بأمر منه . ولم يبق معــه ألا أبو بكر الصــديق وعلى بن أبى طالب . أحست قريش بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد نقل مركز القوة والدعوة الاسلامية الى يثرب وأنها ستنافس مكة فى كل الشئون . فأرادت أن تقضى على هذه القوة الناشئة قبل أن يستفحل أمرها ويستقر سلطانها . فاتفقوا على اختيار شاب من كل قبيلة للذهاب الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله بضربة واحدة من سيوفهم فيتفرق دمه بين القبائل ولا يستطيع بنو هاشم الوقوف أمامها .

وترصدوا الليلة التى سيهاجر فيهاالنبى صلى الله عليه وسلم . وأحاطوا ببيته وانتظروا الظلام الدامس لتنفيذ جريمتهم النكراء بقتله . ولكن ربك لهم بالمرصاد . فقد أخبر نبيه بأنبائهم ومؤامراتهم . فطلب من ابن عمه على ابن أبى طالب الشاب الشجاع أن ينام فى فراش الرسول الكريم وأن يتغطى ببردته الخضراء .

ثم خرج وهم وقوف حول البيت كالخشب المسندة . وأخذ يتلو الآيات الأولى من سورة (يس) الى قوله تعالى (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) . ووضع حفنة من التراب على رءوسهم احتقارا لجريمتهم . وازدراء لتآمرهم . وسار فى طريقه الى بيت أبى بكر الصديق . فوصل اليه آمنا مطمئنا تحرسه عناية الله تعالى . فلما دخل شباب قريش البيت لم يجدوا الا عليا فأسقط فى أيديهم وعادوا الى بيوتهم وأهليهم يجرون اذيال الخيبة والفشل .

هذه المعجزة ليست من الغيبيات بل انها أمر محسوس واقعى . أبطاله شباب قريش وقد ظلوا وقوفا بسيوفهم حول بيت المصطفى عليه الصلاة والسلام ولكنهم كانوا كأنهم جذوع نخل خاوية . ومشى النبى الكريم على رجليه كالمعتاد ولم يركب سفينة الصحراء . ولم يعرف طريق السحر . بل سار قويا رابط الجأش مؤمنا برسالته الالهية . ومر بينهم وعيونهم مفتوحة يداعبها النعاس . ونبضات قلوبهم تدل على أنهم أحياء . اذن كيف تم ذلك ؟ أن العقل البشرى يستطيع أن يقرر . وتستطيع الفطرة السليمة أن تؤمن . بأن القدرة الالهية قد أعمتهم عنه . وحالت بين نفوسهم المسمومة وبينه أن تمسه بأذى . وانتصر الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا .

٩ — الفارس والجائزة

فلما فشل شباب الأعــداء فى تنفيذ مأربهم فى الاغتيال بصورة دنيئة يذكرها التاريخ لهم بالخزى والعار . أرادت قريش أن تغطى هذا الفشل

وأن تبحث عن حيلة أخرى أو وسيلة تعيد اليهم الهيبة والكرامة أمام سائر القبائل . فاجتمعوا وقرروا جائزة قدرها مائـــة ناقة لمن يعثر على النبى صلى الله عليه وسلم . فعاد شـــبابهم ورجالهم الى التنافس فيما بينهم للفوز بالجائزة القيمة . وكان أكثرهم رغبة فيها وحماسا لها (سراقة) . فركب حصانه وتابع آثار أقدامهم حتى كاد يلحق بهم . ورآهم وأخذ ينادى عليهم . ولكنه قد وقع مرارا من فوق صهوة جواده . فلما التفت اليه النبى صلى الله عليه وسلم وقف الحصان فى مكانه وانغرست أرجله فى رمل الصحراء . وجمد الفارس الفاشل فى مكانه وظل منكبا على وجهه الحزين وضاعت الجائزة .

أسلم فيما بعد سراقة وتحققت فيه المعجزة النبوية حين قال له صلى الله عليه وسلم : « كيف بك يا سراقة لو لبست ســـوار كسرى » فلبسها فعلا عند فتح فارس .

١٠ ــ غـــار ثور

فى ليلة الهجرة الشريفة ذهب النبى صلى الله عليه وسلم الى بيت أبى بكر وأخبره بأن الله سبحانه وتعالى قد أمره بالهجرة الى (يثرب) . فقام أبو بكر فورا باعداد ما يلزم للرحلة من دواب ودليل للطريق وخادم . ثم خرجامعاسرا واتجها الى جنوب مـــكة بدلا من شمالها لتضليل الأعداء الباحثين عنهم فى كل مكان . حتى وصلا الى جبل ثور واختبئا فى غار به بعد أن دخل فيه أبو بكر واطمأن الى صلاحيته ونظافته . وعاشا به ثلاثة أيام كاملة .

وكانا يستمعان داخل الغار الى حديث المطاردين على مقربة منهما . وقد أرادوا دخوله لتفتيشه لولا أنهم اطمأنوا الى عدم وجود أحد به حيث وجدوا العنكبوت قد غطى مدخل الغار وكذلك رأوا الحمام وأعشاشها وصغارها على باب الغار . فتأكدوا أنه لم يمكن لأى انسان أن يدخل الغار دون أن يصيب هذه الكائنات الصغيرة . وكان أبو بكر يخشى على النبى صلى الله عليه وسلم من أن تمتد اليه أيدى هؤلاء الأعداء فيقول له الرسول الكريم قولته الخالدة (لا تحزن ان الله معنا) . وقـــد انصرف المشركون عن الغار للبحث فى جهات أخرى ونجا النبى صلى الله عليه وسلم وصديقه .

هذه المعجزة كان لها آثار بعيدة فى تدعيم الاسلام وانتشاره . وكان لها دلالات عميقة على صدق الايمان بالله والاعتماد عليه وتفويض الأمور اليه سبحانه وتعالى . وقد يمر بالخاطر السؤال الآتى :

ماذا كانت النتائج لو كشف الأعداء عن مكان النبى الكريم وصاحبه داخل الغار ؟ وقد كان فى أيديهم السلاح وفى نفوسهم الشر والانتقام ؟

ولن تحتاج الاجابة على هذا السؤال وأمثاله اجتهادا فى الرأى أو اعجازا فى القول ، فان الدين عند الله الاسلام . والرسول صلى الله عليه وسلم هو النبى الذى اصطفاه ربه ليؤدى الرسالة فى رعاية ربه وحمايته . ولولا العناية الالهية التى ترعاه فى غدوه ورواحه لاستطاع شباب قريش الظفـــر به فى بيته . ولقتلوه بضربة واحدة تبعا لخطتهم الفاشلة . ولكنه تعالى أحبط كيدهم وكفاه شرهم .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الوحيد الذى صلى فى الكعبة علنا أمام المشركين . واعتاد بعضهم مضايقته والقاء القاذورات على رأسه وظهره وهو ساجد . فلم يعبأ بهم . وكان يعود الى بيته فتقوم زوجته خديجة وبناته بازالة الأوساخ عن ثيابه فيطمئنهم بأن الله معه . وأنه سبحانه وتعالى لن يتخلى عنه ويمكن للمشركين منه .

وقد أبرزت تلك المعجزة وغيرها من المعجزات قدرة الله للناس فى رعاية رسوله وحمايته ، ولم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم لنفســـه قدرة او سلطانا فيها . وقد بين لهم بوضوح حين طلبوا منه أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا . أو أن يحول الجبال والصحارى الى بشاتين وزراعات وغير ذلك من مطالب دنيوية فقد قال لهم ما علمه ربه أن يقوله (قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » .

١١ ــ العقرب فى النـــار

لقد حدث ليلة الهجرة النبوية الشريفة بعض المعجزات المتلاحقة . وكان آخرها ما تم داخل الغار نفسه . اذ نام المصطفى عليه الصلاة والسلام أثناء اقامته بالغار ووضع رأسه على فخذ أبى بكر . وبعد فترة شعر ابو بكر بأن عقربا قد لدغته فى قدمه . ثم أحس بالسم يسرى فى ساقه . ولكنه احتمل الألم وأراد أن يضحى بنفسه وألا يوقظ النبى صلى الله عليه وســـــلم .

ولما اشتد الألم تحرك جسمه على غير ارادة منه . فاستيقظ الرسول العظيم . ولما علم بما حدث أسرع الى قدم أبى بكر وتفل عليها ثم دلكها بيده الشريفة . فشفيت فى الحال باذن الله . وهى مقدرة يعطيها الله لمن يشاء من عباده . انها حادثة عابرة فى نظر القارىء السريع الذى لا يتدبر الأمور . ولكنها عند المفكر بالعقل والقلب آية كبرى . يرى فيها الوفاء

والتضحية من جانب أبى بكر الصديق . وفيها الحب الخالص منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشعوره بالمسئوليات والتبعات الضخمة الملقاة على عاتق رسول الله نحو الدين الحنيف . فبذل كل ما يستطيع لراحته ولم يفكر فى نفسه . بل فكر فى دين الله وفى رسول الله . واحتمل الألم القاتل فجاءه بفضل الله على يد رسول الله الشفاء العاجل .

وأما من ناحية المصطفى عليه الصلاة والسلام فقد منحه الله المقدرة على شفاء المرضى . وقد سبق أن منحت هذه المقدرة لبعض الأنبياء السابقين بما كان يتلاءم مع عصورهم من الطب والعلاج . وهى مقدرة نابعة من قدرة الخالق العظيم ولا تتم الا بأمره . وقد ازداد المسلمون ايمانا عندما علموا بما حدث للنبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه . من الالتجاء الى الغار . وفشل الأعداء فى الوصول اليهما . ثم بما حدث داخل الغار من شفاء أبى بكر من سم العقرب باذن الله .

أيها الأحباب : أرجو عند قراءة هذه الأحداث . أن نعيش فى ذكرى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كأننا فى عصره وبين أصحابه الكرام . فنحس بها ونراها ونلمسها ونفهمها على حقيقتها . ونرى الايمان والصدق والشجاعة والاقدام والأمانة والتفانى فى سبيل الله . ومن عرف طريق الله فقد اهتدى الى الصراط المستقيم . ولعلنا بهذه المعايشة التى تنقلنا الى عصر الرسول العظيم نستعيد تلك الأمجاد والأعمال الخالدة ونستلهم منها طريقا الى القوة والخير لنصرة ديننا ووطننا والله المستعان ، فانه لا حول ولا قوة الا به سبحانه .

١٢ — ملائكة فى الجيش

فى غزوة بدر الكبرى كان عدد المسلمين لا يتجاوز ثلثمائة من المقاتلين . وأما الأعداء فكانوا أكثر من ألف مقاتل . فاتجه المؤمنون الى الله بقلوبهم يسألونه النصر . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ليلا ونهارا لنصرة دينه . وأخذ يستشير أصحابه فى هذه المعركة وهى معركة بين الايمان والشرك . بين الاسلام والكفر . فأشاروا عليه جميعا بحتمية المعركة لمنع قريش من ايذاء المؤمنين . وأعلن المهاجرون تأييدهم المطلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قام البطل العظيم سعد بن معاذ ليتكلم باسم الأنصار فقال قولته الخالدة : (فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك . ما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا

عدا . انا لصبر فى الحرب . صدق فى اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله) .

وقد سر النبى صلى الله عليه وسلم من شجاعة أصحابه وشدة عزيمتهم . وحبهم للاستشهاد فى سبيل الله . ثم رجع الى العريش الخاص به (أى غرفة العمليات كما يقال الآن) ودخل معه أبو بكر الصديق . واستمع الى دعاء النبى الكريم وهو يقول : (اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد). وفى هذه اللحظة انتقض النبى صلى الله عليه وسلم وقال (أبشر يا أبا بكر . أتاك نصر الله . هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده . على ثناياه النقع) . وفى هذه اللحظة انتفض النبى صلى الله عليه وسلم وقال (أبشر يا أبا بكر . بها على وجوه الأعداء .

وانتهت هذه المعركة بأكبر انتصار للمسلمين وقد نزلت فى شأنها سورة الأنفال فوصفتها وصفا دقيقا . وتضمنت استجابة الخالق لنبيه الكريم كما قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) . ثم يقول تعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) .

وجاء أيضا فى هذه السورة قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم) .

هذه الآيات كلها واضحة الدلالة على اكرام الله لرسوله صلى الله عليه وسلم . واستجابة لطلبه بوجود الملائكة الأطهار معه فى الجيش . يذودون عن الدين الحنيف ويضربون الأعداء . والله من ورائهم محيط .

١٣ — عين المقاتل المؤمن

أراد المشركون الثأر لهزيمتهم فى معركة بدر الكبرى فى ١٧ من رمضان من السنة الثانيـــة للهجرة النبوية الشريفة . فاســتعدوا لمهاجمـــة المسلمين فى السنة التالية . وتقابل الجيشان بالقرب من جبل أحد (بالقرب من المدينة) . وعندئذ بدأت الحرب بالمبارزة كالمعتاد . تقدم أبو دجانة سماك ابن خرشة ، حمزة بن عبد المطلب ، على بن أبى طالب ، الزبير بن العوام،

عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح من صناديد المسلمين وقتلوا مبارزيهم من الأعداء . فأضفى هذا النصر قوة على جيش المسلمين . وفت فى عضد الأعداء .

وفى أثناء المعركة ترك بعض الجند مواقعهم المخصصة لهم مخالفين أوامر رسول الله عن غير قصد . فاستغل الأعداء ذلك وأحاطوا بالمسلمين وانتصروا عليهم . وأصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المعركة لدرجة أن أعداءه أشاعوا نبأ وفاته كذبا . ولكنه ثبت مع فريق من أصحابه وهرب الأعداء رغم انتصارهم لأن المسلمين بدأوا يتجمعون ثانية وخاصة عندما كشفوا فرية المشركين وعرفوا أن النبى صلى الله عليه وسلم لايزال بين الأحياء .

وفى هذه المعركة الضروس أصيبت عين قتادة بن النعمان ووقعت على وجهه فما كان من النبى صلى الله عليه وسلم الا أن أخذها بيده الشريفة وأعادها الى مكانها . وظلت سليمة بفضل الله . ويرى بها قتادة طوال حياته كأحسن ما تكون العين . وبذلك ظهر عطف النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه . وسرعة اغاثته لهم عند الكرب والبلاء . وتمت معجزة الشفاء بقدرة الله سبحانه وتعالى . ولا يمكن عرض مثل هذه المعجزة على المعامل والتحليل العلمى . فهى بدون شك فوق هذه الوسائل الوضعية والمقاييس الأكاديمية . لأنها نابعة من القدرة الالهية . ولا يزال الانسان ضعيفا وصغيرا وضئيلا أمام كثير من المسائل الكونية بالرغم من تقدمه فى بعض النواحى العلمية .

ولو خضعت المعجزة للعلم لفقدت اسمها والغت وجودها . والايمان بالمعجزات انما يكون بالقلب الخاشع لله سبحانه وتعالى لأن القلب محل اليقين الذى يتحلى به المؤمنون .

١٤ ــ الضيوف والشاة

فى غزوة الخندق كان المسلمون يعملون فى الحفر بكل جهد وقوة نهارا . ثم يعودون الى بيوتهم ليلا . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعمل معهم بيده الشريفة تشجيعا لهم . وكان من شمائله عليه الصلاة والسلام أن يشاركهم فى كل عمل .

وذات مساء عندما كان النبى صلى الله عليه وسلم عائدا الى بيته بعد اشتغاله بالحفر فى الخندق طوال النهار . اقترب منه جابر بن عبد الله

واخبره بأنه قد ذبح شاة صغيرة وانه قد طلب من امرأته أن تصنع لهم فى ذلك خبزا من الشعير . وأن هذا الطعام قد أعدوه للنبى الكريم . ورجاه أن يتفضل بزيارته وتناول الطعام فى بيته .

فوافق النبى صلى الله عليه وسلم وشكره ثم صاح بالعاملين فى الخندق ليلحقوا به فى بيت جابر بن عبد الله لتناول الطعام . فأسقط فى يد جابر ولم يعرف كيف يتصرف والطعام محدود . ولم تكن وليمه معدة لمثل هذا العدد الضخم .

وصل النبى صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر بن عبد الله وحضر العاملون جميعا . ثم وضع الطعام أمام رسول الله فقال باسم الله الرحمن الرحيم وأكل معه فريق من الناس ثم خرجوا ودخل غيرهم وهكذا حتى أكلوا جميعا من تلك الشاة الصغيرة وخبز الشعير . ذلك الطعام القليل الذى بارك الله فيه لنبيه وللمسلمين . وجابر بن عبد الله فى حمد وتسبيح شكرا لله على نعمه وكرمه . واعترافا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٥ ــ تفتيت الصخر

أثناء حفر الخندق فى شمال المدينة الذى أشار به سلمان الفارسى . حدث أن صخرة قد امتنعت على معول سلمان وكان بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخذ النبى الكريم المعول من يده وضرب الصخرة ثلاث مرات فانهارت وتفتتت . وكان يظهر فى كل مرة لمعان غريب بعد كل ضربة بمعوله صلى الله عليه وسلم .

وقد سأل سلمان الفارسى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك . فقال له : (أما الأولى فان الله فتح على بها اليمن . وأما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب . وأما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق) .

وقد تحققت المعجزة بفتح تلك البلاد فى عهده وعهد خلفائه الراشدين رضى الله عنهم .

٥٦ ــ المعجزة الخالدة : القرآن الكريم

(حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) .

القرآن الكريم هو كتاب الله الذى نزل به جبريل عليه السلام الى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . بلفظ عربى مبين . وقد بدأ النزول

فى غار حراء فى السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك . وكانت سورة العلق أول ما نزل من القرآن الكريم . قال تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .

هذه الآيات الكريمة تدل على أن القرآن الكريم بدأ بتكريم العلم وتقديره . وهذا فضل من الله تعالى على الانسان . ليكون العلم أول درجات الحياة للتسامى عن سائر المخلوقات . وأن يكون بالعلم والايمان سيدا فى الأرض . فينظر فيما حوله من طبيعة وسماوات وأكوان بالعلم الذى يهديه الى خالق الكون سبحانه فيخشى الله ويتقيه (انما يخشى الله من عباده العلماء) .

وقد استمر نزول القرآن الكريم على سيد المرسلين . ثلاثا وعشرين سنة للرد على أسئلة السائلين بالنسبة لأحداث الزمان والحياة الاجتماعية . ولتقديم الأحكام والتشريع ونظام المعاملات والعبادات . والفضائل الانسانية والآداب القرآنية واحترام الوالدين وطاعتهما فى غير معصية . والحديث عن البعث واليوم الآخر والثواب والعقاب . (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) . كما تحدث عن الأنبياء والمرسلين وقصص الأولين .

ان القرآن الكريم قد جمع كل مطالب الحياة . فمن تبعه بايمان لن يضل ابدا . انه بشير ونذير . فيه التوجيه والارشاد . وفيه بيان عظمة الله وقدرته . وفيه أخبار الصالحين وأنباء الطاغين . فيه الموعظة الحسنة والدعوة الى الخلق القويم . وفيه تهديد ووعيد للمكذبين . قال تعالى (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) .

ونظرا لاتساع العالم . وتباين اللغات فقد بدأت ترجمة معانى القرآن الى لغات كثيرة لشرح أهدافه . والاسلام لا يمانع فى ذلك بل يشجع عليه . وتقوم بهذا العمل العظيم هيئات مسئولة لها مكانتها وخاصة فى مصر . بل وتقدم أيضا أحكام العبادات وغيرها بلغات أجنبية . مما يفيد فى نشر تعاليم القرآن الكريم ومفاهيمه السامية . فى كل الدول والأمصار شرقا وغربـــــا .

ولكن يجب أن نعلم أن الترجمات ليست بقرآن . لأن القرآن نزل على المصطفى عليه الصلاة والسلام من عند الله سبحانه وتعالى باللغة العربية .

فالعربية شرط أساس للقرآن الكريم الذى وصل الينا كاملا بلفظه ونصه متواترا . والقرآن الكريم قد تحدى العرب وفيهم الفصحاء والبلغاء للاتيان بمثله أو بسورة فعجزوا جميعا . (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

والقرآن هو المعجزة الخالدة أبد الدهر للنبى صلى الله عليه وسلم . وأما المعجزات الخاصة بالأنبياء قبله فقد كانت وقتية وحسية وكانت رسالاتهم خاصة بقوم دون الآخرين . وكانت معجزاتهم تحيا بحياتهم وتنتهى معهم . وكانت تناسب العصر الذى يعيش كل منهم فيه . فمعجزة سيدنا موسى وهى السحر تناسبت مع عصر السحرة عند فرعون . ومعجزة سيدنا عيسى عليه السلام الخاصة بشفاء الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله . كانت تتناسب مع عصر الطب . لقد انتهت كل هذه المعجزات وغيرها فلم يعدلها وجود وان بقيت ذكرياتها . ولكن القرآن الكريم شاء الله أن يبقى الى يوم الدين وأن يكون للناس كافة فى كل زمان ومكان . فيه المعانى الكاملة التى تخاطب العقل والقلب . فيه الهداية والنور . وهو المصدر الالهى الدائم الذى نرجع اليه فى كل حياتنا . (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) .

اننى أرى ضرورة الحفاظ على اللغة العربية الجميلة التى هى لغة القرآن الكريم . وتربية النشء عليها بحيث تصبح لغة الحديث والكتابة . انها سبيلنا الى نور القرآن الكريم . قال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

ان القرآن الكريم قد نزل من عند الله رحمة للعالمين . فيه شفاء من كل داء . وهو سياج للانسان ضد الشيطان . عندما يعمل بما فيه بصدق وايمان . وقد حفظه الله من كل تغيير أو تحريف وهو خير الحافظين . قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) . وآخر سورة من القرآن الكريم قد نزلت فى حجة الوداع بمنى وهى سورة النصر . قال تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) .

وبقاء معجزة القرآن يزيد المؤمنين ايمانا مع ايمانهم ، ويدعو غيرهم الى الدخول فى الاسلام بدليل قائم قوى عن صدق الدعوة المحمدية المنادية بوجود الله وتوحيده تعالى ، لا اله الا هو رب العالمين ، فلا محل لانكار الله تعالى أو الاشراك به جل جلاله ، وصدق الامام جلال الدين الرومى اذ يقول : (ما ذنب البستان اذا قصرت فى جنى ثماره ، وما ذنب النهار اذا أغمضت العين عن شهود أنواره) .

الفصل الحادى عشر

نماذج من أصدقاء الاسلام

٥٧ – الخليفة أبو بكر الصديق

١١ – ١٣ هجرية

ابو بكر بن أبى قحافة كان من كبار التجار بمكة ومن أثريائها . وكان صديقا لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ومتقاربا معه فى السن . ويصغر عن الرسول الكريم بسنتين . وكان رجلا حلو الحديث مألوفا من الناس لعطفه عليهم وحبه للخير .

وعندما أعلنت النبوة اسرع أبو بكر الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم واسلم بين يديه . فكان أول رجل يؤمن بالله وبرسوله. وقد أعلن اسلامه لأصحابه وحضهم على الدخول فى الدين الحنيف فاستجابوا له . فأخذهم الى النبى صلى الله عليه وسلم . وأسلموا بين يديه . وهم المسلمون الأوائل مثل عثمان بن عفان ، الزبير بن العوام ، عبد الرحمن بن عوف وغيرهم .

ومنذ اللحظة الأولى للاسلام ظل أبو بكر ملازما للنبى صلى الله عليه وسلم . ولم يفارقه أبدا . وعاش معه طوال الحياة . وذاق حلوها ومرها. واحتمل معه كل خطوبها وأهوالها . وكان رفيقه فى الدعوة الاسلامية فى كل مكان . يستقبل معه الوفود والأفراد . ويذهب معه الى الأسواق . ويقابل معه وفد الأوس والخزرج من يثرب الذين أسلموا وعادوا الى بلدهم ينشرون به الاسلام ثم يدعون النبى صلى الله عليه وسلم للهجرة اليهم حيث يؤازرونه ويحمونه ضد الأعداء وخاصة قريش .

وقد استمرت الدعوة الاسلامية بمكة ثلاث عشرة سنة . بأسلوبها السلمى عن طريق الشرح والاقتناع وقراءة القرآن على الناس لعلهم يهتدون . ولكن قريشا ظلت سادرة فى غيها . دائبة فى قسوتها واعتداءاتها . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقابل عملها بالحلم والأناة . ويدعو لها بالهداية والرشاد . واحتمل كل صنوف الأذى وشاركه فيها صديقه أبو بكر . ولما زاد العناد وعم البلاد . أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة الى الحبشة ثم الى يثرب . فأسرع المسلمون اليها مهاجرين فى سبيل الله وتركوا أهليهم وذويهم وأموالهم . ونزلوا ضيوفا عند الأنصار . وانتشر الاسلام فى يثرب واستقر بها . ولم يبق بمكة مع الرسول العظيم الا أبو بكر وعلى بن أبى طالب .

وعندما صدر الأمر الالهى للنبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى يثرب. أخذ معه أبا بكر وسارا خفية الى غار ثور بالقرب من مكة جنوبا . ومنه رحلا ومعهما خادم ودليل للطريق . (اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) . وبعد ثمانية أيام وصلوا قباء ومنها الى يثرب فسميت منذ شرفها النبى صلى الله عليه وسلم باسم (المدينة) .

وفى السنة الحادية عشرة للنبوة أى قبل الهجرة بسنتين . أعلن النبى صلى الله عليه وسلم للناس أنباء الاسراء والمعراج . فآمن بعضهم وتردد آخرون وذهبوا الى بيت أبى بكر وأخبروه الخبر فصدقه فى الحال . وذهب الى بيت رسول الله وسمع منه التفاصيل الكاملة . فقال (صدقت يارسول الله) فقال له النبى الكريم (وأنت يا أبا بكر « الصديق ») فصارت لقبا يعرف به منذ تلك اللحظة .

وفى المدينة اشترك أبوبكر فى بناء المسجد النبوى . ثم اشترك فى الغزوات . وفى السنة التاسعة للهجرة أمره النبى صلى الله عليه وسلم بالحج بالناس . وقد زادت بين الصديقين المحبة والمودة بزواج الرسول الكريم من عائشة بنت أبى بكر بالرغم من صغر سنها . فكانت رابطة الدين والنسب والوفاء .

ومما يدل على سماحة أبى بكر الصديق أن النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الحادية عشرة للهجرة أمر بتجهيز جيش يتجه نحوفلسطين . واختار له (أسامة بن زيد) قائدا وهو شاب فى السابعة عشر من عمره . بالرغم من وجود شيوخ ورجال لهم خبرتهم وتجاربهم . وخطب النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فى مرضه الأخير وشجع الناس على الاشتراك فى جيش أسامة الذى سيثأر لموت أبيه فى معركة مؤتة ضد الروم . وسار أبو بكر جنديا عاديا فى هذا الجيش بنفس سمحة راضية . لأنه كان يدافع عن الدين فى كل موقع . ولو أن هذه السرية لم تذهب الى هدفها بسبب شدة مرض النبى صلى الله عليه وسلم بل ظل الجيش معسكرا بالقرب من المدينة لمتابعة أنباء المرض . ثم عاد الى المدينة عندما انتقل عليه الصلاة والسلام الى الرفيق الأعلى .

ومن أروع ما يذكر التاريخ الاسلامى لأبى بكر الصديق رضى الله عنه . أنه أخمد الفتنة التى ثارت يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . ومحاولة بعض الناس الارتداد عن دين الله . لأنهم لم يتصوروا أن الموت يجرى على الرسول العظيم كما يجرى على سائر البشر . وقال أبو بكر قولته المشهورة (أيها الناس . من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات . ومن كان يعبد

الله فان الله حى لا يموت) . ثم تلا عليهم قول الله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) .

ومن مآثره أيضا أنه أخمد فتنة أخرى نبعت من وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام . وقبل أن يتم دفن الجثمان الطاهر . فقد انحازت كل جماعة فى ناحية يناصرون شخصا معينا ليكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . انتصر فريق لعلى بن أبى طالب ابن عم الرسول الكريم وزوج ابنته ومن خيرة قادة المسلمين . وانحاز الأنصار (لسعد بن عبادة) فى سقيفة بنى ساعدة . وانحاز المهاجرون لأبى بكر . فأسرع أبو بكر ومعه عمر بن الخطاب وقابل هؤلاء وهؤلاء فى أماكنهم . وقضى على الفتنة فى مهدها كما قضى على الفكرة القائلة باختيار رجلين أحدهما من المهاجرين والآخر من الأنصار . وانتهى الأمر سريعا بالحزم والعزم باختيار أبى بكر الصديق خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان أول خليفة للمؤمنين رضى الله عنه .

ولم يكن هذا الاختيار جزافا أو ارتجالا . فقد ذكر المسلمون مناقبه فى الاسلام . وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وحسن بلائه فى نشر الدين الحنيف . كما ذكروا ما حدث له فى غار ثور عند الهجرة من مكة الى المدينة .

نعم ذكر المسلمون كل ذلك فى اللحظة الحاسمة . وذكروا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد اختاره أميرا للحج بالمسلمين فى السنة التاسعة من الهجرة النبوية . بل ذكروا أكثر من ذلك قرينة كانت لهم اشارة واضحة من النبى الكريم حين أمره بالصلاة اماما للمؤمنين نيابة عنه يوم اشتد عليه المرض . وأنه عليه الصلاة والسلام صلى بجواره قاعدا . فأراد أبو بكر أن يتخلى عن مكانه فلم يوافق النبى العظيم ودفعه بيده الشريفة ليستمر فى الصـــلاة .

ان الله سبحانه وتعالى قد كرم أبا بكر فأنزل فى حقه بعض الآيات فى القرآن الكريم . رضى الله عن أبى بكر الصديق ورحمه رحمة واسعة وأفسح له فى جناته . اللهم آمين .

حج أبى بـــكر

فى السنة التاسعة الهجرية أمر النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر ليحج بالناس . فسار الى مكة تنفيذا لأمر الرسول الكريم . وبعد خروجه نزلت

سورة التوبة وفيها أخبار كثيرة عن المشركين واليهود والمنافقين . وتحدثت عن غزوة تبوك . وكشفت عن أخلاق الناس . كما ورد بها أحكام خاصة بالمواثيق والعهود العامة والخاصة المبرمة بين المشركين وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقرر النبى صلى الله عليه وسلم ارسال على بن أبى طالب بهذه السورة ليلحق بأبى‌بكر . وأن يقوم بنفسه بتبليغ الناس سورة التوبة ويعلنهم بضرورة اتباعها . سار على بن أبى طالب فورا ولحق بأبى بكر فى الطريق ثم سارا معا حتى بلغا (منى) . فلما اجتمع الناس قام على بن أبى طالب فيهم خطيبا وقال لهم : (أيها الناس . انه لا يدخل الجنة كافر . ولا يحج بعد العام مشرك . ولايطوف‌بالبيت عريان . ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له الى مدته) .

قال تعالى فى سورة التوبة (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا فى الأرض اربعة اشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين . وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) .

وتنفيذا لهذه السورة الكريمة قد منع المشركون وغيرهم من دخول المسجد الحرام والطواف بالكعبة . وأما من لهم عهد من المشركين عند النبى صلى الله عليه وسلم فقد تقرر استيفاء الآجال الخاصة بها . ولما عارضت قريش فى ذلك وقالوا انهم أهل الحرم وسقاة الحاج وعمار البيت . واجهتهم الآية الكريمة بفساد رأيهم وأنهم ليسوا على الحق . قال تعالى : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) . وقال تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله . لا يستوون عند الله) .

واصبح الأمر نهائيا بالنسبة للمشركين حيث حرم عليهم دخول المسجد لأنهم نجس . قال تعالى (انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا . وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) . وهذا تطمين للمسلمين فلا يخشون كساد الأسواق التجارية فى وجوههم بسبب ابعاد المشركين عن المسجد الحرام . وفعلا لم يحج أى مشرك بعد تلك السنة .

٥٨ ــ امير المؤمنين عمر بن الخطاب

١٣ ــ ٢٣ هجريــة

أولا ــ نشأته وحياته قبل استخلافه :

١ ــ أسلم عمر بن الخطاب فى السنة الخامسة للنبوة الشريفة . علم باسلام اخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو (ابن عمه) . فذهب اليهما فى بيتهما وعاتبهما لاسلامهما بدون علمه واذنه . ويقال انه اعتدى عليهما ثم هدأت سورته وطلب منهما أن يسمعاه ما كانا يتلوانه من صحيفة معهما كتبت عليها آيات من القرآن الكريم (سورة طه) . فلما سمعها خفق قلبه للحق وانشرح صدره للايمان ، وأسرع الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم واسلم بين يديه شاكراً الله أن هداه للايمان . وما كان ليهتدى لولا أن هداه الله . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يسأل الله الهداية لعمر بن الخطاب اعتزازا بحسن صفاته وقوة شخصيته قائلا : (اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب) .

تضايقت قريش أشد الضيق من اسلام عمر بن الخطاب . ولم تحاول الاعتداء عليه لهيبته وشجاعته . وقبل اسلام عمر لم يجرؤ أحد من المسلمين أن يصلى فى الكعبة . ولكن لما أسلم عمر أعلن تحديه للمشركين ودخل المسلمون الكعبة وصلوا بها . فسماه النبى الكريم يومئذ (الفاروق) . وهكذا اجتمع لعمر بن الخطاب الايمان الصادق والشجاعة الواعية مع العدالة والرحمة وحب الخير . وكلها نابعة من التقوى والورع وخشية الله تعــــالى .

٢ ــ كان النبى صلى الله عليه وسلم يقدر فضائل عمر بن الخطاب واخلاصه وغيرته على الدين ، ويأخذ برأيه فى كثير من الأمور ثقة منه عليه الصلاة والسلام فى رجاحة عقل عمر وبصيرته الملهمة . وقال فيه (قد كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فان يكن فى أمتى أحد فعمر) . وقال ايضا (ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) .

ومن أسمى آيات التكريم لعمر بن الخطاب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: (بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن . فشربت منه حتى انى لأرى الرى يجرى فى أطرافى . فأعطيت فضلى عمر بن الخطاب . فقال من حوله : فما أولت ذلك يارسول الله ؟ قال « العلم » . وهذا شرف عظيم لعمر بن الخطاب ، وتكريم خصه به المصطفى عليه الصلاة والسلام .

٣ ـــ عرف النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة معرفة دقيقة وقدر سجاياهم وقدرتهم ووضع كلا منهم فى المكان المناسب له . عرف عليه الصلاة والسلام فى أبى بكر الهوادة واللين ، وفى عمر بن الخطاب الشدة . قال لهما عندما استشارهما فى أسارى غزوة بدر الكبرى (ان الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن . وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة . وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال : « فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم » . ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » . ومثلك يا عمر مثل نوح قال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » . ومثلك كمثل موسى قال : « ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » .

ويبين لك من ذلك الحديث أن لين أبى بكر وشدة عمر انما كانت فى الله ولله ، فأبو بكر رضى الله عنه قصد بلينه مع أسرى بدر تأليف قلوبهم للاسلام حيث أشار بعدم قتلهم وأخذ الفدية منهم . وشدة عمر رضى الله عنه قصد بها وجه الله حيث أشار بقتل الأسرى انتقاما من أهل الكفر أعداء الله ورسوله .

٤ ـــ وعندما انتقل النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى حدث اضطراب شديد بين المسلمين . واختلف الصحابة فيما بينهم بسبب الخلافة واجتمع كل جماعة منهم فى مكان ما لمناصرة أحد الصحابة . فلما علم عمر ابن الخطاب بذلك أسرع الى أبى بكر وطلب منه أن يذهبا معا الى الصحابة فى أماكنهم المختلفة للقضاء على الفرقة بينهم . فوافق أبو بكر وذهبا الى ثقيفة بنى ساعدة حيث اجتمع الانصار ورشحوا سعد بن عبادة خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فنهض عمر وبسط يده الى أبى بكر وبايعه بالخلافة فتبعه الحاضرون جميعا وبايعوا أبا بكر .

وفى اليوم التالى قام عمر فى المسجد وطلب من المصلين تجديد البيعة لأبى بكر فبايعوه لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . بهذا الأسلوب الحكيم وبعد النظر قضى عمر بن الخطاب على الفتنة فى مهدها وحفظ للاسلام وحدته وللمسلمين تضامنهم وتعاطفهم . وظهرت شخصية عمر القوية وسرعة بديهته واحساسه بالمسئولية نحو الدين الحنيف .

٥ ـــ عاش عمر بن الخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا . وأخذ عنه المدد النبوى والحكمة والآداب القرآنية . وحارب معه جنبا الى جنب . وافتداه بنفسه فى غزوة أحد وأحاطه بجسمه ليصد عنه

السهام والنبال . وكان يقول عن نفسه (أنه سيف النبى صلى الله عليه وسلم . ان شاء استعمله . وان شاء وضعه فى غمده) . كان عمر طويل القامة عريض المنكبين قوى الجسم جهير الصوت . شجاعا لا يهاب الموت. عرف الأعداء شجاعته وجرأته فهابوه وابتعدوا عن طريقه .

لم يرض عن شروط صلح الحديبية لأنها — فى ظنه — مجحفة بالمسلمين وهم أصحاب الحق وأنهـا فى صالح المشركين وهم أصحاب الباطل . وأراد محاربتهم بكل قوة . ولكن النبى صلى الله عليه وسلم طيب خاطره ، وافهمه أن الله تعالى وعد نبيه الفتح المبين . وتم ذلك فعلا فى العام التالى فندم عمر على ما بدر منه يوم الحديبية واستغفر الله كثيرا . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب منه الموافقة والمعارضة لأنها جميعا فى سبيل الله ، ولاعلاء كلمة الله .

وبعد صلح الحديبية رأى عمر العباس بن عبد المطلب (عم النبى صلى الله عليه وسلم) عائدا الى المدينة ومعه عدو الله أبو سفيان بن حرب . فهم عمر بقتل أبى سفيان جزاء غدره وشدة عداوته للمسلمين . ولكنه تركه اكراما للعباس بن عبد المطلب الذى قدم أبا سفيان الى النبى الكريم وشفع له عنده . أسلم أبو سفيان بين يدى المصطفى عليه الصلاة والسلام الذى عفا عنه وكرمه وجعل بيته أمنا للمسلمين . عاد أبو سفيان الى مكة وأعلن اسلامه ونصح قريشا بأنهم لا قبل لهم بجيش المسلمين . وفتحت مكة وكان النصر المبين للاسلام .

٦ — وعندما قتل عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين . طلب ابنه عبد الرحمن (وقد أسلم) من النبى صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قميصه يلف به جثة أبيه تبركا ، وطلب من الرسول الكريم أن يصلى على جثمان والده فتدخل عمر بن الخطاب وحاول أن يمنع النبى صلى الله عليه وسلم من الصلاة على ذلك الكافر المنافق . فتبسم الرسول الكريم وأشار الى عمر ليكف عن ذلك لأن النبى عليه الصلاة والسلام يعلم ما يفعل . ولم يغضب المصطفى عليه الصلاة والسلام لأنه يعلم أن عمر صادق الايمان طاهر القلب .

والنبى الكريم لا يعمل الا بأمر الله . لقـد أكرم النبى عليه السلام عبد الرحمن الذى هجر كفر أبيه ونفاقه واسلم . وبعد هذا التكريم النبوى اسلمت أسرة أبى بن سلول وكل أتباعه وحسن اسلامهم . ونزل فى ذلك قرآن كريم ، قال تعالى : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبـره) .

ان هذه الأحداث وان تعددت فى مظهرها فانها تتلاقى جميعا فى قلب الرجل الشجاع المؤمن عمر بن الخطاب . أحب الصدق والصراحة . وعمل فى سبيل الله بكل قوة . وهناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم تشير الى رضاء الله سبحانه وتعالى عن عمر بن الخطاب .

٧ — واثناء خلافة أبى بكر الصديق بدأت الفتوحات الاسلامية ضد الروم والفرس ، واستشهد كثير من الصحابة وهم الأمناء على القرآن الكريم حفظوه فى صدورهم . فخشى عمر بن الخطاب سوء العاقبة واشار على أبى بكر بتدوين القرآن الكريم . فرفض أبو بكر أول الأمر ثم وافق حين شرح الله صدره لذلك ، واستدعى (زيد بن ثابت) كاتب الوحى وكلفه بهذا العمل العظيم الذى تم بعد جهد جهيد . وحفظ أبو بكر الصديق المصحف بعد تدوينه عند السيدة حفصة بنت عمر (زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم) . ان هذا العمل المجيد بما له من آثار هامة فى حياة المسلمين قاطبة الى يوم الدين يدل على بعد نظر عمر بن الخطاب وأصالة تفكيره .

٨ — نشأ عمر بن الخطاب فى أسرة امتازت بالنزاهة والشهامة والعدل. فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن بنى عدى . وأمه (حنتمة بنت هشام بن المغيرة . وهى قبائل لها قيمتها وخطرها . ولها الصدارة بين القبائل . وكان عمر واسع الثراء من التجارة فجهز الجيوش الاسلامية فى الغزوات أيام النبى صلى الله عليه وسلم بما لزمها من أموال احتسابا لله وحبا لرسول الله . وأعطى المحتاجين والمعوزين من ماله الخاص . واشترك فى بناء المسجد النبوى وحفر الخندق حول المدينة .

أراد أن يتزوج فاطمة الزهراء بالرغم من حداثة سنها فصرفه النبى صلى الله عليه وسلم عنها بلطف . لانه كان يعلم أن على بن أبى طالب يريد أن يتزوجها . فاشترى عمر بن الخطاب الدرع من على بن أبى طالب بأربعمائة درهم ليساعده على دفع الصداق ثم اهدى اليه الدرع . وهذا سمو فى الأخلاق . ونبل فى المشـــاعر . وأريحيـــة عربية جديرة بعمر بن الخطـــاب .

وظل رضى الله عنه حريصا على أن يكون له نسب برسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوج وهو خليفة من السيدة أم كلثوم (واسمها زينب الوسطى) ابنة السيدة الزهراء . وفرح بزواجها أيما فرح حيث كان متأثرا بالحديث الشريف : (كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة الا نسبى وسببى) .

وقد بلغ من فرحه بذلك الزواج أنه خرج على بعض الصحابة الكرام فقال لهم : « ألا تهنئوننى ؟ » قالوا : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : « تزوجت من أمكلثوم بنت الامام على فصار لى نسب برسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ثانيا — أعماله أثناء الخلافة

رأى أبو بكر الصديق قبل وفاته الظروف المحيطة بالدولة الاسلامية والحروب المستمرة على حدودها ضد الأعداء ، والظروف الداخلية ومنها ارتداد بعض المسلمين عن الدين الحنيف بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامتناع بعضهم عن أداء الزكاة . فقاومهم وقهرهم وأعادهم الى حظيرة الايمان .

أمام كل هذه الظروف أراد أبو بكر أن يطمئن على الدولة الاسلامية . وألا يترك أهلها عرضة للخلافات الشخصية بسبب الخلافة ، فأوصى أن يخلفه عمر بن الخطاب . وهى وصية تدل على الحكمة وتقدير عواقب الأمور اذا تركت البلاد بلا ضابط أو ترتيب محكم .

ولا غرابة فى هذا الاختيار لأن عمر بن الخطاب ظل وفيا لأبى بكر أثناء خلافته . قدم له النصح الخالص ، والمشورة الصادقة عن طيب خاطر . وكانا فى حياتهما المباركة كرجل واحد جمع فى قلبه بين لين أبى بكر وشدة عمر .

وبعد وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه اجتمع المسلمون وبايعوا عمر ابن الخطاب خليفة لهم . وهو أول من لقب (بأمير المؤمنين) . قام بأعباء الخلافة عشر سنوات كتبت صفحاتها الجليلة بأحرف من نور لما تم فيها من أعمال باهرة وبطولات نادرة . اكتنفها الحزم والعزم وحسن الادارة لدولة ترامت أطرافها واختلفت أجناسها وتباينت شعوبها . ولكنها جميعا اطمأنت لأنها تنضوى تحت راية الاسلام .

٢ — لقد قام أبو بكر الصديق بأعمال خالدة للدين الحنيف . فثبت أركانه، وقوى دعائمه ، وقضى على الفتنة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الخلافة ، وحارب المرتدين بقوة وايمان وانتصر عليهم . وبدأ الفتوحات الاسلامية .

وجاء عمر ليكمل هذه الرسالة . وأرسل الجيوش الاسلامية شرقا وغربا وانتصرت . وأحست هذه الدولة الواسعة بشخصية عمر القوية الحازمة

فى غير قسوة . الوداعة فى غير ضعف . اختار الولاة الأكفاء وراقب أعمالهم ، ونظم الدواوين وقام بأول احصاء دقيق فى التاريخ للناس والجند ورتب لهم أعطيتهم من بيت المال . وأمر الا يغيب الجندى عن أهله أكثر من ستة شهور حفاظا للأسرة وتنظيما للمجتمع الاسلامى . وأخذ بالشورى فى ادارة الأعمال ، وأفاد من مواسم الحج لمعرفة أحوال الرعية فى كل مكان .

واننا لنعجب كيف استطاع عمر بن الخطاب الذى نشأ فى الجزيرة العربية نشأة بسيطة ، ولم يسبق له أن مارس هذه الأعمال ، أن يرتب هذه الأمور بدقة متناهية ، ووضع لها المقاييس الضخمة السليمة . وكيف استطاع أن يحكم هذه الدولة المترامية الأطراف التى ضمت بين جناحيها شعوبا لها حضارات وتقاليد .

انه الايمان والفطرة السليمة والعقل الراجح والقلب الطاهر . اعتمد على الله أولا وأخيرا . وأحاط نفسه بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقامهم حوله بالمدينة عاصمة الدولة الكبرى . وضن بهم على الأمصار لينتفع بمواهبهم وآرائهم واخلاصهم والافادة من مشورتهم . ولذلك فان عمر بن الخطاب هو مؤسس الدولة الاسلامية حقا وصدقا . ولا يخرج عن هذا الاجماع مؤرخ قديم أو حديث . انه التدبير الالهى الذى اختار بعض المؤمنين ليكونوا أئمة وقادة لنشر الدين الحنيف . وتابعهم على مر الزمان العارفون بالله ليكونوا مصابيح الهدى والرشاد .

وكان عمر بن الخطاب وفيا للصحابة عليما بأقدارهم وقدراتهم ، ووضع الرجل الصالح فى المكان الصالح . وضع أحدهم قائدا للجيش واختار غيره واليا على قطر من الأقطار تبعا لكفاءتهم وحسن استعدادهم لمختلف الأعمال . وبعد اختياره لهم زودهم بنصائحه لتكون دستورا لأعمالهم ، ومرشدا لتصرفاتهم مع الجند أو الرعية . حتى فى الحروب كان يضع بنفسه للقائد الخطة الحربية كاملة . ويظل على اتصال دائم به لمعرفة أخباره وموقعه ومواقع الأعداء . وعلم القادة والولاة جميعا أنهم محاسبون أمام عمر بن الخطاب الذى لا تفوته شاردة أو واردة الا أحصاها عليهم . وهابوه وعرفوا منزلته وشدته ، وأنه لا يحابى أحدا على حساب المصلحة العامة للدولة .

كان عمر بن الخطاب عادلا رحيما بالضعفاء والمحتاجين ، بارا بأهله حفيا بهم . يهابه الناس لشخصيته ، ويحبونه لعدله ومروءته . كان حصن الأمان لكل خائف ، والملاذ لكل محتاج . يسعى بنفسه بين الناس ليطمئن عليهم ويقف على أحوالهم . وقد حدث أثناء طوافه ليلا بالمدينة أن سمع بكاء طفل فسأل أمه عن سبب بكائه فقالت انها فطمته قبل أن يتم الرضاع

لأن الخليفة عمر بن الخطاب لا يفرض الا للفطيم . فقام عمر فى المسجد فى اليوم التالى وأعلن للناس أنه قرر الصرف من بيت المال لجميع المولودين من أبناء المسلمين . ولا يمكن أن نحصى أعمال عمر بن الخطاب وكلها ناطقة بعدالته ورحمته .

٤ ــ أحب عمر بن الخطاب الصدق والصراحة ، وأوصى الشباب بالفتوة والقوة والفروسية لأن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف . وأوصى المسلمين بالايمان فى قلوبهم وعدم التظاهر بالنسك والعبادة . واستشار الصحابة فى كثير من الأمور وأخذ برأيهم .

راض عمر نفسه على الحياة البسيطة الخشنة فى المأكل والملبس ولم يأخذ لنفسه من بيت المال الا ما كان ضروريا . ولم يطلب من الولاة أن يقتروا على أنفسهم بل حضهم على الظهور بالمظهر اللائق والحياة الكريمة بين الناس فى غير تقتير أو اسراف .

علم أن الناس يذهبون الى الشجرة التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم تحتها (بيعة الرضوان) ويصلون عندها ، ويتبركون بها . فأمر بقطعها خشية تجدد مظاهر الوثنية مع تعاقب الزمان .

وعندما كان يطوف بالكعبة ويستلم الحجر الأسود قال (انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) .

٥ ــ حافظ عمر بن الخطاب رضى الله عنه على عهده مع النصارى واليهود حين عاهدهم . وأعطاهم الأمان فى أموالهم ونسائهم وأولادهم ، وأجرى الصدقة على فقرائهم . قابل رجل يهودى مكفوف البصر عمر بن الخطاب فى الطريق وشكا اليه عجزه عن أداء الضريبة المقررة عليه لفقره وشيخوخته. فأمر عمر برفع الضريبة عن اليهودى وأجرى عليه صدقة قائلا (ما أنصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم) . وأوصى عمر بن الخطاب الولاة باتباع هذا السلوك فى معاملة الذميين . فمن يقوم بمثل هذا العمل الانسانى غير عمر بن الخطاب الخليفة العادل الرحيم الانسان ؟

ان العدالة بأسمى معانيها فى كل العصور وفى كل مكان لا تجد من يمثلها خيرا من عمر بن الخطاب . فاذا قلت الخليفة العادل فانك تعنى عمر بن الخطاب الذى أقام الحد الشرعى على ابنه عبد الرحمن ، ولم يفرق بينه وبين أبناء المسلمين .

٦ — كان عمر بن الخطاب يخطب خطبة الجمعة بالمسجد النبوى وفجأة التفت الى يمينه ونـــادى (يا ســــارية بن حصن : الجبل الجبل) . فلم يفهم المصلون شيئا . وبعد الصلاة سأله الامام على بن أبى طالب عما قصده بتلك الجملة (يا سارية : الجبل) فقال عمر أحسست أثناء الخطبة بالمشركين يحاولون تطويق جيش المسلمين الذى كان يقوده (سارية بن حصن) فناديته ليحتمى بالجبل قبل وصول المشركين .

ولما عاد جيش المسلمين الى المدينة قالوا انهم سمعوا نداء عمر بن الخطاب ، فأسرعوا الى الجبل واعتصموا به وانتصروا على الأعداء . وهذا يدل على شفافية عمر بن الخطاب ، وما حباه الله من صدق الايمان وقوة اليقين . وأن يرى بقلبه مالا تراه العيون . وهذا ما يعرف بالمكاشفة يختص بها المولى تعالى عباده الصالحين .

وعلم النفس الحديث أكد هذا الاتجاه واثبت بكثير من التجارب امكانية حدوثه . فلا غرابة اذن أن انتقل الاحساس الصادق من عمر الى قائد جيشه سارية بن حصن فى موقعه البعيد شرق الجزيرة العربية .

وقد صدق الصحابة ما حدث لعلمهم بمكانة عمر بن الخطاب عند المولى سبحانه وتعالى وعند النبى صلى الله عليه وسلم ، وعند سائر المسلمين . وقد رأى الصحابة من قبل أن الوحى نزل على الرسول الكريم بآيات من القرآن الكريم مؤيدة لآراء عمر بن الخطاب مثل الاية التى نزلت بشأن الحجـــــاب .

٧ — وأما التاريخ الهجرى فهو من الأعمال الخالدة لعمر بن الخطاب فهو الذى اتخذ الهجرة بداية للتاريخ الاسلامى . واعتبرها بحق أهم حادث فى الاســـــلام .

بدأت الدعوة الاسلامية فى مكة واستمرت ثلاثة عشر سنة عن طريق الشرح والوعظ والارشارد والاقناع ومقابلة الوفود والحجاج . ثم انتقل مركز الدعوة الاسلامية الى المدينة بهجرة سيد المرسلين اليها . وأصبحت المدينة عاصمة الدولة الاسلامية الناشئة ، ومنها بدأت الغزوات بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم للدفاع عن العقيدة الاسلامية التى انتشرت واستقرت فى كل الجزيرة العربية . ثم امتد سلطانها الى بلاد الفرس شرقا ومصر وطرابلس غربا .

نظر عمر بن الخطاب الى كل هذه الامجاد الاسلامية فوجد أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بداية استقرار الاسلام ، وتوطيد سلطانه

في كل مكان . فاتخذ الهجرة النبوية أساسا للتاريخ الاسلامى . هذا العمل الجليل نبع من نفس صافية . وحكمة بالغة . وفكر عميق يتلاءم مع عبقرية عمر رضى الله عنه .

ثالثا — استشهاد عمر بن الخطاب

تآمر جماعة من أهل فارس على قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انتقاما لهزيمة بلادهم على يد المسلمين . اجتمع الهرمزان أحد أمراء فارس السابقين الذى قضى الاسلام على سلطانه وعاش ذليلا بالمدينة . مع فيروز أبى لؤلؤة الفارسى مولى المغيرة بن شعبة . وجفينة من أهل الأنبار الخاضعين للفرس . وكعب الاحبار اليهودى الذى ادعى الاسلام ليسىء للمسلمين .

اجتمع هؤلاء المتآمرين ووضعوا الخطة لقتل عمر بن الخطاب ، وأعدوا السلاح واختاروا أبا لؤلؤة لتنفيذ الجريمة . وفى صلاة الفجر كان عمر يؤم المصلين بالمسجد النبوى . فتسلل أبو لؤلؤة بين صفوف المسلمين واستل خنجرا وطعن الخليفة طعنات قاتلة ثم طعن نفسه .

احتمل عمر الطعنات القاتلة بشجاعة وايمان . وعرف أن القاتل فارسى ذليل استخدمه المتآمرون من الفرس لتنفيذ الجريمة النكراء . وفى تلك اللحظات العصيبة لم يفقد عمر وعيه وطلب من ابنه عبد الرحمن أن يسدد عنه دينه فقد عاجلته المنية قبل الوفاء به .

وبالرغم من الآلام المبرحة التى أودت بحياته فقد فكر عمر فى صالح المسلمين حتى آخر لحظة ، وأوصى أن تكون الخلافة لأحد أصحاب الشورى المبشرين بالجنة الذين توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم :

عثمان بن عفان ، على بن أبى طالب ، طلحة بن عبيد الله ، الزبير بن العوام ، سعد بن أبى وقاص ، عبد الرحمن بن عوف ، أبو عبيدة بن الجراح (الذى لقبه الرسول الكريم بأمين الأمة الاسلامية) . ولم يشرك معهم ابن عمه سعيد بن زيد بن نفيل لقرابته له (وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة) . وضم عمر بن الخطاب اليهم ابنه عبد الله ليشترك بالرأى دون أن يكون له فى الأمر شىء .

توفى عمر بن الخطاب الى رحمة الله فى العام الثالث والعشرين من الهجرة النبوية الشريفة . وقبل وفاته أرسل ابنه عبد الله الى السيدة / عائشة رضى الله عنها يستأذنها أن يدفن بجوار النبى صلى الله عليه وسلم فأذنت وهى تبكى حزنا على عمر بن الخطاب .

وهكذا انتهت حياة بطلٍ من أبطال الاسلام والانسانية بعد جهاد صادق فى سبيل الله . ولن نستطيع فى هذا الكتاب أن نذكر كل أعماله الخالدة فهى تحتاج الى مؤلفات ضخمة ، وانما قدمنا فقط لمحات من سيرته العطرة ومناقبه الطاهرة . انه فى جنة الخلد مع حبيبنا المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

٥٩ ـ أمير المؤمنين عثمان بن عفان
٢٣ ـ ٣٥ هجرية

أولا ـ نشأته وحياته قبل استخلافه :

١ ـ كان رجل الصلاح والتقوى والورع . وكان من أوائل المسلمين فقد استجاب لأبى بكر الصديق الذى دعاه الى الاسلام وذهب معه الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم بين يديه . وعاش حياته كلها فى سبيل الله وسعى جهده لخير المسلمين . ومنذ أن أسلم ظل فى صحبة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه أبدا .

وقد تزوج من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجرا معا الى الحبشة فى الهجرة الأولى فى السنة الخامسة للنبوة . وعادا معا ثم هاجرا مرة أخرى الى الحبشة وأقاما بها فترة من الزمن . وأنجبت له (عبد الرحمن) . وفى السنة العاشرة للنبوة سمع المسلمون أن قريشا قد كفت يدها عن ايذاء المسلمين واعتراض سبيلهم . فعاد عثمان بن عفان وزوجته وبعض المهاجرين ثم اتضح أن النبأ لم يكن صحيحا .

وعندما ذهبا الى بيت المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام . أخذت رقية تبحث عن والدتها السيدة / خديجة رضى الله عنها فلم تجدها ورأت الدموع فى عيون أختيها أم كلثوم وفاطمة ، وعرفت أن أمها الحبيبة قد توفيت فى تلك السنة . فحزنت عليها حزنا شديدا مقرونا بالايمان والصبر .

٢ ـ ثم هاجر عثمان بن عفان وزوجته رقية الى المدينة حيث توفى ابنهما الوحيد (عبد الرحمن) صغيراً . ولم تحتمل رقية فقد أمها وولدها فمرضت فى السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة . وتوفيت الى رحمة الله وقت أن كان المسلمون فى حرب ضروس مع قريش فى غزوة بدر الكبرى التى انتصر فيها الاسلام انتصارا عظيما بفضل الله . وبقى عثمان بن عفان بجوار زوجته ليشرف على تمريضها ويخفف عنها آلامها حتى فاضت روحها الطاهرة ، وصعدت الى ربها راضية مرضية . ولم يتمكن عثمان بن عفان من الاسهام

بشخصه فى غزوة بدر الكبرى لقيامه بواجبه نحو زوجته المريضة . ولما عاد الرسول الكريم الى المدينة من غزوة بدر ظافرا منتصرا . ذهب الى بيت عثمان ليزور ابنته فوجدها مسجاة على فراشها فصلى عليها ودعا لها . وتأثر قلبه الكبير لموتها . واستودعها جنة الخلد عند رب العالمين .

٣ ــ وأما سينا عثمان فقد ملأت الأحزان قلبه ، وصبر صبر المؤمن الواثق بقضاء الله . فأراد الرسول الكريم أن يخفف عن عثمان آلامه وأشجانه فوافق على أن يزوجه شقيقتها أم كلثوم . وتم الزواج وانتقلت أم كلثوم الى بيت زوجها حيث وجدت الخلق الكريم والحب الصادق . وعاشا معا كأسعد زوجين . الا أن الحياة لم تطل بها اذ كانت تحس فى حنايا صدرها بفقد أمها . وزادت آلامها بموت أختها رقية التى ارتبطت بها منذ الطفولة بصداقة قوية ومحبة أكيدة . وكانتا تتشابهان خلقا وطبعا ، وارتبط مصيرهما معا . فقد تزوجتا معا قبيل النبوة من عتبة وعتيبة ولدى أبى لهب عدو الاسلام . ثم عادتا معا الى بيت أبيهما حين فارقهما زوجاهما بأمر أبى لهب وزوجته أم جميل نكاية فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لشدة عداوتهما له . واعتقادا منهما أن النبى صلى الله عليه وسلم سيشغل ببناته عن الدعوة الاسلامية الصامدة للكفار . الناجحة بفضل الله . فخاب فأل أبى لهب وزوجته حمالة الحطب وطاش سهمهما وانتشر الاسلام وارتفعت رايته عالية خفاقة .

أثرت الأحزان المتلاحقة بأم كلثوم واعتلت صحتها وما لبثت أن توفيت الى رحمة الله تعالى . ودفنت مع أختها رقية . وهكذا جمع القبر الطاهر بين جسديهما كما جمعت بينهما الحياة . رضى الله عنهما وأفسح لهما فى رضوانه . ولا يمكن أن نصف ما أصاب عثمان من أحزان لموت أم كلثوم .

٤ ــ وعثمان بن عفان يلتقى مع النبى الكريم عند (عبد مناف بن قصى) من قبل أبيه . فهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصى . ويلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم من قبل أمه (أروى بنت كريز) فهى بنت أم حكيم (البيضاء) عمة النبى صلى الله عليه وسلم . وهكذا جمع عثمان بن عفان بين شرف النسب وكريم الصفات .

وعثمان بن عفان أحد العشرة المبشرين بالجنة وهم سادتنا الكرام :

أبو بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، على بن أبى طالب ، سعد بن أبى وقاص ، طلحة بن عبد الله ، الزبير بن العوام ، عبد الرحمن بن عوف ، أبو عبيدة بن الجراح ، سعيد بن زيد بن نفيل .

٥ ـ شهد عثمان بن عفان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الغزوات ما عدا غزوة بدر الكبرى التى تخلف عنها اضطرارا لمرض زوجته (رقية) . ومع ذلك فقد أسهم له النبى الكريم مع من حضروا الموقعة واعتبره واحدا منهم . ولأهل بدر من الصحابة شأن كبير وذكر حسن فى الاسلام ، وقد فازوا برضاء الله تعالى . كما اشترك عثمان فى بناء المسجد النبوى بالمدينة ، وأسهم مساهمة مالية كبرى فى تجهيز جيش المسلمين لغزوة تبوك ضد الروم وغيرها من الغزوات .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحبه ويقدر صفاته الطيبة وحبه للخير ، فدعا له كثيرا ووعده بالجنة وأخبره برضاء الله عنه . ومن اشهر صفات سيدنا عثمان بن عفان الحياء الشديد . وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أذن له بالمثول بين يديه احتشم فى جلسته وقال (كيف لا نستحى من رجل تستحى منه الملائكة) .

ومن حب النبى الكريم لسيدنا عثمان بن عفان أنه عليه الصلاة والسلام قد زوجه ابنته رقية ، فلما ماتت زوجه ابنته أم كلثوم ، فلما ماتت قال له : (لو عندنا ثالثة لزوجناك اياها) . وهذا تقدير كبير لسيدنا عثمان رضى الله عنه . وبسبب زواجه من ابنتى النبى الكريم سمى (بذى النورين) فقد فاز بما لم يفز به أحد من الصحابة بل ولا من البشر فانه لم يزوج غيره بابنتين من بنات رسول كريم كما حظى هو بزواجه بواحدة بعد الأخرى .

٦ ـ وفى يوم الحديبية ندب النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان لخبرته وحسن تصرفه سفيرا الى قريش بمكة ليفاوضهم فى موضوع الصلح . فتأخر عثمان فى العودة وظن بعض المؤمنين أن قريشا اعتدت عليه وحجزته عندها . فدعا النبى الكريم أصحابه للبيعة على الجهاد فى سبيل الله . وبايع صلى الله عليه وسلم بنفسه عن عثمان بأن وضع يده اليسرى على يده اليمنى وقال : « وهذه عن عثمان ، يسراى خير من يمين عثمان » . وقد نزل فى حق هذه البيعة قرآن كريم (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) . ثم عاد عثمان الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وثبت عدم صحة الاشاعة الخاصة باعتداء قريش عليه .

وقد أظهرت تلك البيعة ما كان لعثمان من مكانة مرموقة عند النبى صلى الله عليه وسلم الذى بايع بنفسه عن عثمان وهذا تكريم وتشريف لرجل خليق بالتكريم جدير بالتشريف . كما بينت البيعة أن المسلمين جميعا قد استجابوا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلب منهم البيعة

من أجل الجهاد فى سـبيل الله ولم يتخلف منهم رجل واحد وكانوا الف واربعمائة رجل .

٧ — عندما طعن عمر بن الخطاب طعنة قاتلة طلب منه المسلمون قبل وفاته أن يعين خلفه . فتردد فى أول الأمر . ولكن الظروف السياسية والحربية كانت تقتضى منه أن يتحمل مسئولية هذا الأمر احتفاظا للمسلمين بنظام البيعة والتضامن وعدم الفرقة ، وخاصة والجيوش الاسلامية تحارب الأعداء من الروم والفرس . وقد ينتصر بعض القادة العسكريين لأحد المرشحين . وينتصر آخرون لغيره . فاقترح حلا وسطا وأوصى المسلمين باختيار الخليفة من أحد الرجال المبشرين بالجنة والذين توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم :

عثمان بن عفان ، على بن أبى طالب ، طلحة بن عبيد الله ، الزبير بن العوام ، سعد بن أبىوقاص ، عبدالرحمن بن عوف ، أبو عبيدة بن الجراح . ولم يشرك معهم ابن عمه سعيد بن زيد بن نفيل لقرابته له (وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة) . وضم اليهم ابنه عبد الله ليشترك بالرأى فقط دون أن يكون له فى الأمر شىء .

بعد وفاة عمر بن الخطاب اجتمع هؤلاء الصحابة وهم من خيرة المؤمنين ، تنفيذا لوصية سيدنا عمر رضى الله عنه ، وتشاوروا فى الأمر واستطلعوا رأى عامة المسلمين فوجدوا أن الاجتماع منعقد على واحـد من اثنين (عثمان بن عفان ، على بن أبى طالب . فاختاروا عثمان بن عفان لكبر سنه اذ كان فى السبعين من عمره .

ثانيا — أعماله أثناء خلافته

١ — وما أن ولى الخلافة سنة ٢٣ هجرية حتى صادفه كثير من المشاكل والمتاعب مثل التحقيق فى مقتل عمر بن الخطاب ، والتحقيق مع عبيد الله بن عمر الذى ثأر لمقتل أبيه وقتل الهرمزان وجفينة وابنة أبى لؤلؤة .

اشفق عثمان أن يقتل عمر بالأمس ويعدم ابنه عبيد الله اليوم فدفع الدية من ماله الخاص لأهل القتلى الذين عفوا عن عبيد الله . فاحتج بعض الصحابة على تصرف الخليفة فى قضية عبيد الله لمخالفته للدين الحنيف .

وبالرغم من هذه المشاكل الداخلية استمرت الفتوحات الاسلامية فى عهد عثمان شرقا وغربا كعهدها فى أيام عمر بن الخطاب . واستطاعت الجيوش

الاسلامية طرد الروم من ساحل البحر الأبيض المتوسط فى سورية ومصر . ودخل المسلمون بلاد الفرس منتصرين ، واحتلوا أرضها وأزالوا عرشها بعد حروب دامية . واستخدم المسلمون أسطولا بحريا فى البحر الأبيض المتوسط قهروا به أسطولا ضخما للروم فىموقعة بحرية بالقرب منالاسكندرية سنة ٣١ هجرية .

وهكذا امتدت الدولة الاسلامية فى عهد عثمان شرقا الى فارس ، وشمالا الى جنوب بحر قزوين ، وغربا الى طرابلس وقبرص . وامتدت أيضـــا الى بلاد النوبة فى جنوب مصر .

٢ ــ ان هذه الدولة المتراميـــة الأطراف التى ضـــمت أجناسا متباينة وشـــعوبا مختلفة ، كانت فى حاجة الى ادارة قوية تدبر أمرها وتسوس أحوالها على دعائم من الحق والعدل والحزم والعزم . وهى صفات عرفت عن عمر بن الخطاب واشتهر بها فى الأمصار أثناء خلافته .

فلما تولى عثمان بن عفان الخلافة سار على نهج سلفه فى أول الأمر فى ادارة شئون الدولة . ولكنه مع مرور الأيام انتهج سياسة أكثر تسامحا وخاصة فى الشئون المالية . فأغدق العطايا وأكثر من المنح والتوسعة على الناس بصفة عامة . وكان لأقاربه نصيب من تلك المنح وهو ما أثار القائمين على بيت المال فاعترضوا على صرفها وخالفوا أوامر الخليفة فامتنعوا عن الصرف . وكان له رضى الله عنه فى تلك العطايا وجهة نظر قال فيها : « منع عمر لله وأنا أعطى لله » ، فلم يتهم عمرا فى المنع ولم يتهم نفسه فىالعطاء ولكل وجهة هو موليها .

وفى الناحية الادارية اختلف أسلوبه أيضا عن سلفه لاختلاف شخصية عثمان الهادئة الوديعة عن شخصية عمر الشديدة الحازمة . فضلا عن انصراف عثمان الى العبادة والزهد تاركا شئون الدولة لمستشاره وابن عمه (مروان بن الحكم) المقيم بدار الخلافة فاستبد وأساء التصرف .

٣ ـــ اعترض الناس على هذه التصرفات المالية والادارية . ولكن الفتنة الشديدة نبعت فى كل مكان بسبب قيام عثمان بن عفان بتولية أقاربه من بنى أمية امارة المدن الهامة والأمصار مثل الكوفة ، بغداد ، المدينة ، دمشق ، ، مصر . وعدم مراقبته لهم ومتابعة تصرفاتهم ، وتغاضيه عن أخطائهم ممـــا شجع بعضهم على حب السيطرة والعنف بل والظلم . مستغلين طيبة الخليفة وتسامحه . غير عابئين بسلطانه عليهم .

طلب المعترضون على هذه التصرفات من الخليفة عزل الولاة الظالمين المستبدين فلم يوافق لأن فى اجابتهم انتقاصا لسلطانه ولأن ولاته كانوا موضع ثقته ، وأنهم أشد الناس اخلاصا له . ورفض كل نصيحة قدمت له فى هذا الشأن . واستمر فى تعيين من يشاء من أسرته التى تقدمت الصفوف بغير حق ، وسيطرت على كل شئون الدولة .

٤ ــ فامتلأت الصدور بالحقد . وأخذ الهمس يعلو رويدا رويدا . وكثر المعترضون وانضم اليهم أصحاب الشورى ، وكثير من الصحابة مثل أبو ذر الغفارى وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وغيرهم من قادة الجيوش الاسلامية ، وطالبوا بعزل الخليفة عثمان بن عفان .

استغل بعض أعداء الاسلام هذه الظروف العصيبة ، وأشعلوا نار الفتنة فى الكوفة والبصرة ومصر . ومن هؤلاء الأعداء (عبد الله بن سبأ) اليهودى الفارسى الذى ادعى الاسلام ليسىء للمسلمين . ودبر الحيلة والمكيدة لتحقيق أغراضه الدنيئة وأشاع الأكاذيب . انتقاما لهزيمة بلاده فارس على يد عثمان بن عفان .

٥ ــ أراد بعض الصحابة اصلاح الحال ، واحلال السلام محل الخصام . فشرحوا للناس مضار هذه الانقسامات بينما جيوش المسلمين فى حرب مع الأعداء . وأن كل خطأ يمكن اصلاحه بالتفاهم وحسن النية . وكان فى مقدمة المصلحين (على بن أبى طالب) الذى نصح كثيرا للخليفة (عثمان بن عفان) فكان يرتاح للنصح ولكن مروان كان يشككه ويعدل به عن قبوله . فحاول (على بن أبى طالب) مرة أخرى الوساطة وأرسل ابنه الحسن الى الخليفة ليحمل اليه شكوى الناس بناء عن طلبهم . فرفض الاستماع اليهوطالب منه عدم العودة اليه فى هذا الشأن .

وأمام هذه التيارات الشديدة المتعارضة التزم بعض الصحابة بيوتهم وتركوا الأمور تسير على غير هدى . ورحل بعضهم الى الأمصار واستقروا بها بعد أن كانوا ممنوعين من ذلك فى عهد عمر بن الخطاب . وقد طلب الثوار من الخليفة اعتزال الخلافة فتمسك ببقائه وقال : « لا أنزع قميصا ألبسنيه الله » .

وليس من المعقول أن يعيش الخليفة فى هذه الظروف القاسية بمنأى عن أهله ، ومعزل عن أنصاره الذين أحسوا بدورهم بما يتهدد الخليفة من ثورة عارمة . فالتفوا حوله للدفاع عنه ، وأقاموا

بجواره داخل داره للذود عنه . وأرسل (على بن أبى طالب) ولديه الحسن والحسين للوقوف بباب الخليفة والاسهام فى حراسته ضد الثائرين الذين حاصروا بيت الخليفة ، ومنعوا عنه الأكل والماء فكانت هذه الأشياء تنقل اليه سرا ليلا .

لم ييأس الامام على بن أبى طالب من ايجاد حل وسط بين الثائرين وبين الخليفة . وقام خطيبا فى الثائرين الذين تجمعوا من كل الأمصار فى المدينة ، وشرح لهم مغبة عملهم ، والنتائج الخطيرة التى ستلحق بالاسلام والمسلمين من جراء اعتداءاتهم على الخليفة . وكاد الامام على ينجح فى وساطته ، لولا أن الثائرين قد علموا بقرب وصـــول بعض الجند من عند ابن عم الخليفة (معاوية بن أبى سفيان) والى الشام وأكبر أنصاره للذود عنه والقضاء على الثائرين . وسمع الحجاج بالثورة ضد الخليفة فعطف بعضهم عليه ، واتجهوا الى بيته لانقاذه وفك الحصار عنه .

عندئذ اشتد الغضب فى نفوس الثائرين وأسرعوا بتسلق أسوار البيت واقتحموه وهجموا على الخليفة وهو صائم يتلو القـــرآن الكريم . وطعنوه عدة طعنات قاتلة ولم يرحموا شيخوخته التى بلغت الثانية والثمانين وكان أمر الله قدرا مقدورا . وتناسوا ماضيه العظيم فى خدمة الاسلام والمسلمين . وأحدثوا فى الاسلام فتنـــة لم يخمد أوارها حتى اليوم . وكانت وفاته فى السنة الرابعة والثلاثين من الهجرة النبوية الشريفة .

٦ ـــ انتهى عهد عثمان بن عفان بيد آثمة لم يعرف صاحبها أو شركاؤه فى الغدر والخيانة . وانتقل عثمان الى رضوان الله . كريما عند عارفى فضله . نقيا تقيا عند أنصـــار الحق والعدل . خالدا فى التاريخ الاسلامى الذى حفظ له أجل الأعمال . وأعظم البطولات . ومنها أنه بعد أن ولى الخلافة أخذ المصحف المحفوظ عند السيدة حفصـــة بنت عمر (زوجة المصطفى عليه الصلاة والسلام) منذ خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وأمر بنسخ ست مصاحف منه بمعرفة بعض الصحابة المشهود لهم بالكفاية والتقوى . ولما تم هذا العمـــل الضخم أرسل هذه المصاحف الى الأمصار لتكون المرجع الوحيد الصادق لجميع المسلمين . وأمر بحرق أية صحائف أخرى وبذلك جمع المسلمين فى المشارق والمغارب على مصحف واحد لا اختلاف بينهم فيه وتلك خدمة كبرى من خدماته تذكر له ولا تنسى أبدا . رحم الله سيدنا عثمان بن عفان رحمة واسعة جزاء ما قدم لأمته الاســـلامية وللانسانية كلها من خير وبركة .

٦٠ ـــ أمير المؤمنين على بن أبى طالب
٣٥ ـــ ٤٠ هجرية

أولا ـــ نشأته وحياته قبل استخلافه

١ ـــ نشأ على بن أبى طالب منذ صغره فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم حيث ضمه صلى الله عليه وسلم الى كنفه ليخفف عن عمه أبى طالب أعباءه . وعند ما أعلنت النبوة فرح (على) جدا وآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو أول من آمن من الصبيان وكان عمره لا يزيد عن عشر سنوات . وكان يصحب النبى الكريم فى غدوه ورواحه . وقد رآه والده مع النبى صلى الله عليه وسلم خارج مكة يؤديان صلاة لا يعرفها فسأل ابنه عنها ، فقال له انه آمن برسول الله ويصلى معه . فلم يمنعه أبوه من أدائها بل دعا له بالخير وتركه .

نشأ (على) منذ طفولته جريئا شجاعا ، وقد ظهرت تلك الشجاعة بأجلى مظاهرها فى تلك الليلة الليلاء التى اختارتها قريش لقتل النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته ليلا وهو نائم ، وأحاطوا بالمنزل احاطة السوار بالمعصم . وظنت قلوبهم الآثمة أن شبابهم الذين اختاروهم من بين القبائل لتنفيذ الجريمة سيتمكنون من الانقضاض على البيت الكريم وقتل صاحبه بطعنة واحدة من سيوفهم فيتفرق دمه بين القبائل . ولا يستطيع بنو هاشم الثأر منها فيقبلون فى قتيلهم الدية المالية . ولكن ربك كان لأعداء النبى صلى الله عليه وسلم بالمرصاد .

٢ ـــ وفى داخل البيت النبوى كانت هناك صورة أخرى جرت أحداثها بأمر الله سبحانه وتعالى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقد أوحى الله اليه بالهجرة فى تلك الليلة من مكة الى المدينة ، ولم يكن باقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة سوى أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب .

طلب النبى العظيم من الشاب الصغير على بن أبى طالب أن ينام فى فراش المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ويتغطى بردائه الأخضر . فقبل (على) هذه التضحية راضيا فخورا وهو يعلم أن النوم فى تلك الليلة يعرضه للقتل بسيوف الأعداء ، وأن الأمر جد لا هزل فيه .

واطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجاعة على بن أبى طالب واخلاصه للدين الحنيف الذى جعل منه رجلا قويا فى اهاب

الشباب ونضرة العمر . وخرج النبى صلى الله عليه وسلم من البيت ليلا وسار بين صفوف الأعداء المحيطين بالمنزل منتظرين لحظة الغدر والخيانة وظلوا فى أماكنهم حتى الصباح . ثم علموا من أحـد المارة أنه رأى النبى الكريم فى ناحية أخرى من مكة ، فأسقط فى أيديهم ودهشوا من أمرهم ووجدوا ترابا على رءوسهم . لأن النبى صلى الله عليه وسلم عند خروجه من البيت أخذ حفنة من تراب الأرض ووضعها على رءوسهم وهو يتلو من أول سورة يس الى قوله تعالى (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) . لم يصدق الأعداء ما قيل لهم ودخلوا البيت الكريم فوجدوا أن النائم كان عليا فخرجوا يجرون أذيال الخيبة والفشل . وكان الامام على كرم الله وجهه يفخر بهذه الواقعة ويقول :

فديت بنفسى خير من وطىء الثرى
ومن طاف بالبيت العتيـق وبالحجر

ثم أمضى على بن أبى طالب بمكة بضعة أيام أعاد فيها الأمانات المحفوظة عند النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابها ، ثم هاجر الى المدينة ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم عند قباء بالقرب من المدينة .

٣ ـــ هذه الشخصية الممتازة الفذة فى التاريخ الاسلامى قد أتت من صنوف الاعجاز والاعجاب ما يملأ قلوبنا بالحب والتقدير . فقد أتى على بن أبى طالب من ضروب الشجاعة فى الغزوات وميادين القتال فوق ما يتصور الانسان . كانت الحروب عند العرب تبدأ عادة بالمبارزة الفردية بين الشجعان والأبطال . ثم يلتقى الجمعان ويحمى وطيس القتال . فكان على بن أبى طالب أول من يتقدم من المسلمين للنزال والطعان حتى هابه الأعداء وتأكدوا من انتصاره . وقد أحصى بعض الصحابة أن عليا قتل أكثر من عشرين رجلا من صناديد المشركين الأقوياء . وتشهد غزوات بدر الكبرى وأحد وخيبر وغيرها بشجاعة الامام على واقدامه فى ميادين القتال ميادين الشرف .

كان على بن أبى طالب انسانا كاملا وعالما فقيها فى الدين ، امتاز بحسن البيان وفصاحة اللسان . تشهد كتبه وخطبه وأحاديثه ونصائحه التى بين أيدينا بعلو قدمه فى هذه الميادين . كان لطيف العشرة محبوبا من الصحابة أجمعين ، ولم يحاول أن يحظى بمكانة تزيد عنهم عند النبى صلى الله عليه وسلم الذى أحبه حبا جما وقال عنه (من كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) . وقد هنأه

سيدنا عمر بهذا النطق النبوى الكريم وقال له : « هنيئا لك يا أبا الحسن فقد صرت مولى كل مؤمن » .

٤ — ولما بلغ الثالثة والعشرين من عمره أخذ يفكر فى اختيار شريكة حياته وبناء عش الزوجية ، ولكنه لم يكن يملك شروى نقير . فكيف السبيل وهو على تلك الحال من قلة المال . كان يرنو بقلبه قبل بصره الى فاطمة الزهراء بنت النبى صلى الله عليه وسلم . فهل يستطيع أن يتقدم لخطبتها ؟

وجد التشجيع الطيب من أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب حين عرفوا بأمره ودخيلة نفسه ، فذهب (على) الى الرسول الكريم ليخطب فاطمة ولكنه لم ينطق بأى حرف وتلعثم لسانه وهو الفصيح ، وظل صامتا والخجل مرسوم على جبينه والأدب الجم فى عينيه . فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وشجعه لأنه أحس بمطلبه ، وأشار عليه أن يبيع درعا كان كسبها فى غزوة بدر ليدفع من ثمنها صداق ابنته . فاشتراها عمر بن الخطاب من (على) بأربعمائة درهم ليسهل له موضوع الزواج ثم أهداها اليه .

ان هذا القائد العظيم الذى شهد له الاسلام بطولات خالدة كان ينام ليلا على حشية من ليف ، وعاش كثيرا على التمر والماء . ولم يستطع أن يستأجر خادما لمنزله حتى تعبت زوجته وكلت سواعدها وصبرت بايمان لعلمها بظروفه المالية .

وبالرغم من ظروفه المعيشية وفقره الواضح أرادت احدى القبائل أن تزوجه احدى بناتها ووقع اختيارها على بنت عدو الله عمرو بن هشام (أبى جهل) . فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم بهذا النبأ ذهب الى المسجد وأعلن عدم رضاه عن هذا الزواج الا بعد طلاق ابنته . سمع على بن أبى طالب ذلك فى المسجد فرجع الى البيت واعتذر لفاطمة الزهراء وعادت المياه الى مجاريها . ولم يتزوج بغيرها فى حياتها .

٥ — ونظرا لفطنة على بن أبى طالب وحسن تصرفه أرسله النبى صلى الله عليه وسلم مرارا قائدا للسرايا ، فكان فارسا مغوارا وكان يعود دائما وعلى رأسه أكاليل الغار . أرسله الى اليمن ليرضى خواطر الناس التى اهتاجت من تصرف أحد القادة المسلمين فأرضاهم الامام على ودفع لهم الدية وأجزل لهم العطاء .

ثم كرمه النبى صلى الله عليه وسلم وأرسله الى مكة بصدر سورة التوبة (التى نزلت عند العودة من غزوة تبوك) ليلحق بأبى بكر — وكان أميرا للحج فى السنة التاسعة من الهجرة — ويسير معه الى منى ويعلن للناس أنه قد حرم على المشركين دخول المسجد الحرام والطواف بالكعبة والحج بعد تلك السنة . وقد رأى الرسول الكريم أن يتولى أحد أفراد أسرته هذا التبليغ .

وقد اختار النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أخا له عندما آخى بين المهاجرين والأنصار وقال له : « أنت أخى » . ويا له من شرف عظيم . وقد خرج المصطفى عليه الصلاة والسلام من المدينة لاحدى الغزوات وترك عليا بها للاشراف على بيته وشئون أسرته فبكى على وقال يا رسول الله تخلفنى على النساء والصبيان وأحرم من جهاد الأعداء ؟ فطيب صلى الله عليه وسلم خاطره وقال له : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبى بعدى » .

٦ — أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب لسجاياه العديدة وفضائله الممتازة . فهو أول من آمن به من الصبيان وضحى حياته من أجله ليلة الهجرة . وبارز المشركين فى الغزوات وقاد السرايا ومن أبطال بدر الكبرى وأحد ثم زاد الحب العميق بسبب آخر . حب صادق نشارك النبى صلى الله عليه وسلم فيه . ونأنس به وتسعد به قلوبنا جميعا . حب تلألأ فى عيون المصطفى صلى الله عليه وسلم حين احتضن أحفاده الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وهؤلاء أبناء على وبناته من السيدة فاطمة الزهراء . وحمل صلى الله عليه وسلم سبطيه الحسن والحسين على كتفيه وذهب بهما الى السوق . وكان فى الصلاة يطيل السجود حتى ينزل الحسن والحسين عن ظهره .

ان أحفاده من فاطمة وعلى امتداد لحياته عليه الصلاة والسلام فكيف لا يحبهم وتكون لهم هذه المنزلة عنده وقد ارتبط قلبه بهم ودعا لهم ولأحبابهم من المؤمنين .

٧ — وعندما مرض النبى صلى الله عليه وسلم المرض الأخير واشتد عليه الألم عاد الى بيت عائشة رضى الله عنها مستندا الى على بن أبى طالب الذى ظل بجواره ليلا ونهارا ، حتى أذن الله الى حبيبه المصطفى بالانتقال الى جواره الكريم ، وصعدت الروح الطاهرة الى بارئها .

قام على بن أبى طالب مع بعض الصحابة باعداد القبر فى الحجرة التى كان ينام فيها النبى صلى الله عليه وسلم . واشترك (على) معهم فى غسل الجثمان الطاهر وسنده الى صدره ودلكه بيديه .

وبعد انتقال النبى عليه الصلاة والسلام الى الرفيق الأعلى ببضعة أشهر توفيت ابنته فاطمة الزهراء . فتزوج الامام على من أمامة ابنة السيدة زينب الكبرى شقيقة فاطمة الزهراء . وتزوج أيضا من أسماء بنت عميس أرملة أبى بكر الصديق . وقد أنجب الامام على كثيرا من الأبناء وهم : العباس وجعفر وعبد الله وعثمان ومحمد وأبو بكر . وكانوا أعوانا له مع أخويهم الحسن والحسين فى حروبه ضد الأعداء .

ثانيا — أعماله أثناء خلافته

١ — اجتمع المهاجرون يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ورشحوا أبا بكر الصديق خليفة لرسول الله ، واجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ورشحوا سعد بن عبادة ، واجتمع بعض الصحابة ومعهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة الزهراء ورشحوا على بن أبى طالب . ورأى الامام على أنه أحق الناس بالخلافة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعماله الجليلة فى الاسلام وشجاعته فى الغزوات ، فضلا عن أنه زوج ابنته فاطمة الزهراء .

ولكن اجماع الصحابة انعقد على البيعة لأبى بكر الصديق لمكانته السامية من رسول الله . فهو أول من أسلم من الرجال ، وصاحب النبى الكريم فى الغار وفى الهجرة الى المدينة ، وعندما اشتد المرض على النبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يصلى بالمؤمنين فى المسجد النبوى وكانت تلك اشارة باستخلافه .

وقد رضى الامام على عن هذا الوضع وبايع أبا بكر الصديق بالخلافة بعد بضعة أيام واعتذر له عن تأخره . واعتقد الامام على أن الخلافة آتية لا ريب فيها بعد أبى بكر فصبر . ولكن أبا بكر قبل وفاته استخلف عمر بن الخطاب وبايعه الصحابة ومعهم على بن أبى طالب .

وعند مقتل عمر طلب اليه المسلمون أن يستخلف أحد الصحابة فتردد فى أول الأمر ثم وافق للصالح العام ، وأوصى أن تكون الخلافة لأحد أصحاب الشورى المبشرين بالجنة ومن بينهم عثمان بن عفان

وعلى بن أبى طالب . وانعقد اجماع المسلمين عليهما وبايعوا عثمان لكبر سنه .

وعند ما قتل عثمان رضى الله عنه لم يستخلف أحدا . وكان على بن أبى طالب أقوى الشخصيات وقتئذ فبايعه المهاجرون والأنصار وانضم اليهم الثائرون ضد عثمان وكانوا قد احتلوا المدينة منذ قاموا بقتله فترة من الزمن بقيادة الغافقى أحد قادة الثورة ، وكانوا هم عندئذ الحكام الحقيقيين . وأجبروا الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله على البيعة للامام على بعد أن امتنعا عن ذلك لمنافستهما له على الخلافة .

وامتنع بنو أمية بزعامة معاوية بن أبى سفيان بن عم عثمان بن عفان ووالى الشام عن البيعة للامام على ، وبدأت بذور الفتنة تسرى فى نفوسهم .

٢ — ولى الخلافة على بن أبى طالب سنة ٣٥ هجرية وهو فى الثامنة والخمسين من عمره زادته الآيام حكمة وخبرة وتجربة . أراد أن يحقق فى مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فمنعه الثائرون . فرأى من الحكمة تأجيل هذا التحقيق فترة من الزمن حتى تهدأ الأحوال وتستقر الأمور وينمحى الرعب الذى ساد المدينة عاصمة الدولة .

الح المطالبون بدم عثمان بزعامة معاوية بن أبى سفيان بسرعة التحقيق فى مقتله والقاء القبض على القتلة وتقديمهم للمحاكمة . وانقسم المسلمون فى المدينة والأمصار بالنسبة لهذه القضية ، واشتد النزاع مما أدى الى الفتنة .

وقد رأينا عند الحديث عن عثمان بن عفان كيف حاول الامام على التوفيق بين عثمان وبين خصومه الذين خرجوا عن طاعته لأسباب اعتنقوها . خطبهم الامام على ونصحهم مرارا وبين لهم مضار أعمالهم على الاسلام وعلى الدولة الاسلامية الناشئة ونهاهم عن الاعتداء على عثمان . وأرسل ابنه الحسن الى عثمان ليرفع له شكاية الناس بعد أن نصحه شخصا فلم يستمع له . وأرسل ولديه الحسن والحسين لحماية عثمان والدفاع عنه وحراسة بيته ضد الثائرين الذين حضروا الى المدينة من كل مكان . وكان الامام على صادقا فى كل تصرفاته وبذل من الجهود المضنية كل ما استطاع .

لم يستطع الامام على أمام الظروف القاسية المحيطة والخلافات الشديدة بين المسلمين أن يحقق مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ورأى تأجيل القضية فترة يسيرة . فاتهمه بنو أمية باهماله موضوع التحقيق بل زادوا نكرا واتهموه بالتحريض على قتل عثمان . وهذا ادعاء كاذب لم يثبت مطلقا . وأخلاق الامام على وتقواه وورعه فوق الشبهات . ولكن هوى النفوس أعمى البصائر عن الحق ونفخ المغرضون فى نار الفتنة فاشتد لهيبها وصلى المسلمون بحرها وما زالوا يصلون حرها الى اليوم ، ونعوذ بالله من الفتن ظاهرها وباطنها.

أصبح الامام على فى موقف حرج ، والظروف من حوله تشتد وتضطرب . وتحول التراشق والاتهامات من اللسان الى السلاح ، وبدأت الحروب الداخلية ، وأخذ المسلم يقتل أخاه المسلم ، وظهرت العصبية الجاهلية التى قضى عليها الاسلام .

٣ ــ لما ولى الخلافة على بن ابى طالب عزل الولاة الذين عينهم سلفه عثمان بن عفان وطالبهم باعادة الأموال التى صرفت لهم ظلما . ومنع الأعطية والمنح التى كانت تصرف من بيت المال ، واستغنى عن مشورة الصحابة . وقد تسببت هذه الأعمال فى زيادة خصومه . نصحه بعض الصحابة أن يؤجل عزل الولاة حتى تهدا الأحوال فلم يقبل ايمانا منه بعدالة تصرفه وكراهة الاستعانة فى الحكم بالفاسدين حتى استشهد بقوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين عضدا) .

اعتمد على بن ابى طالب فى ادارة شئون الدولة على نفسه لأنه فقد الثقة فيمن حوله . وأعاد الى الأذهان عهد عمر بن الخطاب واتجه الى الشدة بدلا من اللين الذى ساد أيام عثمان بن عفان . ولكن الامام على لم يقدر أن الظروف قد تغيرت . فعمر بن الخطاب بايعه جميع الصحابة والمسلمين ولم يتخلف منهم أحد ، وكانوا وحدة واحدة لم تعرف الانقسام والعداء فيما بينها ولمتكن نفوسهم تستشرف للدنيا وزينتها كما وقع فى خلافة أمير المؤمنين عثمان وازداد على مر الأيام .

وأما الامام على فقد ولى الخلافة فى ظروف عصيبة اكتنفها الانقسام، وساد فيها الاضطراب . ولم يفز فى البيعة باجماع الصحابة والمسلمين اعتذر عن البيعة سعد بن أبى وقاص من أصحاب الشورى فقبل الامام اعتذاره . وامتنع عن مبايعته بعض الصحابة مثل عبد الله بن عمر وعبيد الله بن عمر .

سخط الامام (على) على عبيد الله بن عمر لامتناعه عن البيعة وأراد أن يعيد محاكمته لقتله الهرمزان وجفينة وابنة أبى لؤلؤة الذين قتلوا والده . مع أن عثمان بن عفان قد دفع الدية من ماله الخاص لأهالى القتلى وعفوا عن عبيد الله بن عمر . فاعادة المحاكمة بعد اثنى عشرة سنة لم تجد قبولا من بعض الصحابة واضطر عبيد الله أن يفر من المدينة الى الشام وانضم الى معاوية فعينه قائدا لاحدى فرق الجيش الذى أعده لمحاربة على بن أبى طالب .

٤ — اتخذ معاوية بن أبى سفيان من مقتل عثمان ذريعة للخروج عن طاعة الامام على وعدم الاعتراف بخلافته ، وتظاهر بالمطالبة بالتحقيق مع قتلة عثمان . ولكنه فى الحقيقة كان يعمل لحسابه الشخصى وطمع فى الخلافة مع علمه بأنها ليست من حقه لأنه كان من الطلقاء الذين وقعوا فى قبضة النبى صلى الله عليه وسلم وأطلقهم يوم فتح مكة ولا يجوز لهم أن يلوا الخلافة لتأخرهم فى الاسلام . فقامت منافسة معاوية للامام (على) على الأنانية وحب الذات واستغلال الظروف القاسية والأحوال المضطربة .

أغدق معاوية المال والعطايا لأهل الشام استغلالا لضعف نفوسهم فنال تأييدهم وبايعوه خليفة . وكون منهم جيشا كبيرا للزحف على المدينة ، وأرسل رسله بالمال والأمانى الخادعة لبعض المسلمين فى البصرة والكوفة والمدينة ، واشترى من ذوى النفوس الضعيفة ضمائرهم ، وأغراهم بالنزوح الى الشام والانضمام اليه .

انضمت السيدة عائشة رضى الله عنها الى طلحة والزبير وكانا من المطالبين بدم عثمان وتقديم القتلة للمحاكمة ، وقد طلبوا اليها أن تكون أداة اصلاح بين المتخاصمين باعتبارها أم المؤمنين ، وحرضها على ذلك ابن أختها أسماء (عبد الله بن الزبير) الذى تبنته وطمع فى الخلافة وطلب من والده الزبير بن العوام أن ينقض بيعته للامام على . ولم تكن السيدة عائشة رضى الله عنها تتوقع أن يصل الأمر الى القتال العنيف الذى وقع ولكن القدر غلب على تقديرها .

٥ — ساءت العلاقة بين الامام على وبين السيدة عائشة والتف حولها بنو أمية استغلالا لمكانتها بين المسلمين ، وحضرت مع جيش طلحة والزبير موقعة (الجمل) ضد على بن أبى طالب الذى انتصر عليهم . كانت موقعة شديدة قتل فيها كثير من المسلمين من الجانبين وساد الحزن بين الجميع . وبعد المعركة اطمأن الامام على بنفسه على عائشة وأعادها الى المدينة معززة مكرمة .

وقبل المعركة حاولت السيدة أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تمنع السيدة عائشة من الاشتراك فى ذلك الخلاف فلم تنجح وبررت السيدة عائشة اشتراكها باصلاح ذات البين حيث دعيت لذلك ، ولكن السيدة عائشة وهى التقية الفقيهة الورعة حين رأت ما انتهى اليه الأمر من القتال المرير — على غير ما كانت تتوقع — ندمت أشد الندم على خروجها للعراق وظلت طول حياتها يلازمها الندم وتبكى كلما تذكرت تلك المعركة وتقول ليتنى مت قبل ذلك اليوم بعشرين عاما .

وبعد معركة الجمل استعد الامام على بجيش كبير سار به الى الشام فتقابل مع جيش معاوية عند (صفين) على نهر الفرات . والتحم الجيشان وانتصر على بن أبى طالب . فلجأ معاوية الى الحيلة التى أشار بها عمرو بن العاص وأمر الجند برفع المصاحف على الرماح طالبين الاحتكام الى كتاب الله .

وخداع رجال الامام على بهذه الحيلة الماكرة وسكتوا عن الحرب وقبلوا مبدأ التحكيم وبصرهم الامام بهذه الخدعة ولكنهم لم يسمعوا لنصحه وأصروا على قبول التحكيم . اختار جيش الامام على أبا موسى الاشعرى وكان الامام على بن أبى طالب يريد أختيار ابن عمه عبد الله ابن عباس ليقابل بذكائه دهاء عمرو بن العاص الذى اختاره معاوية وذلك لضعف شخصية الأشعرى . ولكن أنصار الامام أصروا على اختيار أبى موسى فتمكن عمرو من خديعته كما سنرى .

اجتمع المندوبان واتفقا فيما بينهما سرا على خلع على بن أبى طالب ومعاوية . وعندما اجتمعا أمام الناس قال عمرو لأبى موسى تقدم أنت لكبر سنك وأعلن خلع على ومعاوية ففعل ذلك بحسن نية . ثم وقف عمرو بن العاص وأعلن موافقته على خلع على بن أبى طالب وتثبيت معاوية خليفة للمسلمين على غير ما اتفق عليه مع أبى موسى . فضاع النصر فى موقعة (صفين) من يد على بن أبى طالب بسبب تلك الخدعة الماكرة وهى التحكيم .

٦ — استمرت الاضطرابات والمصادمات والحروب الداخلية طوال خلافة الامام على ولم يشعر بالاستقرار . وعجز عن ادارة الدولة الاسلامية المترامية الأطراف ، وقوى خصومه واستمر معاوية فى مهاجمة البلاد والأمصار واستولى على مصر وأصبح من القوة والمنعة بحيث فشلت كل قوة وقفت فى طريقه .

وبالرغم من هذه المنازعات والحروب الدامية بين المسلمين فان الامام على بذل كل ما استطاع للمحافظة على الدين الحنيف وتنفيذ مبادئه السامية ، والاحتفاظ للخلافة بنظام البيعة . وأما معاوية فقد أغرته الدنيا فسعى اليها حثيثا وفكر فى الملك وأهبته . وأغرى النفوس الضعيفة بالمال والمناصب . وبلغ من سلطانه أنه فى موسم الحج أرسل من قبله أميرا للحج (وهذا اعتداء صارخ على سلطة الخليفة الشرعى الامام على) . وأعاد بعض الولاة الى ولاياتهم فدخلوها وطردوا الولاة التابعين للامام على .

وأما ما كان يتذرع به معاوية من المطالبة بدم عثمان والبحث عن القتلة فقد اختفى ، ولم يفكر فيه ثانية وهو يؤيد ما قلناه آنفا من أنه استغل عواطف الناس ومشاعرهم نحو الخليفة القتيل وأثارها ضد الخليفة الشرعى على بن أبى طالب ليصل معاوية الى أغراضه الحقيقية وأهدافه المستترة . وأصبح معاوية خليفة بالقوة على الشام ومصر . والامام على خليفة بالحق والعدل على المدينة والبصرة والكوفة .

كثرت بين على ومعاوية المكاتبات والرسل رجاء التفاهم فيما بينهما والوصول الى حل يرضى الطرفين فلم يمكن . وأخذت الدول القوية المجاورة تراقب الأحوال المضطربة فى الدولة الاسلامية الناشئة لعلها تفيد من هذا الاضطراب وتستغله لصالحها .

٧ — وأثناء المنازعات بين على ومعاوية ظهرت جماعة الخوارج وأعلنوا خروجهم عن طاعة الامام على وناصبوه العداء . فحاربهم فى موقعة (النهروان) وانتصر عليهم وقتل كثيرين منهم ومعظمهم من أهل العراق . ولذلك امتنع العراقيون عن نصرته ضد معاوية بالرغم مما بذل لهم من نصح وارشاد . استمعوا له بآذانهم ولم تؤمن قلوبهم وتقاعسوا عن الاشتراك فى جيشه .

اشتد الضيق بالخوارج لهزيمتهم فى موقعة (النهروان) فاجتمعوا واتفقوا على انقاذ البلاد من الفوضى والخلاص من الزعماء المختلفين وهم : على بن أبى طالب ، معاوية بن أبى سفيان ، عمرو بن العاص والى مصر من قبل معاوية .

اختار المتآمرون من الخوارج بعض الأشخاص لتنفيذ القتل على الوجه الآتى :

(أ) عبد الرحمن بن ملجم الحميرى لقتل على بن أبى طالب .

(ب) البرك بن عبد الله التميمى لقتل معاوية بن أبى سفيان .
(ج) عمرو بن بكر لقتل عمرو بن العاص .

اتفق المتآمرون على أن يتم القتل فى صلاة الصبح من اليوم السابع عشر من رمضان سنة ٤٠ هجرية . نجح عبد الرحمن بن ملجم فى قتل الامام على . ضربه على رأسه وهو يدعو الناس للصلاة فمات ودفن بالكوفة . وطعن البرك بن عبد الله التميمى معاوية بالسيف فلم يصب منه مقتلا . وذهب عمرو بن بكر الى مصر ليقتل عمرو بن العاص ، ونفذ الجريمة فى الموعد المحدد فى صلاة الفجر . ولكن القدر لعب دورا كبيرا لأن عمرو بن العاص اعتذر عن الصلاة بالمسجد لمرضه وأناب عنه خارجة بن حذافة العدوى ليؤم المصلين ، فقتله عمرو بن بكر على أنه عمرو بن العاص . وقيل ان عمرو بن العاص علم بوجود عمرو بن بكر فأوجس خيفة وراقبه بشدة . ونتيجة لهذه المؤامرة لم يقتل سوى الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وبموت الامام على خلا الجو لمعاوية بن أبى سفيان وأخذ البيعة عنوة من المسلمين فى المدينة والكوفة والبصرة ، وحول الخلافة الى النظام الملكى واستخلف ابنه يزيد بالقوة ، وحارب الحسن بن الامام على ودس له السم .

وفى عهد اليزيد استشهد الحسين واخوته العباس ، جعفر ، عبد الله ، عثمان ، محمد ، أبو بكر فى يوم واحد وذلك فى معركة كربلاء المشئومة فى ١٠ محرم سنة ٦١ هجرية حيث أرسل يزيد جيشا لقتال الامام الحسين وكان رضى الله عنه قادما الى الكوفة بدعوة من أهلها ليبايعوه بالخلافة . واستشهد معهم فى نفس اليوم خمسة من أحفاد فاطمة الزهراء وهم : على الأكبر وعبد الله (ولدى الحسين) ، عبد الله ، أبو بكر ، القاسم (أولاد الحسن) . وانتهت أيام (يزيد) بعد أربعة سنوات قضاها فى الضلال والفساد . وانتهى الملك الذى سعى اليه أبوه ظلما وعدوانا ليستأثر به بيت أبى سفيان .

٨ — هذه بعض جوانب شخصية البطل الاسلامى المغوار على بن أبى طالب ، قدمناها فى كلمة موجزة وتحليل واضح لحياته الطاهرة ومكانته الممتازة بين صفوف المؤمنين ، وبينا ما احتمله بشجاعة طوال حياته فى سبيل عقيدته ومؤازرته الصادقة منذ اللحظة الأولى للنبى صلى الله عليه وسلم فى نشر الدين الاسلامى .

ان على بن ابى طالب أول من آمن بالمصطفى عليه الصلاة والسلام دون الحلم ، وأول من صلى معه سرا فى الخلاء عند ظهور النبوة . ان الامام على لم يعرف اللهو واللعب وأفنى حياته منذ صباه فى سبيل الله . انه الكوكب اللامع فى سماء الاسلام والنموذج الكامل والمثل الأعلى الأصيل الذى نقدمه لشبابنا داعين لهم بالتوفيق فى طاعة الله والعمل بكتابه سبحانه وتعالى وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ويرحم الله أمير الشعراء شوقى اذ يخاطب الامام عليا بقوله :

ان غاب ملك الأرض عنك من ملك   يا طول ملك فى السماء تم لك

٦١ ــ حمزة بن عبد المطلب

لقد اعتز الدين الحنيف باسلام حمزة بن عبد المطلب . وفرح به النبى صلى الله عليه وسلم وقربه اليه . وهو عمه فى النسب وأخوه فى الرضاعة من ثويبة جارية أبى لهب مع ابنها (مروح) قبل أن يرضع من حليمة السعدية . وقد أبلى حمزة فى الاسلام بلاء حسنا . وكان تقيا صالحا وشجاعا جريئا . وكان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا جما ويلازمه فى كل مكان .

ومن طريف ما حدث لحمزة قبل الاسلام انه كان عائدا ذات يوم من الصيد . فاستوقفته احدى النساء وأخبرته بما حدث لابن أخيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من اعتداء ابى الحكم (أبى جهل) وما وجه اليه من الفاظ قاسية نابية . وأن النبى الكريم لم يرد عليه مطلقا . وأنها رأت وسمعت ما حدث بنفسها . فغضب حمزة وأسرع الى الكعبة حيث وجد أبا جهل جالسا مع أصحابه وأقاربه . فهجم عليه حمزة هجمة قوية وضربه حتى شج رأسه وقال له (أتعتدى عليه وأنا على دينه) . فأراد ذووه الانتصار له ضد حمزة فمنعهم أبو جهل معترفا بذنبه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم .

ان هذه الحادثة تعطى لشبابنا صورة طيبة ونموذجا ممتازا للشجاعة والاقدام والانتصار للحق . وهى واحدة مما حفل به التاريخ الاسلامى من بطولات تجل عن الحصر . وبمثل هذه الروح الشجاعة اشترك حمزة فى الغزوات وخاصة فى غزوتى بدر الكبرى وأحد . وقد بارز فى الأولى (شيبة بن ربيعة) للتقاليد العربية فى الحروب فقتله . واشترك مع على بن أبى طالب فى الاجهاز على أخيه (عتبة بن ربيعة) . بعد أن قتل (على) (الوليد بن عتبة) . وذلك قبل أن يلتحم الجيشان . وانتهت المعركة بأول وأكبر انتصار للمسلمين فى ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة .

وقام حمزة أيضا بدوره العظيم فى غزوة أحد فقتل (أرطأة بن عبد شرحبيل) ثم قتل (سباع بن عبد العزى) . واستمر فى مهاجمة المشركين . ولكن الحقد كان له بالمرصاد . اذ قامت (هند بنت عتبة) زوجة (أبى سفيان بن حرب) بتحريض شاب حبشى (مولى جبير بن مطعم) يدعى (وحشى) على متابعة (حمزة) فى معركة أحد وقتله انتقاما منه . كما وعده سيده بعتقه اذا نجح فى مهمته . ومن المؤسف أنه قد نجح وقتل حمزة وترك وحشى بعد قتله حمزة المعركة لأنه لا حاجة له بها . وقد بلغ من حقد (هند بنت عتبة)أنها مرت بين القتلى حتى وجدت جثة حمزة فبقرت بطنه وأخرجت كبده ولاكتها فلم تقدر عليها فلفظتها . وسميت منذ ذلك الوقت باسم (آكلة الأكباد) وهى أم معاوية ابن أبى سفيان بن حرب .

وقد حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمقتل حمزة . وقال لأصحابه ان جبريل عليه السلام قد أخبره أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهــل السموات السبع . وقال ان حمزة أسد الله وأسد رسول الله . رحمه الله رحمة واسعة وأفسح له فى جنته . وأعلن المسلمون الثأر من المشركين والتمثيل بقتلاهم انتقاما لما فعلوه بجثة حمزة رحمه الله . فأنزل الله فى ذلك قوله تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) . سورة النحل آية ١٢٦ ــ ١٢٨ .

٦٢ ـ بعض أعداء الاسلام

(أ) أبو لهب بن عبد المطلب

(ب) أم جميل بنت حرب بن أمية

(جـ) أبو جهل (عمرو بن هشام)

(د) النضر بن الحارث

(هـ) الوليد بن المغيرة وآخرون

(و) أبى بن خلف

(ز) العاصى بن وائل السهمى

(ح) عبد الله بن أبى بن سلول

بعض أعداء الاسلام

(أ) أبو لهب بن عبد المطلب

لقد تعمد بعض الناس ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم . والتصدى لرسالته الالهية امعانا منهم فى الكفر والعناد . ولو استمعوا لصوت الحق لاهتدوا واستقاموا . ومن العجيب أن أبا لهب عم المصطفى عليه الصلاة والسلام كان يحب ابن أخيه كثيرا منذ طفولته . وقد أعتق الجارية التى أبلغته نبأ ولادته . وظلت علاقات المودة مستمرة بينهما . وكانا متجاوين فى المسكن . وكان اسم أبى لهب (عبد العزى) وقبيل النبوة بقليل تمت المصاهرة بينهما وتزوج ولداه عتبة وعتيبة من رقية وأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكن بمجرد أن اعلنت النبوة انقلب (عبد العزى بن عبد المطلب) الى عدو شديد العداوة للنبى صلى الله عليه وسلم . وانضمت اليه فى تلك العداوة زوجته (أم جميل بنت حرب بن أمية) حتى أنهما أرغما ولديهما على طرد زوجتيهما السيدتين رقية وأم كلثوم امعانا فى مضايقة الرسول الكريم . ولكن كان بعدهما عن بيت المشركين وهما مسلمتان من فضل الله عليهما وقد عادا الى بيت أبيهما وقد عوضهما الله خيرا حيث تزوجت السيدة رقية من عثمان بن عفان ، ولما ماتت تزوج رضى الله عنه بأختها أم كلثوم ، وعثمان رضى الله عنه من السابقين الأولين .

(ب) أم جميل بنت حرب بن أمية

انها اخت أبى سفيان وعمة معاوية . كانت تضع القاذورات أمام بيت النبى صلى الله عليه وسلم . وتلقى بالأشواك فى طريقه . وقد وصفها القرآن الكريم بأنها (حمالة الحطب) . وعندما نزلت سورة (المسد) فى حقها وحق زوجها (تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد) . استشاطت غضبا وذهبت الى المسجد فى مكة للاعتداء على النبى صلى الله عليه وسلم . وأخذت تتوعد باعتدائها على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم عادت أدراجها وخرجت من المسجد . فتعجب أبو بكر لأنه كان جالسا بجوار النبى الكريم وكيف أنها لم تره . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قد أعماها عنه . وقد ظلت أم جميل وزوجها فى عداوتهما للاسلام وكراهيتهما للرسول العظيم . الى أن ماتا على الشرك والعياذ بالله .

(جـ) أبو جهل (عمرو بن هشام)

هو عمرو بن هشام ويكنى بأبى الحكم . لم يعهد التاريخ رجلا امتلأ قلبه بالحقد على الاسلام والمسلمين مثل هذا الرجل . كان متعاليا جبارا . لا يعرف الشفقة أو الرحمة . يقتل من يشاء ويحبس من يشاء . قتل بيده من المسلمين الأوائل (سمية) بعد تعذيبها ووضعها فى قربة من المـــاء . فكانت أول شهيد فى الاسلام . ثم قتل زوجها ياسر بعد تعذيبه معها أيضا . فكان ثانى شهيد فى الاسلام . وقد تم ذلك أمام ابنهما عمار . وكان على وشك أن يقتله كذلك . لولا أن تدخل بعض الناس وصرفوه عن قصده . وقد انتهى أمر أبى جهل بأن قتل فى غزوة بدر الكبرى شر قتله جزاء وفاقا .

(د) النضر بن الحارث

كان ينتظر خروج النبى صلى الله عليه وسلم من المسجد ويجلس مكانه . ويتحدث الى الناس أحاديث جوفاء عن ملوك فارس وغيرهم مدعيا العلم والمعرفة . ويقول عن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم (بأنها أســـاطير الأولين) . فأنزل الله فى حقه فى القرآن الكريم (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الأولين) . سورة القلم آية ١٥ . كما جاء بشأنه أيضا فى سورة الفرقان (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض انه كان غفورا رحيما) . آيات ٤ ـــ ٦ .

(هـ)

الوليد بن المغيرة   امية بن خلف
الأسود بن عبد المطلب   عقبة بن أبى معيط
عبد الله بن الزبعرى   الحارث بن الطلاطلة
الأخنس بن شريق   الأسود بن عبد يغوث

هؤلاء الأعداء كانوا يعترضون طريق النبى صلى الله عليه وسلم أثناء طوافه بالكعبة الشريفة . واقترحوا عليه أن يعبدوا الله سنة . على أن يعبد معهم أصنامهم سنة أخرى . وهكذا بالتوالى . وبذلك يقتسمون العبـــادة بينه وبينهم . فيفيدون من دينه . ويفيد هو من دينهم . فرفض النبى صلى الله عليه وسلم هذه الترهات . قال تعالى فى حقهم (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين) . سورة الكافرون من ١ ـــ ٦ .

(و)أبى بن خلف

امسك بقطعة عظم بالية وفتتها بأصابعه ونثرها فى الهواء أمام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وسأله مستنكرا هل تبعث هذه القطعة من العظم مرة أخرى . فأنزل الله فى حقه الآية الكريمة (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) . سورة يس آية ٧٨ .

(ز) العاص بن وائل السهمى

كان يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انه رجل أبتر لاعقب له . وعندما يموت ينقطع ذكره . فأنزل الله تعالى جل شأنه (انا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . ان شانئك هو الأبتر) . سورة الكوثر آيات ١ — ٣ .

وهذه الآيات ترضية من الله الى رسوله الكريم بما أعد له من الجنة كما اخبره بأن عدوه العاص بن وائل هو الأبتر الذى لا عقب له ولاذكر وأن مصيره جهنم وبئس القرار . أما النبى صلى الله عليه وسلم فذكره يملأ الآفاق وجميع المسلمين أولاده .

(ح) عبد الله بن أبى بن سلول

كان زعيم المنافقين بالمدينة . كان يتظاهر بالاسلام نهارا ويعلن الكفر ليلا . كان يتعمد احراج النبى صلى الله عليه وسلم أثناء الغزوات . ويعمل على هزيمة جيش المسلمين وذلك بالانسحاب ومعه أتباعه سرا . وبدون أسباب حقيقية . سوى الانتقام لنفسه لأن دخول الاسلام الى المدينة أفقده الزعامة والرئاسة التى كان على وشك أن يتولاها . مع أن الاسلام لم يبعده ولم يبخل عليه . بل أعطاه مركزا مرموقا . ولكن نفسه الأمارة بالسوء كانت تسيطر على عقله . فأفقدته الوعى والصواب . وحرمته لذة الايمان . وقد قتل شر قتلة .

وقد أنزل الله تعالى سورة المنافقين فى حق عبد الله بن أبى بن سلول وجميع المنافقين . قال تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) . آية : ١ .

فماذا أفاد هؤلاء جميعا وغيرهم من عداوتهم الشديدة للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين . غير غضب الله والخزى والعار فى الدنيا . ونار جهنم فى الآخرة وبئس المصير . لقد عمى الأسود بن عبد المطلب . ومات الأسود بن ياغوث بمرض عضال . وقتل الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمى والحارث بن الطلاطلة .

الفصل الثانى عشر

أخلاقه وصفاته صلى الله عليه وسلم

٦٣ ـ الطفولة والشباب

يستطيع كل منصف أن يرى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم منذ ولادته . بل وقبل ذلك لأنه لم يكن عبئا على أمه حيث لم تجد منه ألما أثناء حملها به كما تجد غيرها من النساء . رضع بعد وضعه فى بنى سعد ، أرضعته السيدة حليمة ولعب مع أطفالها ورعى معهم الغنم . أحست تلك الأسرة الفقيرة بالسعادة وزيادة الخير والبركة فى بيتها لوجوده عندها . ولولا خشيتها عليه لما أسرعت باعادته الى أمه فى الرابعة من عمره فصيح اللسان قوى البنيان .

عاش مع أمه سنتين بعد عودته من بنى سعد ثم مع جده عبد المطلب سنتين أخريين ثم كفله عمه أبو طالب بعد موت عبد المطلب . وقد تعلق بعمه ذات يوم ليذهب معه فى تجارته الى الشام وهو فى الثانية عشرة من عمره .

وهنا نقف قليلا لنرى أخلاق الفتى فى هذه السن التى يبدأ عندها النضج الحسى والمعنوى للشباب . ويقال فى علم النفس (ان الرجل طفل كبير) . أى أن الرجولة امتداد للطفولة ، وأن الطفولة الى حد ما عنوان لمستقبلها .

فماذا نرى ؟ نرى شابا هادئا وديعا لا يألف ألعاب الشباب ولا يتعرى مثلهم ، ولا يلهو لهوهم ولا يشرب الخمر ولا يعرف النساء . فأرجو من شبابنا أن يدرسوا الرسول الكريم **شابا** قبل أن يدرسوه **نبيا** ليحذوا حذوه ويتبعوا مثاله . ان شبابه عليه الصلاة والسلام كان مرآة صادقة للسمو والكمال الانسانى .

وحين تقدم به العمر وذهب مع أعمامه الى الكعبة ورأى الأصنام وما قدموا لها من قرابين وذبائح واحترام وتقديس . لم يشترك معهم فى شىء من ذلك . وقد لفتوا نظره الى موقفه من آلهتهم فلم يزدد الا احتراما لرأيه واصرارا عليه بأنها لا تضر ولاتنفع ، وانها اذا وقعت انكسرت وتهشمت ، ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها شيئا .

وظل على حاله من كراهيته لها دون أن يجرؤ أحد من أهله أو غيرهم على أن يجبره على عبادة الأوثان والأصنام أو التقرب اليها . وهذا موقف انفرد به الرسول صلى الله عليه وسلم دون سائر الناس .

٦٤ ـ الصدق والأمانة والشخصية الممتازة

اشتغل بالتجارة مع عمه ثم عمل أجيرا كوكيل فى مال السيدة خديجة بنت خويلد . واشتهر بالصدق والأمانة حتى سمى (الأمين) فى الجاهلية فى كل أنحاء مكة وغيرها . كان أمينا فى الكيل والميزان . كان أمينا فى المعاملات .

كان أمينا فى التعبير عن تجارته باللفظ الكريم والقول الرصين . كان نموذجا للتاجر المستقيم الخلق . وكانت أرباحه أكثر من غيره . لم يحاور ولم يفاضل ولم يلجأ الى أية وسيلة غير مشروعة . احتقر الغش والخداع والالتواء ، ولم يقلد غيره من التجار ذوى النفوس الوضيعة ، ولم يستخدم الأموال فى الربا والقروض الفاحشة التى اشتهرت وانتشرت بين العرب فى الجاهلية ، وكانت عندهم أمرا عاديا لا يمس الشعور ولا يجرح الضمير .

وكان جميع الناس يضمرون له المحبة والتقدير والاحترام لشخصيته الممتازة . ورحابة صدره . وصدق قوله . وبعد نظره . وأصالة رأيه . وقد قرأنا فى الفصول السابقة من هذا الكتاب كيف احتكمت اليه القبائل التى أوشكت الحرب أن تندلع فيما بينها بسبب (الحجر الأسود) . وكيف أعاد اليها السلام بحسن تصرفه ووضع الحجر الأسود فى ردائه وطلب أن تمسك كل قبيلة بطرف ففعلوا ذلك .

هذا الحل البسيط لمشكلة دقيقة والنفوس من حولها ثائرة غاضبة يدل على ذكاء نادر وفكر عميق . لم يفطن اليه شيوخ العرب وكهولهم . ومثل هذه الأحداث لها صداها وأثرها البعيد فى المجتمع .

٦٥ ــ عزوفه عن التقاليد والعادات البالية

عاش العرب حياة بسيطة ولكنها كانت خاضعة لتقاليد موروثة وعادات لها عليهم سلطان قوى . وليس من اليسير أن يتخلوا عنها فى يوم وليلة بل لقد كان من العسير اقتلاعهم عنها . فهم مغرمون بالخمر والميسر والأزلام ، ولم يعرفوا عن التجارة الا أنها الربح بأية وسيلة مشروعة أو غير مشروعة . وعاش بعضهم حياتهم الخاصة مغمورين باللهو والمجون والموسيقى والنساء .

فى تلك البيئة نشأ محمد بن عبد الله وعاش مع الناس أربعين سنة قبل النبوة ولكنه لم يحفل بعاداتهم ولم يتأثر بتقاليدهم ولم يتبعها مطلقا . لم يذق الخمر ولم يعرف مجالس اللهو ومخالطة النساء ، عاش بينهم طاهر النفس والجسد . وقد شهد بذلك الأصدقاء والأعداء فى كل مكان وزمان . تحدث بعض المستشرقين عن شخصيته واستقامته واعتبروا أن السبب الأول فى نجاح الدين الاسلامى يرجع الى صفات النبى صلى الله عليه وسلم وسمو أخلاقه وقوة شخصيته التى كانت تأسر الوافدين عليه ، وتلفت نظر كل من اختلط به أو عاش معه .

ومما يؤسف له أن بعض الناس تحدثوا عن تعدد زوجاته وعن حبه للنساء، والزواج لا يتعارض مع النبوة لأن النبى انسان من حقه أن يعيش حياته كرجل . أما ما افتات عليه أعداؤه فى تعدد زوجاته فهو زعم باطل ووهم تخيلته

عقولهم ولا حقيقة له . فانه تزوج فى الخامسة والعشرين من عمره من سيدة تكبره بنحو خمسة عشر سنة وهى السيدة خديجة بنت خويلد وكانت رضى الله عنها ثيبا وتزوجت قبله مرتين . لم يذكر أى مؤرخ حتى من الأعداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قد عرف أية امرأة قبلها أو فى حياتها .

ويقرر الجميع أنه بالرغم من بلوغها عنده الشيخوخة فانه لم يفكر فى الزواج من غيرها فى حياتها ، وكان قادرا على الزواج مرة ومرات لو أراد أسوة بالبيئة العربية التى عاش فيها ، وكانت القبائل كلها ترحب به زوجا لبناتها فهو أكرمهم حسبا وأشرفهم نسبا . انه لم يفعل ذلك لأن أفكاره وعواطفه كانت مع رب العالمين الذى أعده لحمل الرسالة .

فمن الظلم أن يتحدث بعض الناس أنه عليه الصلاة والسلام كان مزواجا مسرفا يحب النساء مع أنه لم يتزوج فى شيخوخته الا من أرامل متقدمات فى السن لظروف دينية أو اجتماعية . وهؤلاء الأدعياء لم يقدموا — ولن يستطيعوا أن يقدموا — دليلا واحدا على ذلك الافك (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) .

٦٦ — شجاعة المؤمن

ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم تقاليد قومه وعاداتهم . ومع ذلك فانه عندما أعلنت النبوة ألقى فى وجوههم القفاز بقوة ، وطالبهم بالاسلام وهو ملة جديدة هزت مشاعرهم وحركت عقولهم . فآمن البعض واهتدى وكفر آخرون . ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة . لقد طلب منهم الرسول الكريم :

١ — الايمان بالله الواحد الأحد .

٢ — الايمان برسوله محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

٣ — الايمان بالبعث والحساب والحياة الأخرى وما فيها من جنة للصالحين ونار للطالحين .

٤ — المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات وأنه لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى .

٥ — الزكاة وهى حق للفقراء فى مال الأغنياء .

٦ — تحريم الخمر والزنا والميسر والربا .

٧ — الصدق والأمانة فى التجارة .

دهش المشركون عند سماعهم هذه المطالب الحقة ، وحاول بعضهم مقاومة الدين الحنيف وأنصاره بالايذاء والارهاب والتخويف والمقاطعة وغير ذلك . ولكنهم خضعوا فى النهاية صاغرين وخاصة يوم فتح مكة وانضموا الى المؤمنين بفضل صمود النبى صلى الله عليه وسلم وشجاعته واحتماله الخطوب والآلام فى الدعوة الى الاسلام ونشره بين الناس . وكان يبشر الصابرين بأن لهم الجنة فالتفوا حوله وآمنوا به وناصروه حتى كتب للاسلام النصر المبين ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا . فكانت شجاعة الرسول الكريم عاملا أساسيا فى نجاح دعوته الى الله سبحانه وتعالى .

ومن طريف ما حدث أن أحد الناس حضر الى مكة ليعلن اسلامه . فلما علم أن الاسلام يحرم الخمر عاد الى بلده ليشبع منها على أن يعود فى العام التالى ويسلم . ولكنه مات .

٦٧ — تواضعه وزهده

كان النبى صلى الله عليه وسلم متواضعا لا يميز نفسه عن أصحابه . كان يجلس معهم فى المسجد فى أى مكان فلا يعرفه القادم من بينهم بالرغم من شخصيته القوية التى تألقت فبهرت الناس ، وأخذت بمجامع القلوب . كان يقابلهم جميعا بلا تكلف ويرفض أن يقفوا له أو يقبلوا يده . انه لم يعرف مظاهر الرياسة وأبهة السلطان ولم يفاخر بحسبه ونسبه بل جعل التفاضل بالعمل الصالح . ولكنه ازداد بتواضعه لله وقارا وتقديرا حتى كانت طاعة أصحابه له مضرب الأمثال . وكانت قريش تتحدث عن ذلك وتقول (اننا لم نعرف حبا كحب أصحاب محمد لمحمد) .

شارك بنفسه فى بناء المسجد النبوى بالمدينة وحضر مع أصحاب الخندق وقبل دعوة الحر والعبد . وحضر أفراحهم وأحزانهم بنفس سمحة وقلب عطوف . أحب الأطفال وداعبهم وخاصة أحفاده الحسن والحسين وحملهما على كتفيه وذهب بهما الى الأسواق دون أن يرى فى ذلك أية غضاضة . كان يطيل السجود أثناء صلاته حتى ينزل الحسن أو الحسين عن ظهره .

وأحب الفقراء وأشركهم معه فى طعامه وأحسن لجاره ولو كان يهوديا وكان يجير من استجار به من غير المسلمين ويسمعه كلام الله ويبلغه مأمنه .

كسفت الشمس يوم وفاة ابنه الطفل الصغير (ابراهيم) فقال بعض الناس انها معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبل عليه الصلاة والسلام هذا القول وذهب الى المسجد وقال لهم (ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت أحد أو لحياته . فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وصلوا وتصدقوا) .

وأما عن زهده فقد عاش فقيرا ومات فقيرا . وكان فراشه من حشو الليف وأكثر طعامه من التمر وخبز الشعير حتى لقد ضجرت زوجاته ذات مرة من هذه المعيشة الخشنة الفقيرة وطالبنه بزيادة النفقة والتوسعة عليهن ، ودافع الله عن رسوله الكريم فأنزل قوله تعالى (يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) . فأدركن أنهن أمهات المؤمنين ورضين بحياتهن سعيدات بها .

وتتحدث السيدة عائشة رضى الله عنها عن تلك المعيشة الزاهدة فتقول (أنه كانت تمضى الشهور دون أن توقد النار فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنهم كانوا يعيشون على الأسودين : التمر والماء) . وأما ابنته فاطمة الزهراء فقد عاشت مع زوجها على بن أبى طالب فى فقر مدقع وعوز شديد . ولم تستطع أن تستخدم احدى السبايا فى خدمة البيت بل تولت تلك الخدمة بنفسها .

ولو أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يعيش فى سعة من العيش لاستطاع . لكنه كره الاسراف والتبذير والترف وضرب لأصحابه المثل الكامل لحياة المؤمنين فعاشوا مثله . وليس معنى ذلك أنهم حرموا أنفسهم من متاع الدنيا أو حرموا ما أحل الله . بل عاشـــوا حياة كريمـــة لا عوج فيها ولا اسراف . قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الله قائلا (اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا . واحشرنى فى زمرة المساكين) .

وفى ذلك تسلية لضعفاء المسلمين وفقرائهم وهم الأكثرية . وكان صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسهم من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم » . وكان صلى الله عليه وسلم لا يكره أن يكون المال فى يد الصالحين من المؤمنين فكان يقول : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » . وانما كان صلى الله عليه وسلم يخشى أن يطغى المؤمن بالمال فينفقه فى معصية الله كما يفعـــل أكثر الأغنياء بكل أسف وهو كفران لنعمة الله . وشـــكر النعمة يقتضى ألا يعصى المؤمن ربه بها .

٦٨ ــ خبرته الحربية

لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم اماما هاديا فى السلم فقط بل كان له من الخبرة العسكرية فى الفنون الحربية مايفوق الوصف . فكان يقـــود الغزوات ويختار المواقع الصالحة ويوزع الجنود ، ويخطط للمعركة ، ثم

يهاجم أو يدافع تبعا للظروف . وكان من شجاعته الحربية أن يهاجم العدو فى عقر داره ، وأن يفاجىء الأعداء قبل أن يتجمعوا لقتاله .

وقد يتعقبهم حتى بعد انتصارهم كما حدث فى صبيحة معركة (أحد) ليظهر قوة المسلمين ، وعدم خوفهم أو استكانتهم لنصر العدو فى تلك المعركة بسبب خروج بعض الجنود على أوامر النبى القائد حين تركوا أماكنهم المخصصة لهم لأخذ نصيبهم من الغنائم .

وكان من عادة النبى صلى الله عليه وسلم عند اية غزوة ألا يخبر أحدا بمكانها امعانا فى السرية . وزيادة فى الحيطة حتى لاتتسرب الأنباء الى الاعـــداء عن طريق اليهود والمنافقين . فكان يعلن عن مكان ويذهب الى مكان آخر قائلا لأصحابه (ان الحرب خدعة) . كان يرسل رسله الى جيوش الأعداء والقبائل المتحالفة ضده للوقوف على خططهم ، والكشف عن نواياهم وكسر حدة تحالفهم ، واستخدام الحرب النفسية ضدهم كما يحدث حاليا فى الحروب الحديثة .

ومع ذلك لم يكن ليستقل برايه بل كان يستشير الصحابة فى كل أمر لم ينزل به حكم الله . حدث فى احدى الغزوات أن اختار النبى صلى الله عليه وسلم موقعا ليعسكر فيه الجيش . فتقدم منه أحد الصحابة وسأله عما اذا كان ذلك الاختيار بأمر من الله أو هو الرأى والحرب والمكيدة . فلما أجاب الرسول الكريم بأنه الرأى والحرب والمكيدة ، اقترح هذا الصحابى مكانا آخرا أفضل منه من الناحية العسكرية ، فوافق النبى صلى الله عليه وسلم وانتقلوا اليه وثبتت فعلا أفضليته .

من دراسة الغزوات التى قام بها النبى صلى الله عليه وسلم لرد الأعداء والتصدى لقريش واعتداءاتها نجد أن الغزوات اعتمدت على فضائل معينة انتصر بها الجيش الاسلامى الصغير على جيوش الأعداء مهما كان عددها وعتادها . هذه الفضائل الأساسية والمبادىء السامية لنصرة الجيش الاسلامى تتلخص فيما يأتى :

(أ) الايمـــان :

الايمان بالله وبرســـوله وبالحق والعدالة وحرية العقيدة . ان الجنود البواسل لم يتركوا العبادة حتى فى أشد المواقف ، وآمنوا بأن الاستشهاد فى سبيل الله سبيلهم الى الجنة والرضوان . ولذلك كانوا يحاربون بحماس قلوبهم قبل أسلحتهم .

(ب) النظـــام :

المظهر الصـــادق لحسن نظام الجيش يدخل الرهبة والرعب فى قلوب الأعداء . حدث عند فتح مكة أن أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن تمر الكتائب أمام ناظرى أبى سفيان عندما حضر لمقابلة الرسول العظيم موفدا من قريش . وهى خطـــة (تكتيكية) بارعة . مرت الكتائب متلاحقة ولكل كتيبة قائدها وعلمها ، الى أن مرت الكتيبة الخضراء التى أحاطت بالنبى صلى الله عليه وسلم . فذهل أبو سفيان مما رأى وأسرع الى مكة ليعلن لأهلها بأنه لاقبل لهم بجيش المسلمين لقوته وحسن نظامه ، فاستسلمت قريش بدون حرب ودخل النبى الكريم مكة ظافراً منتصرا . لم يدخل الجيش من جهة واحدة بل أمر النبى القائد أن تدخل الكتائب من جهات متفرقة حددها لها .

(جـ) الطـــاعة :

لقد كان لطاعة الجند للقيادة أكبر الأثر فى النصر ، وأحسوا بالخطأ فى غزوة أحد عندما خالف بعض الجند عن غير قصد أوامر القيادة فهزموا .

هذه دروس مستفادة من الغزوات للمسلمين فى كل عصر ، وفى كل مكان ليعملوا بها وينهجوا على منوالها . لأن الجندى يجب أن يتخلق بحب الله وحب الوطن ، وأن يتجمل بالنظام والطاعة فى كل وقت وخاصة أثناء المعركة. فالغزوات الاسلامية لاتقرأ على أنها أحداث تاريخية وحروب عادية للفتح والقهر والاستعمار . ان تلك الغزوات قد تمت لأسباب دينية ، اضطر اليها المسلمون للدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم ضد المشركين واليهود والمنافقين.

ولذلك يجب قراءة الغزوات خاصة من الشباب على أنها قمة من قمم المجد الاسلامى ، وعلم من أعلام الدين الحنيف . كانت تبدأ الغزوة عادة بالمبارزة الفردية أمام الجيشين فكشفت عن أبطال صناديد فى صـــفوف المسلمين جمعوا بين التقى والورع وبين الشجاعة والاقدام أمثال على بن أبى طالب ، حمزة بن عبد المطلب ، خالد بن الوليد ، أسامة بن زيد وغيرهم. وقد تولى أسامة رضى الله عنه وهو دون العشرين قيادة الجيش بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فخر لشباب المسلمين .

٦٩ ـــ القلب الكبير

ان النصر فى الغزوات وفتح مكة وازدياد قوة المسلمين ، وانتشار الدين الحنيف فى كل مكان . كل هذه الأمور لم تدخل الزهو والخيلاء فى صدر النبى

صلى الله عليه وسلم . بل اتسع قلبه الكبير للصــفح والعفو . صفح عن قريش وكانت تتوقع العقاب حين فتح مكة فقال لهم (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، وعفا عمن أساءوا اليه والى المسلمين . عفا عن هبارة بن الأسود الذى تعرض لابنته زينب عند هجرتها من مكة الى المدينة وتسبب فى نزف دمها حتى ماتت بالمدينة بعد حين متأثرة بذلك .

عفا عن هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان التى شقت صدر حمزة بن عبد المطلب بعد موقعة (أحد) ، وأخذت كبده ولاكتها بأســنانها فعرفت باسم (آكلة الأكباد) وهى أم معاوية .

وعفا عن الأنصار حين ظنوا أنه عليه الصلاة والسلام قد أغدق العطايا على المهاجرين لأنهم أهله وعشيرته . فلما عرفوا الحقيقة وأنه أعطاهم تأليفا لقلوبهم حيث كانوا حديثى عهد بالاسلام بكوا واعتذروا عما بدر منهم. قال لهم عليه الصلاة والسلام (ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟) . فرضوا وطابت نفوسهم بعودة رسول الله معهم الى المدينة .

هذه بعض شمائل النبى صلى الله عليه وسلم وبعض صفاته ومآثره دونتها بقدر مايتسع المقام ، حيث لايتسنى فى كتاب محدود أن يلم المؤلف أو يكتب كل شىء عن رسول الله . وانما هى نماذج صادقة يستطيع أن ينتفع بها المؤمنون فى كل أطوار حياتهم وخاصة الشباب الناهض الذى يجب أن ينهل من هذا النبع النبوى الصـــافى الذى ليس له مثيل على مر العصور والدهور .

وماذا فى الوجود أكرم من حياة النبى صلى الله عليه وسلم الخاصة والعامة . فى دعوته وخلقه وصفاته وجهاده وعطفه وبره . انه المثل الكامل لكل مؤمن . فاللهم اجعل حبه ملء قلوبنا وشفاعته من نصيبنا . وسنته هادية لنا ياأرحم الراحمين . وصلى الله على ســيدنا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

الفصل الثالث عشر

حجة الوداع والانتقال الى الرفيق الأعلى

٧٠ ــ حجة الوداع .

٧١ ــ مرض النبى صلى الله عليه وسلم .

٧٢ ــ الانتقال الى الرفيق الأعلى .

٧٣ ــ التجهيز والدفن .

٧٠ ـ حجة الوداع

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه بعض نسائه والصحابة وذهب الى مكة قاصدا الحج فى أواخر شهر ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة النبوية الشريفة . بعد وصوله الى مكة ذهب الى منى وبات بها وفى اليوم التالى (وهو يوم جمعة) التاسع من شهر ذى الحجة ذهب الى عرفات حيث خطب خطبة عرفت فى التاريخ الاسلامى باسم (خطبة الوداع) بين فيها عليه الصلاة والسلام كثيرا من أصول الدين ، وهى خطبة جامعة مانعة جاء فيها (أيها الناس : اسمعوا قولى فانى لاأدرى لعلى لاألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس : ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا . وكحرمة شهركم هذا . وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . وقد بلغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها) .

وجاء بها أيضا (أما بعد . أيها الناس : فان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه أن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم . أيها الناس : ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما . ليواطئوا عدة ماحرم الله . فيحلوا ماحرم الله ويحرموا ماأحل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض . وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) .

(أما بعد . أيها الناس : فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لايأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان لايملكن لأنفسهن شيئا ، وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فانى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا : كتاب الله وسنة نبيه) .

(أيها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟) فقال الناس (اللهم نعم). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اللهم أشهد) .

وقدنزلت آخر آية من القرآن الكريم فى حجة الوداع بعرفات . قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا). سورة المائدة آية ٣ .

بعد خطبة الوداع قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وبين للمسلمين رمى الجمار والطواف بالبيت وكل ما يتصل بشئون الحج . وهى الحجة الوحيدة التى أداها النبى صلى الله عليه وسلم .

أوضح النبى الكريم فى خطبة الوداع أشياء كثيرة هامة فى حياة المسلمين، وشرح مسائل فى غاية الدقة . وذكر لهم أنه قد يلتقى بهم فى عرفات ، وحضهم على احترام الأشهر الحرم وأوصاهم بالنساء خيرا ، واتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فلا يضلون أبدا . وهكذا رسم لنا النبى صلى الله عليه وسلم الطريق القويم طريق الايمان واليقين .

٧١ — مرض النبى صلى الله عليه وسلم .

عاش النبى صلى الله عليه وسلم حياة خصبة ملؤها الايمان والعمل الصالح ليلا ونهارا ، حيث قضى ثلاثة وعشرين عاما فى جهاد مستمر لنشر الدين الحنيف فى الجزيرة العربية وخارجها . وقد عاش حتى رأى الأمة الاسلامية قد توطدت أركانها وارتفعت راياتها فى كل مكان بالجزيرة وسرت أخبار الدين الاسلامى فى جميع الأمصار . وأصبح ذكر الاسلام على كل لسان ، والتفكير فيه فى كل عقل سواء آمن به أو لم يؤمن . ان الدخول فى الاسلام عن طريق الدراسة والفهم والنظر والروية يجعل الايمان صادقا قويا ، وهو السبيل لأن يستقر الدين فى القلب عقيدة واضحة لاتزعزعها الأهواء ولاينال منها أقوال المنافقين وأكاذيب اليهود المخادعين .

حمل النبى صلى الله عليه وسلم على كتفيه أعباء هذا الجهاد المضنى بما اكتنفه من متاعب وآلام وايذاء . حمل المسئولية وحده وقام بالشرح والتفسير والتعليم للصحابة وغيرهم من أفراد ووفود ، وهو الأمى الذى لم يقرأ ولم يكتب باعتراف واقرار جميع الذين عاشوا معه وزاملوه وصاحبوه منذ الطفولة الى آخر أيام حياته . حتى من عادوه لم يصل بهم الكفر والعداوة

الى أن يتهموه بالكذب والبهتان وادعاء معرفته القراءة والكتابة . الا أن بعض الأعداء زوروا عمدا كتبا نسبوها اليه وأنه كتبها بخط يده ولكن هذا الافتراء لم يجز على البسطاء بل أثبت التحليل العلمى بالاضافة الى التاريخ وشهادة الصحابة وغيرهم كذب هذا الادعاء وانتهى الى أن تلك الكتب مـــزورة .

ان اليهود الذين حرفوا كلام الله وكتبوه بأيديهم لبيعه بثمن بخس دراهم معدودة لا يستبعد عليهم تزوير كتاب ونسبة تحريره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخط يده . لوذهب النبى الكريم فى طفولته أو شبابه الى مدرسة أو معلم لوجدنا له أقرانا يعترفون بذلك . ولوجدناه فى خروجه بالتجارة الى الشام مع عمه وفى مال السيدة / خديجة رضى الله عنها ملما بالقراءة والكتابة أو مجيدا لها ولكنه لم يقرأ ولم يكتب ، وصـــدق سبحانه اذ يقول (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون) .

أدعى الأعداء أن النبى الكريم كان ملما بالقراءة والكتابة وانه فى خلوتهفى غار حراء قرأ الديانات السابقة وأساطير الأولين وكتب الأقدمين وأنه صاغ منها الدين الجديد . وزاد افتراؤهم فقالوا انه عليه الصلاة والسلام كتب القرآن فى ذلك الغار قبل اعلان النبوة . وهذا افتراء كاذب وادعاء باطل لاأساس له من الصحة .

فقد عاش النبى صلى الله عليه وسلم مع العرب وتحدث معهم واستمعوا اليه فما سمعوا منه قولا قبل النبوة كالذى سمعوه منه بعد النبوة . وقد كان يشعر بالجهد حين ينزل عليه الوحى ويتصبب عرقا حتى فى الشتاء . وأحس منحوله بتلك الانفعالات الشديدة التى لم تظهر عليه من قبل فى أى يوم من الأيام . وبعد نزول الوحى نطق بكلام له حلاوة وله طلاوة ، وله تأثير خاص عميق فى نفوس الناس جميعا . كلام اختلف تماما عن الكلام المعتاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم . كلام سما بأسلوبه ومعنـــاه ومبناه عن كلام جميع العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة .

انه القرآن الكريم الذى تحداهم أن يأتوا بسورة منه فعجزوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . وكان الوحى ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيت وفى الطريق وعند العودة من الغزوات وهو راكب على ناقته حتى ان الناقة لم تستطع السير وأناخت فى مكانها للثقل الذى شعرت به فوقها ولم تحتمله .

لم يكتب النبى صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم فى غار حراء أو فى أى مكان آخر ولم يرتب موضوعاته كما زعموا . ان أسلوب القرآن الكريم ودقته وأحكامه أعجزت العرب عن وصفه وتعريفه . أقاموا الندوات وتبادلوا الرأى فيما بينهم بشأن القرآن الكريم ، فقال فصحاؤهم (انه ليس بشعر ولا نثر . انه سحر) .

لقد مرت قرون عديدة على القرآن الكريم فماذا نجد ؟ نجد اللفظ الكريم والتعبير السليم . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . انه كلام الله الخالق العظيم .

شرح النبى صلى الله عليه وسلم للصحابة ما أغلق عليهم فهمه من القرآن الكريم . كان يقرأ القرآن مع جبريل عليه السلام مرة كل عام ، وقرأه معه فى العام الأخير مرتين . ان هذا الجهاد العقلى والنضال الفكرى طوال هذه السنوات بمكة والمدينة كون أمة اسلامية تدين للنبى الكريم بالعرفان والولاء ، ولرب العالمين بالشكر والثناء ، لأنه تعالى هدانا صراطا مستقيما ، وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وان الأمة الاسلامية اليوم تقوم قومة رجل واحد لاستعادة مكانتها بجدها واجتهادها واسهامها فى الحضارة الانسانية فى كل أرجاء الدنيا كلها كما فعلت من قبل .

ان هذا الجهاد المستمر للنبى الكريم كان من ورائه اجهاد . فقد احتمل جسمه الشريف فوق طاقته على الرغم مما كان يتحلى به منذ الشباب من القوة والفتوة . انه كان يصرع الرجال فى حلبة الرياضة ولكن السن تقدمت والأعباء تراكمت بعد دعوة مسالمة لنشر الاسلام وغزوات لصد الأعداء وليس للفتح والقهر والسيطرة كما فعل القادة والأباطرة . غزوات اشترك فيها الملائكة بأمر الله القدير اكراما لنبيه الكريم . جنود لم يرها الناس ولكن أحسوا آثارها وجنوا ثمارها .

أحس النبى الكريم بالمرض يقترب منه فى أوائل شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة النبوية الشريفة . وطلب أن يصبوا على رأسه الماء من سبع قرب من آبار مختلفة وذهب الى المسجد عاصبا رأسه وقابل أحبابه المؤمنين وتحدث اليهم وأوصاهم بالايمان والاستمساك بالعروة الوثقى . وأشار اليهم من طرف خفى بأنه قد اختار جوار ربه الكريم . قال لهم : (ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ماعنده فاختار ماعند الله) . ففهم أبو بكر الصديق المقصود من هذه العبارة وبكى لما فهم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيفارق الدنيا الى الرفيق الأعلى .

صعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له . ثم تحدث الى الناس عن حملة كان قد أعدها لمحاربة الروم مرة أخرى بقيادة أسامة بن زيد . وشجعهم على المشاركة فيها اعلاء لكلمة الله . وحدثهم أيضا عما سمعه من بعض شيوخ المسلمين عن اختيـــاره لاسامة بن زيد قائدا لهذه الحملة وهو حدث صغير السن . وفيهم رجال من ذوى المكانة والخبرة . فاقتنعوا ووعدوا بالانضمام الى الجيش . وخاصة بعد أن سمعوا منه صلى الله عليه وسلم أن أسامة له ثأر عند الروم . لأن أباه قد قتل فى معركة مؤتة حين كان قائدا لجيش المسلمين بعد أن قتل جعفر بن أبى طالب .

ثم عاد النبى صلى الله عليه وسلم الى بيته مستندا الى على بن أبى طالب . الفضـــل بن العباس بن عبد المطلب . وفى البيت حاولوا تطبيبه ووضعوا بعض الأدوية فى فمه . وأهرقوا على رأسه الماء . ولكن الرسول الكريم قد غمر واشتد عليه المرض . وكان فى بيت احدى زوجاته التسع اللاتى التففن حوله وأحطنه بكل رعاية . فاستأذن منهن فى أن يقيم فى بيت عائشـة رضى الله عنها . فوافقن جميعا عن طيب خاطر . وهن يعلمن أنها كانت أثيرة عنده لنشاطها وذكائها .

وفى بيت عائشة طلب أن يصلى أبو بكر بالناس . فصدع أبو بكر للأمر وذهب الى المسجد يصلى بالناس اماما . وأثناء الصلاة سمع أبو بكر همهمة خافتة بين المصلين وأحس بفرحة غامرة بين صفوفهم . عرف أن ذلك كان من أجل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم من باب بيته المطل على المسجد . وكان لاشراق وجهه على المسلمين سرور بالغ . فدخل النبى صلى الله عليه وسلم الهوينا وجلس عن يمين أبى بكر . فأراد أبو بكر أن يتخلى عن مكانه لرسول الله فأبى وصلى بجواره قاعدا . وهذا تكريم كبير من النبى صلى الله عليه وسلم لصديقه وحبيبه أبى بكر الصديق .

فى ذلك الصباح الباكر تحدث النبى صلى الله عليه وسلم الى الناس فقال (أيها الناس : ســعرت النار . وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم . وانى والله ماتمسكون على بشىء . انى لم أحل الا ما أحل القرآن . ولم أحرم الاما حرم القرآن) . فكان حديث وداع وكانت آخر كلماته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام للمؤمنين . وكان صوته واضحا قويا سمعه جميع الحــاضرين .

وزيادة فى تكريم أبى أبكر قال النبى صلى الله عليه وسلم للناس وهو على المنبر عاصبا رأسه لشدة مرضه : (انظروا هذه اللافظة فى المسجد .

فسدوها الا بيت أبى بكر . فانى لاأعلم أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه . فانى لو كنت متخذا من العبــاد خليلا لاتخذت أبا بكر خليــلا ، ولكن صحبة واخاء ايمان حتى يجمع الله بيننا عنده) .

قالت عائشة رضى الله عنها (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما أسمعه يقول : ان الله لم يقبض نبيا حتى خيره . فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول « بل الرفيق الأعلى من الجنة » . فقلت : اذا والله لايختارنا . وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : ان نبيا لم يقبض حتى يخير) .

عندما دخل النبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد فى الفجر وصلى قاعدا بجوار أبى بكر . فرح المسلمون جدا وظنوا أنه عليه الصلاة والسلام قد برىء وشفى من مرضه . واعتقد ذلك أيضا أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب . ولكن عمه العباس بن عبد المطلب كان له رأى آخر اذ رأى فى ملامح الرسول العظيم أمارات التعب الشديد . واجتمعت الأسرة والصحابة حول النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشـــة . يتطلعون الى وجهه المشرق المنير . ويتزودون من طلعته البهية . ويحاولون استماع أى لفظ يقوله أو يرون أية اشارة يشير بها .

٧٢ ــ الانتقال الى الرفيق الأعلى

سبحانك ربى لك الأمر من قبل ومن بعد . ذلك الصباح الذى ذهب فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم الى المسجد . وصلى قاعدا بجوار أبى بكر رضى الله عنه . وظن الناس أنه قد برىء وشفى . كان يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة النبوية الشريفة .

عاد الرسول الكريم الى بيته واضطجع واضعا رأســه على صــدر السيدة / عائشة ليستريح . ولكن ارادة الله ومشيئته قد اختارت الحبيب المصطفى ليصعد الى جوار خالقه الرحمن الرحيم . فتم صــعود الروح الطاهرة فى ضحى ذلك اليوم . فكانت تلك الصلاة بالمسجد ختام صلاته ونسكه على الأرض . وكان آخر لقاء عليه الصلاة والسلام مع المؤمنين وكانت آخر كلماته انه أوصى المهاجرين خيرا بالأنصار . لأنهم نصروه وآزروه وكانوا موضع ثقته ومحبته . وقال لهم عليه الصلاة السلام (يا معشر المهاجرين : استوصوا بالأنصار خيرا فان الناس يزيدون . وان الأنصار على هيئتها لاتزيد . وانهم كانوا عيبتى التى أويت اليها . فأحسنوا الى محسنهم . وتجاوزوا عن مسيئهم) .

وعن ذلك اليوم الحزين تحدثت السيدة عائشة فقالت :

« رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل المسجد . فاضطجع فى حجرى . فدخل على رجل من آل أبى بكر . وفى يده سواك أخضر . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فى يده نظرة عرفت منه أنه يريده . فقلت : يارسول الله . أتحب أن أعطيك هــذا السواك ؟ قال : نعم . فأخذته فمضغته حتى لينته ثم أعطيته اياه فاستن به كأشد مارأيته يستن بسواك قط . ثم وضعه . ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى . فذهبت أنظر فى وجهه فاذا بصره قد شخص . وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة . » فقلت : «خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق » . وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

« فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وفى دولتى. لم أظلم فيه أحدا . فمن سفهى وحداثة سنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو فى حجرى . ثم وضعت رأسه على وسادة . وقمت التدم مع النساء وأضرب وجهى » .

ذاع خبر انتقال النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى . فذهل الناس ولم يصدقوا النبأ . وفى مقدمتهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقد هدد أى انسان يقول بوفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم . ووقف بين الناس معلنا لهم هذا التهديد . واذا بأبى بكر يحضر ويدخل بيت عائشة مباشرة . فوجد النبى الكريم مسجى فى حجرته فكشف عن وجهه وقبله . ثم أعاد الغطاء الى مكانه وخرج الى الناس وعمر يخطب فيهم بأن الرسول لم يمت . فحاول أبو بكر أن يمنعه من الكلام فلم يستمع له .

فوقف أبو بكر بين الناس وخاطبهم قائلا (أيها الناس : انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت . ثم تلا الآية الكريمة : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعاقبكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) .

وهنا تنبه الناس وتنبه عمر الى حقيقة غابت عنه ولم يشعر الا حين سمع كلمة أبى بكر . وخيل اليه كأنه يسمع تلك الآية الكريمة لأول مرة . فثاب الى رشده وعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم قد اختار الرفيق الأعلى عند رب العالمين .

٧٣ — التجهيز والدفن

احتشد المسلمون فى المسجد وفى بيت عائشة رضى الله عنها . ثم دخل على بن أبى طالب ، العباس بن عبد المطلب ، الفضل بن العباس ، قثم ابن العباس ، اسامة بن زيد ، شقران مولى النبى صلى الله عليه وسلم وقاموا بغسل جسده الطاهر . وعليه قميصه . وكان على بن أبى طالب يسنده الى صدره ويقول (بأبى أنت وأمى . ما أطيبك حيا وميتا) .

ثم أخذ المسلمون يفكرون فى اختيار المكان المناسب للدفن . فاقترح بعضهم المسجد النبوى الشريف . وفكر آخرون فى مكان آخر . ولكن أبا بكر قد حسم الأمر حين قال انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ماقبض نبى الا دفن حيث يقبض) . عندئذ رفعوا فراش المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام . وحفروا تحته . ثم تولى انزال جثمانه الطاهر الى القبر : على بن أبى طالب ، الفضل بن عباس ، قثم بن عباس ، شقران الذى وضع فى القبر قطيفة كان يلبسها النبى الكريم . وأقسم ألا يلبسها أحد بعده .

رزىء الناس بهذا المصاب الجلل والخطب العظيم الذى يفوق الوصف . ويدق عن التصور . وهالهم الأمر كأنهم كانوا يعتقدون أن النبى صلى الله عليه وسلم لن يموت كسائر البشر . وهذا من شدة الحزن والألم . وتركت هذه الوفاة المؤمنين حيارى فى أمرهم . واشتد الجدل وكثرت المناقشات حول هذا الأمر . فأما من أوتى ايمانا صادقا . ووعيا سليما . فقد استمر على ايمانه بالله وبرسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما من ضعفت عقيدته واهتز ايمانه فقد أسرع الى الارتداد عن الاسلام ، وقد غاب ضميره وطاش صوابه . وكان الأمر يحتاج الى سرعة الحزم والعزم .

وحدث فى مكة أن بعض الناس حين علموا بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم أن تراجعوا عن ايمانهم . وظهرت منهم بوادر تدل على ذلك . فأسرع اليهم (سهيل بن عمرو) وقام فيهم خطيبا وشجعهم على الاستمرار فى دينهم الحنيف . وهدد المرتدين بضرب العنق . فتنبه الغافلون وصحت ضمائرهم وعادوا فرحين الى ايمانهم . وأما والى مكة (عتاب بن أسيد) فقد خاف واختفى من العيون حتى مرت المأساة بسلام ثم ظهر .

وأما فى المدينة فقد حدث عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن يدفن . أن انقسم المسلمون الى فرق مختلفة بالنسبة لاختيار من يخلف النبى العظيم . فجماعة المهاجرين ، جماعة الأنصار ، جماعة على بن أبى طالب . وكادت تحدث فتنة لولا حسن تصرف أبى بكر الصديق وعمر بن

الخطاب . فقد قابلا جميع الفرق . فالمهاجرون يؤيدون أبا بكر ، الأنصار يؤيدون سعد بن عبادة واجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة . وظل على بن أبى طالب فى بيته ومعه الزبير بن العوام ، طلحة بن عبيدالله يؤيدانه . وانتهى الأمر باختيار أبى بكر الصديق فى اجتماع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ثم تأيد ذلك فى اليوم التالى فى المسجد حين وقف عمر وطلب من الناس مبايعة أبى بكر الصديق فوافقوا جميعا من أنصار ومهاجرين وغيرهم ثم ذهبوا الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

دخل المسلمون أرسالا بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلوا عليه بدون امام . دخل الرجال ثم النساء ثم الأولاد . تم الدفن فى منتصف ليلة الأربعاء ١٤ ربيع الأول سنة ١١ هجرية .

الفصل الرابع عشر

الاسلام والأسرة والمجتمع

٧٤ ـ نشأة الأسرة

لقد جرت سنة الحياة منذ أقدم العصور أن يتزوج الرجل من امرأة وبعد فترة طالت أو قصرت يتم الانجاب ويولد للزوجين البنون والبنات . سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . وبمجرد أن ينمو الطفل ويصل الى طور الشباب يسعى بدوره الى الزواج والانجاب . وهكذا توالت الدورات وتوالى الانجاب وامتلأت الأرض بالناس من كل لون وجنس حتى ضاقت بهم . فهل المقصود من الزواج هذا الانجاب المستمر ؟ سواء عن وعى أو بدون وعى .

ان الحياة فى العصور القديمة . وعصور ماقبل التاريخ لم تعرف هذا الاسلوب من الزواج أى ارتباط الرجل بامرأة بعينها . أو ارتباط المرأة برجل بعينه . بل كانت حياتهم أقرب الى الحيوانات المنطلقة على سطح الأرض . ثم تطور الانسان ومر بالمعيشة فى الكهوف والخوف من الحيوانات المفترسة والرهبة من الرعد والبرق الى أن عرف النار مصادفة فانتصر بها على الحيوانات وأبعدها عن طريقه ثم أخضعها لمشيئته فركب ظهورها وأكل لحومها واستأنس بعضها . الى أن وصل فى تطوره الى عصر الكهرباء ثم عصر الذرة والالكترونات الذى نعيش فيه .

انه قد تقدم فى العلوم والفنون والآداب . وكشف بفضل الله كثيرا من حقائق الحياة . وعرف كثيرا من أسرارها . وانتفع من خواص الطبيعة المحيطة به فى بعض نواحيها . وشق الأرض ووصل الى باطنها وأفاد من ثرواتها . وصعد الى الفضاء ومشى على سطح القمر . ويحاول الوصول الى غيره من الكواكب . فهل تطور الانسان من حيث تكوين الأسرة بما يتناسب مع تقدمه العلمى والآلى ؟

فلننظر الى الجزيرة العربية فى الجاهلية . كيف كانت الصورة ؟ وكيف كانت الحياة ؟ يتزوج الرجل بامرأة أو أكثر بدون حساب وبدون حدود . يعمل وفق رغبته . يتزوج بمن شاء متى شاء . ليس له هدف من الزواج سوى اشباع الغريزة الجنسية وانجاب الأطفال لمساعدته فى رعى الغنم. وهو غير مستقر . انه ينتقل بأسرته أو بدونها من مكان الى آخر حيث الكلأ والعشب . وعندئذ يستطيع أن يتزوج فى كل مكان يصل اليه .

٧٥ ــ الاسلام وتطوير الأسرة

ثم أتى الاسلام فوجد بيئة مهلهلة . وتقاليد موروثة تفرض على الناس سلطانها . فالشاب يتزوج زوجات أبيه بعد موته كجزء من الميراث . ويتزوج أية امرأة تصادفه دون أن يفرق بين من يجوز له الزواج منها أو

لايجوز . واجه الاسلام هذا كله فكان لابد من تنظيم قائم على أسس سليمة. فبين حقيقة الزواج والمقصود منه . وبين قيمة المرأة بالنسبة للرجل . قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) . سورة الروم آية ١٢ .

وبذلك بدأ أسلوب الحياة فى الجزيرة العربية يتغير شيئا فشيئا . وبدأت نظرة الرجل للمرأة يحوطها الاحترام والتقدير . وبدأ يلمس قيمة اختيار الزوجة قبل أن يرتبط بها حتى يطمئن الى مستقبل طيب والى ذرية صالحة . قال عليه الصلاة والسلام (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) . وأصبح الزواج نوعا جديدا من الارتباط وصار له بالاسلام انظمة وحدود . ويحض الاسلام على زواج الصالحين .قال تعالى : (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله . والله واسع عليم . وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) . سورة النور : ٣٢ ، ٣٣ .

ومن ناحية أخرى حدد الاسلام المرأة التى يجوز أن يتزوجها الرجل. وحدد المرأة التى لايجوز له التزوج منها . فالمرأة التى ترتبط بالرجل عن طريق القرابة القريبة مثل الأم والأخت والعمه والخالة لايحل له الزواج منها . ولذلك حرم عليه بعض النساء كما ورد فى الآيات الكريمة : قال تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف . انه كان فاحشة ومقتا وساء سـبيلا . حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضـعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونو دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما) . سورة النساء : ٢٢ ، ٢٣ .

قام الاسلام بهذا التنظيم الواجب لأنه ختام الأديان وأكملها . وشاء الله أن يستكمل الناس بالاسلام حياتهم على نظام من الكمال الانسانى والفكر الحضارى . وحتى لا تضطرب حياة الناس فقد عفا عما سلف من أخطاء فى تكوين الأسرة .

٧٦ ـــ الأسرة الاسلامية

وهنا بدأت بوادر الأسرة الاسلامية تظهر فى الوجود بأسلوب متميز واضح . وشرع لها فى القرآن الكريم الزواج والطلاق والمواريث ومقاديرها وحدودها . بحيث يطمئن كل شخص على مستقبل حياته الزوجية . وكيف

تستمر وكيف تتم المصالحات عند وجود خلاف . وكيف يتم الطلاق . ثم الدقة المتناهية فى تحديد الأشخاص الذين لهم الحق فى الميراث . وهذه كلها مسائل يعتز بها الدين الاسلامى . ولا نغالى اذا قلنا أن كثيرا من الهيئات الأجنبية قد أخذت عنه بعض شرائعها وأدخلتها فى قوانينها بطريق مباشر أو غير مباشر .

يقول الاستاذ العقاد فى كتابه حقائق الاسلام (الأسرة هى الأمة الصغيرة. ومنها تعلم النوع الانسانى أفضل أخلاقه الاجتماعية . وهى فى الوقت نفسه أجمل أخلاقه وأنفعها . من الأسرة تعلم النوع الانسانى الرحمة والكرم . وليس فى أخلاقه جميعا ماهو أجمل منهما وأنفع له فى مجتمعاته).

ويقول أيضا (الأسرة هى التى تمسك اليوم مابناه النوع الانسانى فى ماضيه . وهى التى تؤول به غدا الى أعقابه وذراريه حقبة بعد حقبة وجيلا بعد جيل) . ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

وللأسرة الاسلامية ميزات وأهداف تتضح فيما يأتى :

١ ــ الزوجة الشرعية :

تعترف الأسرة الاسلامية بالزوجة الشرعية ولاتعترف بالزوجة السرية ولا تقر وجود الخلية . وتأبى الخطيئة وتنهى عن الزنى والاتجار بالاعراض. ان الأسرة الاسلامية محصنة دائما بالقيم الأخلاقية والمبادىء الدينية . سبيلها السير على صراط مستقيم . وهدفها ارضاء الله سبحانه وتعالى. انها لاتخضع قهرا للدين الحنيف . ولا رهبة من سلطان جائر . ولكنها تأخذ به عن ايمان ويقين بوحدانية الله الخالق القادر . وبرسوله العظيم وبكتابه الكريم . وثقة منها فيما فتح امامها من طريق الخير والنور لتصل الى رضوان الله وجنات النعيم . بعد أن كابدت الأسرة الجاهلية المهانة وعاشت فى دياجير الظلام . لايوجهها الا الشيطان . ولاتعرف عقولها الا النزوات والشهوات . حتى تركتها حطاما أو هشيما تذروه الرياح .

٢ ــ تعدد الزوجات :

الأسرة الاسلامية لاتميل الى تعدد الزوجات . ولو أنه مشروع ومقرر فى القرآن الكريم لأنه يخاطب كل الناس الى يوم الدين . وقد توجد ظروف قهرية فى حياة بعض الناس تدعو الى التعدد . فنظم الاسلام سبيله ليكون واضحا أمام من يريد الافادة من هذه الرخصة . واشترط القرآن فى التعدد شرطا يجب ألا ننساه ولا نأخذ بنصف الآية . قال تعالى (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب من النساء مثنى وثلاث ورباع فان

خفتم الا تعدلوا فواحدة) . سورة النساء آية ٢٣ . وقال تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) . النساء آية ١٢٩ .

٣ — العلاقة الزوجية :

والأسرة الاسلامية تحترم العلاقة الزوجية وتصونها من الزلل . فالرجل عفيف النفس لايخدع ولايخادع . يعيش لاسرته ويعمل من أجلها .ويحبس نظره وقلبه عن الحرام . وكذلك المراة لاتعرف الا زوجها . فاذا ماتزينت، فانما زينتها لزوجها . واذا خرجت تسير فى حشمة ووقار . ولا تعرف الاسرة الاسلامية التبذل والاسفاف والمراقص والمجون . ولا تستهويها الآراء الزائفة المستوردة . ولا الاعوجاج والانحراف باسم « المودات » . ولا ترضيها ألفاظ التقدمية التى تستخدم شعارا للخنافس والهيبز . ولا تعرف مذاهب العرى وتبادل الزوجات .

٤ — عفة واباء :

ان الله سبحانه وتعالى يرشدنا فى كتابه العزيز الى أقوم السبل التى ترفعنا الى مصاف الملائكة الأطهار . وتبعدنا عن كل انحراف . وبين لنا كيف تعيش الأسرة فى عفة واباء . قال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم . ذلك أزكى لهم . ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها . وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن . وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) . سورة النور : ٣٠ ، ٣١ .

٥ — الزواج من المشركات :

وجدير بالذكر ان بعض الناس قد يعجبون بالمشركات ويرغبون فى الزواج منهن . والدين الاسلامى يمنع ذلك الا اذا أسلمن قبل الزواج . وكذلك للمشرك اذا أراد أن يتزوج من مسلمة فلا يجوز له ذلك الا اذا أسلم قبل الزواج . وهذه حدود الله واضحة . قال تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن . ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم . ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا . ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون الى النار . والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه . ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) .
سورة البقرة آية : ٢٢١

٦ — الحياة الزوجية السليمة :

ويحرص الاسلام على قيام الحياة الزوجية السليمة واستمرارها فى رعاية الله وتوفيقه . ولكن أحداث الزمان قد تؤثر أحيانا فى هذه العلاقة وتسىء اليهـا . وقد يستغلها الشيطان فيزيد من الشقاق وتعميق الخلاف . وتحويل السعادة العائلية الى جحيم لا يطاق . وهنا نرى الرحمة الالهية قد تداركت مثل هذه الأسرة . وأعطتها الفرصة الطيبة للمصالحة والعودة الى المحبة والوئام وأشار عليها بأن تختار الزوج واحدا من أهله . وأن تختار الزوجة واحدا من أهلها . لبحث مشاكل الزوجين ، ومحاولة ايجاد الحلول والتقارب بين وجهات النظر ليقوم الوفاق مكان الخلاف . وبذلك تصفو النفوس وتعود الحياة سيرتها الأولى الطيبة . ولا تتعرض الأسرة الى الهزات التى قـد تنشأ من انفعالات وقتية . وثورة نفسية عارضة . يمكن التغلب عليهـا بالحكمة والصبر وحسن التصرف . قال تعالى (وان خفتم شقاق بينهمـا فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما . ان الله كان عليما خبيرا) .

سورة النساء آية : ٣٥

٧ — القرآن الكريم :

والأسرة الاسلامية ترجع فى كل أمورها وحل قضاياها الى القرآن الكريم. وتربى صغارها على حب الله وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحب الوالدين واحترامهما . ومعاونة الجار ومساعدة المحتاج والعطف على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل . وتغرس فى نفوسهم منذ نعومة أظفارهم قراءة القرآن الكريم وذكر الله بكرة وأصيلا . والصلاة على حبيبه المصـطفى صلى الله عليه وسلم فى كل وقت وحين . والعمل بما فى كتاب الله وسنة نبيه العظيم رسول الهداية والرحمة . فينشأ الشباب على الاستقامة والخلق القويم . فلا ينحرف ولا تجرفه تيارات الأهواء ولا يخضع للاغواء . ولاينقاد الى شياطين الانس والجن . ولا تنطلى عليه حبائل المخادعين ومكر الماكرين . يفكر قبل مسيرته . ويحسن اختيار أصحابه كما يحسن اختيار كتابه .

فالانسان يعرف بالصحبة التى تحوط به وبالكتاب الذى بيمينه . ان الايمان يملأ قلبه ويدعوه الى الله . هذا شأن البنين فى الأسرة الاسلامية وكذلك شأن البنات . فهن فى وقاية من الشيطان طالمـا اتخذن كتاب الله قبلتهن. واستمعن الى صوت الحق والضمير السليم . والدين يأتى بالممارسة والمعايشة منذ الطفولة . فيصبح أمرا عاديا لا تكلف فيه . كما ينطق الطفل بالمحاولـة الصحيحة المستمرة للكلام . فلنضع أمامه أيضا النموذج الصالح من الوالدين

والاخوة من الورع والتقوى والعبادة . وبذلك نحافظ على مستقبل الأسرة الاسلامية . والتوفيق بيد الله .

وأوجب الاسلام احترام الأبناء للآباء وجعله الله نابعا من الايمان . قال تعالى (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) .
سورة الاسراء : ٢٣ ، ٢٤

٨ ــ أعداء الاسلام وتعدد الزوجات :

وبالنسبة لتعدد الزوجات فى الاسلام فان بعض المغرضين من الأعداء من كتاب ومستشرقين وخاصة المبشرين الذين تقوم بضاعتهم على النيل من الدين الاسلامى عن جهل وسوء نية وهم أبعد الناس عن فهم حقيقته . يحـــاول هؤلاء جميعا اذاعة فكرة خاطئة عن التعدد بين الناس وخاصة النساء . لخلق روح العداوة والكراهية للدين الحنيف .

وقد قدم بعضهم مسرحية فى احدى العواصم الأوروبية الكبرى تصــــور للمشاهدين حياة الرجل المسلم مع زوجاته الأربع فى حجرة واحـــدة . كأن التعدد مأمور به فى الاسلام . وأنه عند دخوله تلك الحجرة تسرع كل زوجة الى الاختباء خلف ستارة فى ركن منها . والاسلام برىء من الزام الرجل بأربع زوجات . وبذلك ينشأ الطفل وخاصة البنت على كراهية هذا الدين . وبهذا الأسلوب المغالط يشهر هؤلاء المغرضون من أعداء الاسلام بالتعدد بينما هم يستحسنون احتفاظ الرجل بعشرات من الخليلات بدلا من أربع زوجات . ومن قال ان التعدد اجبارى فى الاسلام فانما هو جهـــل فاضح بل عــــداوة متعمــــدة .

وقد نسى هؤلاء أن التعدد لم يكن بدعا فى الاسلام . فقد كان التعدد معروفا من قبل وكان معترفا به فى الأديان السابقة وهى اليهودية والمسيحية . وقد كتب الاستاذ العقاد فى هذا الموضوع فقال (وكانت ديانة العهد القديم تبيح لمن يشاء أن يتزوج ما يشاء بلا قيد ولا ضمان . وبهذه الاباحة وردت أخبـــار ابراهيم ويعقوب وموسى وداود وسليمان) . ثم قال (وظل آباء الكنيسة فى الغرب يبيحون تعدد الزوجات ويعترفون بأبناء الملوك الشرعيين من أزواج متعددات . فلما منعته بعد القرن السابع عشر على أثر الخلاف بينها وبين الملوك الخارجين عليها كانت حجة منعه أن الاكتفاء بالواحدة أخف الشرور لمن لا يقدر على الرهبانية . ولم يكن منعه اكبارا لشأن المراة يوم كان الخلاف

بينهم على أنها ذات روح أو أنها جسد بغير روح . ولم يكن بينهم خلاف يومئذ على أنها حبالة الشيطان أبعد أن يكون الانسان عنها أسلم ما يكون) .

كتب حقائق الاسلام وأباطيل خصومه : ص ١٨٦

٩ — نشأة الديمقراطية :

والأسرة الاسلامية قد عرفت الديمقراطية . بل هى التى أنشأت الديمقراطية بمعناها الصحيح . وذلك عن طريق الايمان بالله ووحدانيته . وعن هذا الايمان يوجد العدل والمساواة بين الناس لأنه سبحانه وتعالى قد خلقهم جميعا . وينتج أيضا عن هذا الايمان احساس الفرد بالمسئولية وعدم الاستبداد بالرأى بل يتجه دائما فى كل عمل هام الى استشارة اخوانه حتى تستقر الأمور على دعائم سليمة وخاصة فى نواحى الحكم فيطمئن الناس على حياتهم . وهكذا نبعت الديمقراطية من الاسلام ومعنى ذلك أنه لم يكن لها وجود قبله .

ومظهر الديمقراطية الاسلامية يتمثل فى العدل والمساواة والاحساس بالمسئولية وحكم الشورى والعمل من أجل الفرد والجماعة . قال تعالى (وأمرهم شورى بينهم) .

سورة الشورى . .

ومما يدل على أن هذه المبادىء السامية لم تكن معروفة فى الجاهلية أن رئيس القبيلة أو شيخها كان مستبدا برأيه . وهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة ولا معقب لحكمه . وكان يتعمد الظلم والطغيان لضمان استمرار حكمه وسطوته واخضاع الناس لمشيئته .

١٠ — الديمقراطية الاسلامية :

ومن مظاهر الديمقراطية الاسلامية أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستشير أصحابه فى كل الأمور التى لم ينزل بها وحى سماوى كالغزوات وغيرها ويأخذ برأيهمفيها . أما ماكان متصلا بالأوامر الالهية فلا محلللشورى فيه . وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم انه بشر مثلهم فلا يحجبون عنه أى رأى نافع بل يقدمون خبراتهم وتجاربهم فأقبل النــاس فى حضرته على مناقشة كلموضوع بصدقوشجاعة وايمان . وعاشوا الديمقراطية الاسلامية ومارسوها قولا وعملا . ونفضوا عن أنفسهم ما عرفوه فى الجاهلية من عصبيات وخرافات . وأحسوا بالحرية القائمة على الحقوق والواجبات والعمل الصالح .

٧٦ — نظام البيعـة :

من مظاهرها أيضا نظام البيعة الذى استحدثه الاسلام لصالح المجتمع وهو دليل واضح على الشورى وعلى اشراك الشعب فى الحكم . وذلك عند اختيار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد اجتمع الناس فى المسجد وبايعوا علانية أبا بكر الصديق أول خليفة للمؤمنين . وحدث نفس الشىء بالنسبة لسائر الخلفاء الراشدين .

حقيقة ان معاوية قد تنكب هذا الطريق السوى . وانتزع البيعـة من المسلمين لابنه يزيد . ولكن خطأ فرد من الناس لايهدم المبدأ السليم . ونظام البيعة يدل على أن الاسلام قد أعطى الشعب السلطة كل السلطة . واضفى عليه الحق والقوة .

٧٧ — المجتمع

ولقد ربطت الأسرة الاسلامية بين أفرادها برباط المودة ووحدة الهـدف والآلام والآمال . ويحافظ أفرادها على استمرار هذه الروابط والتمسك بهـا لأنها عنوانهم . وهى مظاهر انسانية وخلقية لم تكن موجودة فى الجاهلية . والأسرة الاسلامية لها سلطة اصلاح أى فرد فيهـا ممن يريد الخروج على نظامها ومبادئها . بعكس حياتهم فى الجاهلية قد كانوا يعيشون كأفراد لا تربطهم أية صلة . فالشخص المنحرف منهم لم يجد من يصلح من شـأنه . وكانت المدينة أو القرية مجموعة من الأفراد لكن لم يهتم كل فرد الا بنفسه . ونتيجة لذلك انعدم وجود المجتمع فى الجاهلية لأن الناس عاشوا أفرادا منعزلين فى قهر واضطهاد . ولكن الاسلام أنشأ المجتمع وأوجد الروابط بين أفراده . وحرص على الاسرة ومقوماتها على أساس متين من الدين الحنيف .

ان المجتمع من طبيعته البناء . فهو ينمو مع الزمن ومع الكفاح المنظم . وهو أنشودة الأفراد اذا بلغوا الوعى والفهم الصحيح . والمجتمع ينافس من أجل التسامى على المجتمعات الأخرى . والمجتمع يفرض النظام بين صفوفه ويحقق العدل والمساواة . المجتمع المنظم ينتهى بتكوين الدولة . والدين يحوطهـا بالعدالة . المجتمع يعرف طريق العلم والأدب والفن والثقافة والذوق الجميل . المجتمع ينظم وسائل العيش الشريف من فلاحة وصناعة وتجارة . المجتمع مرآة الحياة الانسانية المتطورة . المجتمع دائم ومستمر لتماسكه ورعايتـه للأسر والأفراد . المجتمع له كيانه الأدبى والمعنوى بجانب وجـوده الحسى والمـادى . المجتمع متفائل فى تحقيق آماله وأمانيه . المجتمع قوة متضـامنة ضد أى عدو . المجتمع يفيد من الكائنات حوله ومن الطبيعة المحيطة به : فى أرضـها ووهادها . فى جبالها وسهولها . فى بحارها وأنهارها . فى شمسـها وقمرها .

فى أجوائها ونجومها .بل وفى الانسان نفسه للوقوف على سر الحياة .المجتمع يضبط النفس ويفكر فى المستقبل . ولكن الفرد يعيش ليومه بين أهوائه ونزواته . لايحكمه سلطان الا الانطلاق الأعمى فى آفاق الحياة . وأخيرا يميل المجتمع الى الأخذ بالدين والاحتفاظ به نورا يهتدى به الى سواء السبيل.

واذا انتهى أمر الدين فى مجتمع فشل فى حاضره ومستقبله . وحلت به النكبات . واذا صال به الشيطان وجال . فقد تمزق شر ممزق . وأصبح خبرا بين سطور التاريخ . اذا احتفظ له بذكر . حتى القبائل والأقوام التى عاشت فى الفساد والطغيان قد أبيدت مثل عاد وثمود . وما ربك بظلام للعبيد . المجتمع الذى تنقلب فيــه موازين الحق والعــدل . والمجتمع الذى ينجب من الأبناء جيشا للشيطان . كيف يأمل السلامة والبقاء . المجتمع الطيب اذا أخذ عن مجتمع فاسد بعض أو كل أحواله ينتهى حتما الى الضلال . والمجتمع الطيب اذا تخلى عن تقويم أبنائه واعادتهم الى حظيرة الدين بالنصح والارشاد والقدوة الصالحة . فانه يصبح مجتمعا منحلا لا خلاق له ولا دين له . ان المجتمع الذى تسيطر فيه الحيوانية من شهوات وموبقات لن يعرف طريقــه الى الخير . وسيرى نفسه فى الآخرة فى عذاب السعير .

٧٨ ــ المجتمع الاسلامى

المجتمع الاسلامى لايعرف الا الفضيلة سبيلالحياته . والحق والعدلطريقا لعزته وكماله . المجتمع الاسلامى مضطرد النمو والازدهار لأن أصله ثابت من القرآن الكريم . وفرعه نام من الرسول العظيم . المجتمع الاسلامى أسهم ويسهم فى تأصيل الحضارة الانسانية . ونشر الخير والسعادة فى أرجاء الدنيا.

المجتمع الاسلامى يعتمد على **الكلمة الصادقة** . وعلى غرس المحبــة فى النفوس . وتوجيه الانسان الى الله . وتربية النشء على الخلق القــويم . وتدعيم وسائل العيش الشريف . وتمكين الشعب من الاحساس بالمسئولية. وأنها مصدر السلطة . والمجتمع الاسلامى يؤمن بما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (ان المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) . لذلك يهتم المجتمع الاسلامى بتقوية بنيانه وحسن استعداده . لمسالمة من يســالمه وعداء من يعاديه . حتى النصر أو الاستشهاد فى سبيل الله .

المجتمع الاسلامى مثال يتبع . ونموذج يحتذى من جميع المجتمعات مهمــا كانت درجتها من الرقى والحضارة . لانه قائم على أساس صحيح . انهم يأخذون عنه . ويكتسبون منه عفوا أو عمدا سواء اعترفوا بذلك أو لم يعترفوا . والاسلام يسره أن يأخذوا عنه لأنه شمس الجود ونور الحياة . ومصدر المعرفة. وهو الباقى الخالد لانه الدين الكامل الشــامل . وهو خاتم الأديان كمــا أن

النبى صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين . ومن طرق بابا غيره فقد ضل السبيل . قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

سورة آل عمران . آية : ٨٥

والمجتمع الاسلامى لا يعرف التعصب الا للحق ولوحدانية الله . ان المسلم قد يخطىء ويصيب أثناء مسيرة الحياة الطويلة . ولكنه لا يشرك بالله . ولذلك قرر القرآن الكريم ان الله سبحانه وتعالى لا يغفر الشرك به ويغفر ما دون ذلك . قال تعالى فى كتابه العزيز (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) .

سورة الكهف : آية : ١١٠

كما قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) .

سورة النساء . آية : ٤٨

واننا لا نعدو الحقيقة اذ سجلنا باطمئنان وثقة أن المجتمع لم يكن له وجود فى الجزيرة العربية قبل الاسلام . ومن أدلة ذلك أن سيدنا موسى عليه السلام لم يكون مجتمعا أو أمة أو دولة . بل اتصل بالناس كأفراد وحاول اصلاحهم فما استقاموا بل خرجوا على تعاليمه بمجرد أن تركهم أربعين ليلة . فثار عليهم وغضب على أخيه هارون . وكذلك سيدنا عيسى عليه السلام فقد اتبعه وصار خلفه أفراد كثيرون أملا فى الشفاء . ولكن المجتمع لم يكن له وجود . وتكونت بدلا منه طبقة من رجال الدين فرضوا أنفسهم أوصياء على الناس . وقد اشتد نفوذهم فى كثير من الفترات وخاصة فى العصور الوسطى حين باعوا صكوك الغفران . ثم قام الصراع زمنا طويلا بينهم وبين الملوك والأباطـــرة .

ومن مظاهر الصراع أيضا فى تلك العصور أنهم كانوا يحكمون بالاعدام على أى عالم أو مفكر يصدر رأيا عن غير طريق الكنيسة مثل احراق (جاليليو) حين قال بدوران الأرض .وحين خافهم (ديكارت) مؤسس الفلسفة الحديثة . عندما ابتكر نظريات جديدة فى المنطق وأراد أن تحل فى المدارس محل منطق أرسطو . واضطر أن يحاور وأن يغلف آراءه بالحذر والحكمة ثم بالتقرب الى الكنيسة كى تنجح فكرته . قال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيـــه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله

الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) .

سورة البقرة . آية : ٢١٣

المجتمع الاسلامى يحض الناس على العلم والثقافة والسعى الى الخير والعناية بالخلق القويم . قال تعالى فى سورة آل عمران (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) . كما يعنى المجتمع الاسلامى بالسعى الى الرزق والكسب المشروع . وتوجيه الناس الى الاعتدال فى الانفاق والبعد عن الاسراف وعدم اكتناز المال . ومن أهم مزايا هذا المجتمع حبه للعمل الصالح والا خلاص فيه . ولذلك نجد فى القرآن الكريم أن الايمان دائما مقترن بالعمل . وهذا يدل على شرف العمل وقيمته لاسعاد الانسانية (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) . كما قال تعالى (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) .

سورة الملك . آية : ١٥

والمجتمع الاسلامى حين يشجع على العمل أنما يحارب الفقر . ومع ذلك فهو يحض على مساعدة المحتاجين العاجزين عن العمل . ويعاون المساكين وأبناء السبيل . ويقرر الزكاة نظاما سليما قويا لدعم الروابط الانسانية بين الأغنياء والفقراء دون حاجة الى مد اليد وذل السؤال . ويجعل الزكاة حقا للفقراء على الأغنياء (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم) .

سورة الذاريات .

والمجتمع الاسلامى قد سبق جميع المجتمعات الأخرى فى ازالة الفوارق بين الناس ، والقضاء على نظام الطبقات . وجعل العمل الصالح وتقوى الله أساس النجاح . (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) . وهذا لاينفى تفاوت القدرات الانسانية فى كثير من المجالات مثل الذكاء والعلم والبر والتقوى والخدمة العامة .

وبنظرة عادلة للمجتمع الاسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها . نجد أنه قد حقق السعادة الانسانية القائمة على الحق والعدل . وهو ضد الاستعمار والعدوان والاستغلال بكل صوره القديمة والحديثة . فضلا عن أنه قد رسم للناس جميعا سبل الخير والمحبة والأخاء والتعاون . وبين لهم الطريق الى الله . وهو مجتمع يهدف الى بناء العقل والقلب والروح وتشجيع المواهب الطيبة الخيرة . ونشر السلام فى جميع أرجاء العالم . فهو أسلام وسلام .

الفصل الخامس عشر

نماذج من الأحاديث النبوية الشريفة

٧٩ ـ الأحاديث النبوية الشريفة ضرورية لكل مسلم •

٨٠ ـ احاديث عن الايمـــان •

٨١ ـ احاديث عن العلم •

٨٢ ـ أحاديث عن الوضوء •

٨٣ ـ أحاديث عن الصـــلاة •

٨٤ ـ أحاديث عن الصــوم •

٨٥ ـ أحاديث عن يوم الجمعة •

٨٦ ـ أحاديث عن الجهاد فى سبيل الله •

٨٧ ـ احاديث فى فضائل القرآن الكريم •

٨٨ ـ احاديث عن الزواج •

٨٩ ـ احاديث عن الرؤيا •

٩٠ ـ أحاديث فى آداب السلوك •

٩١ ـ أحاديث عن الدعوات •

٩٢ ـ أحاديث فى موضوعات عامة •

٧٩ ـ الأحاديث النبوية الشريفة

ضرورية لكل مسلم

ان الأحاديث النبوية الشريفة ضرورية لكل مسلم . فهى النبع الصافى وفيها الرأى الصادق والتوجيه السليم ، والشرح الوافى ، والارشاد الى سـواء السبيل ، والنور الهادى الى الطريق القويم .

حفظها الصحابة فى صدورهم ، ووعتها عقولهم ، وآمنت بها قلوبهم ، واسترشدوا بها فى حياتهم . ثم نقلت من الصدور الى الصدور . ومن القلوب الى القلوب . حتى دونت واتجه اليها كبار العلماء وخاصة فى العصور الأولى للدين الحنيف بالدراسة والتحليل والتأكد من حقيقتها وكشف ما أضيف اليها عمدا أو جهلا ، والتحقق من الصادق والزائف . وفى مقدمة هؤلاء العلماء الأجلاء البخارى ومسلم وغيرهما من أفاضل الأئمة العلماء .

ستبقى الأحاديث النبوية الشريفة مدى الدهر موضع التكريم والدراسة . وهى بعد كتاب الله خير مايستعان بها فى فهم الدين الاسلامى ،ومعرفةحقائقه والوقوف على دقائقه . فالقرآن الكريم شفاء . والأحاديث الشريفة دواء .

واننى أوجه النصيحة خالصة لوجه الله أن يعنى المسلمون وخاصة الشباب بقراءة الأحاديث النبوية الشريفة ، ومحاولة فهمها والعمل بها . قال عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع : (فاعقلوا أيها الناس قولى . فانى قد بلغت . وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا . أمرا بينا : كتاب الله وسنة نبيه) .

اخترت بعض الأحاديث النبوية الشريفة من (صحيح البخارى) ودونتها فى مجموعات ليسهل الرجوع اليها ولتكون بداية طيبة ونماذج وضيئة تلهم القارىء البحث عن المزيد منها فى مراجعها الخاصة ، وتفتح أمامه أبواب الحكمة لينهل منها عذبا سلسبيلا . وتفسر له كثيرا من الآيات التى وردت مجملة فىالقرآن الكريم كالصلاة (أوقاتها وركعاتها) .

والأحاديث النبوية تسجيل شامل لعديد من الأحداث القديمة . فلا غرابة ان حرص على حفظها وصيانتها السادة الصحابة فلم يتركوا أية عبارةأوكلمة أو اشارة أو ايماءة صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أى وقت

وفى أى مكان الا وعوها فى صدورهم واعتزوا بها وتنافسوا فى جمعها حبا منهم للنبى الكريم . ورجعوا فيها الى زوجاته لمعرفة دقائق حيـــاته الخاصة وفى مقدمتهن السيدة / عائشة رضى الله عنها . وقد صانوها الى أن أتى عصر دونت فيه جميع الأحاديث النبوية وتفرغ لدراستها كثير من العلماء . ورحل بعضهم من بلد الى بلد متجشمين متاعب السفر والارتحال للتحقق من صحـــة الأحـــاديث .

تعمد اليهود وأعداء الاسلام تزوير بعض العبارات وحاولوا نسبتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وادعى بعضهم الاسلام امعانا فى التضليل . فانكشــفت أكاذيبهم . وقام علماء المسلمين بدراسة الأحاديث النبوية ومتابعتها، ودونوا ما ثبت لديهم منها ثبوتا قاطعا ليطالعها المؤمنون فى ثقة واطمئنان .

٨٠ — أحاديث عن الايمان

الأحاديث النبوية الشريفــة

١ — المسلم من سلم المسلمون من لســانه ويده . والمهاجر من هجر ما نهى الله عنـــه .

٢ — لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

٣ — لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس اجمعين .

٤ — ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . ومن أحب عبدا لا يحبه الا لله . ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد اذ انقذه الله . كما يكره أن يلقى فى النار .

٥ — آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب . واذا وعـــد اخلف . واذا أوتمن خـــــان .

٦ — من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه .

٧ — الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصـــلاة . وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان . والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث .

والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه . فان لم تكن تراه فانه يراك .

٨ — الأعمال بالنية . ولكل امرىء ما نوى . فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه .

٩ ـــ امرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمـــدا رسول الله . ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله .

١٠ ـــ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

٨١ ـ أحاديث عن العلم .

١ ـــ يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا .

٢ ـــ من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين .

٣ ـــ ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل . ويشرب الخمر ويظهر الزنا .

٤ ـــ ثلاثة لهم أجران : رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى اله عليه وسلم . والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه. ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها . وعلمها فأحسن تعليمها. ثم اعتقها فتزوجها فله أجران .

٥ ـــ أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصـــا من قلبه ونفسه .

٦ ـــ من تعمد على كذبا فليتبوأ مقعده من النار .

٧ ـــ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله عز وجل .

٨ ـــ ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النـــار .

٩ ـــ ان الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا . ولكن ينزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم . فيبقى ناس جهال . يستفتون برأيهم . فيضلون ويضلون .

٨٢ ـ أحاديث عن الوضـــوء .

١ ـــ ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل .

٢ — اذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها فى وضوئه فان أحدكم لا يدرى أين باتت يده .

٣ — اذا شرب الكلب فى آناء أحدكم فليغسله سبعا .

٨٣ — احاديث عن الصلاة .

١ — أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله . فاذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت علينا دماؤهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله .

٢ — جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا .

٣ — اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس .

٤ — ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

٥ — يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون واتينا وهم يصلون .

٦ — اذا أدرك احدكم سجدة من صلاة العصر قبل أن تغرب الشمس فليتم صلاته . واذا أدرك سجدة من صلاة الصبح قبل ان تطلع الشمس فليتم صلاته .

٧ — من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة .

٨ — اذا طلع حاجب الشمس فاخروا الصلاة حتى ترتفع . واذا غاب حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى تغيب .

٩ — لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس . ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس .

١٠ — اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا .

١١ — اذا وضع العشاء واقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء .

١٢ — سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظله . يوم لا ظل الا ظله : امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل ذكر الله فى خلاء . ففاضت عيناه .

ورجل قلبه معلق فى المسجد . ورجلان تحابا فى الله . ورجل دعتـــه امرأة ذات منصب وجمال لنفسها . قال انى أخاف الله. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه .

١٣ ـــ انما جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فاركعوا واذا رفع فارفعوا واذا صلى جالسا فصلوا جلوســـا .

١٤ ـــ اذا صلى أحدكم للناس فليخفف فان منهم الضعيف والسقيم والكبير . واذا صلى لنفسه فليطول ما شـــاء .

١٥ ـــ انى لأقوم الى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيهـــا فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن اشق على أمه .

١٦ ـــ صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المســـجد الحـــرام .

١٧ ـــ لاتسافر المرأة يومين الا مع زوجها أو ذى محرم . ولاصوم فى يومين الفطر والأضحى . ولا صلاة بعد صلاتين بعـــد الصبح حتى تطلع الشمس . وبعد العصر حتى تغرب . ولا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدى .

١٨ ـــ اذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء . ثم استقبل القبلة . فكبر ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن . ثم اركع حتى تطمئن راكعا . ثم ارفع حتى تستوى قائما . ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا . ثم ارفع حتى تطمئن جالسا . ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا . ثم ارفع حتى تطمئن جالسا . ثم افعل ذلك فى صلاتك كلهـــا .

١٩ ـــ لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ .

٢٠ ـــ اذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة . فما أدركتم فصـــلوا وما فاتكم فأتموا .

٨٤ ـــ أحاديث عن الصـــوم .

١ ـــ الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم مرتين . والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشـــهوته من أجلى . الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها .

٢ ـــ من لم يدع قول الزور والعمل بهفليس لله حاجة فى أن يدع طعـــامه وشرابه .

٣ ـــ من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء .

٤ ـــ من صام يوما فى سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا .

٥ ـــ من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه .

٦ ـــ من أكل ناسيا وهو صائم . فليتم صومه . فانما أطعمه الله وسقاه .

٧ ـــ تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان .

٨٥ ـــ أحاديث عن يوم الجمعـــة .

١ ـــ غسل يوم الجمعة واجب على كل مسلم .

٢ ـــ لولا أنى اشق على أمتى أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة .

٣ ـــ لله تعالى على كل مسلم حق أن يغتسل فى كل سبعة ايام يوما .

٤ ـــ اذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المســـجد يكتبون الأول فالأول .

٥ ـــ اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت .

٨٦ ـــ أحاديث عن الجهاد فى سبيل الله .

١ ـــ قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت يا رسول الله : أى العمل افضل ؟ قال « الصـــلاة فى ميقاتها » . قلت ثم أى ؟ قال « ثم بر الوالدين » . قلت ثم أى ؟ قال « الجهاد فى سبيل الله » . فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وســـلم . ولو استزدته لزادنى .

٢ ـــ لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيهـــا .

٣ ـــ والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب انفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله .

والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل .

٤ — ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وماله على الأرض من شيىء الا الشهيد . يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة .

٥ — لاهجرة بعد الفتح . ولكن جهاد ونية . واذا استنفرتم فانفروا .

٦ — عن البراء رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول « لولا أنت ما اهتدينا . ولا تصدقنا ولا صلينا . فأنزلن سكينة علينا . وثبت الأقدام ان لاقينا . ان الألى قد بغوا علينا . اذا أرادوا فتنة أبينا »

٧ — من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا . ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا .

٨ — تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله .

٨٧ — أحاديث فى فضائل القرآن الكريم .

١ — من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه .

٢ — اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى لم يزل معك من الله حافظا ولا يقربك شيطان حتى تصبح .

٣ — لقد أنزلت على الليلة سورة لهى أحب الى مما طلعت عليه الشمس . ثم قرأ : (انا فتحنا لك فتحا مبينا) .

الايتان من آخر سورة البقرة :

آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير . لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

سورة البقرة آيتان : ٢٨٥ ، ٢٨٦

الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم .

سورة البقرة آية ٢٥٥

٤ ــ لا حسد الا فى اثنتين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار . فسمعه جار له فقال ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان . فعملت مثل ما يعمل . ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق . فقال رجل ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل .

٥ ــ خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

٦ ــ ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه .

٧ ــ قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أيعجز أحدكم ان يقرأ بثلث القرآن فى ليلة ؟ » فشق ذلك عليهم وقالوا (أينا يطيق ذلك يارسول الله ؟) . فقال « الله الواحد الصمد ثلث القرآن .

٨٨ ــ أحاديث عن الزواج

١ ــ تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك .

٢ ــ ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء .

٣ ــ لا يجمع بين المرأة وعمتها . ولا بين المرأة وخالتها .

٤ ــ لا تنكح الأيم حتى تستأمر . ولا تنكح البكر حتى تستأذن . قالوا يارسول الله وكيف اذنها ؟ قال « أن تسكت » .

٥ ــ اياكم والظن . فان الظن اكذب الحديث . ولا تجسسوا ولا تحسسوا . ولا تباغضوا . وكونوا اخوانا . ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك .

٦ ــ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره واستوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان أعوج شىء فى الضلع اعلاه . فان ذهبت تقيمه كسرته . وان تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيرا .

٧ ــ لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد الا باذنه . ولا تأذن فى بيته الا باذنه . وما أنفقت من غير أمره فانه يؤدى اليه شطره .

٨ ــ اذا أنفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فله نصف اجره .

٩ ــ أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها . وأدبها فأحسن تأديبها . ثم أعتقها وتزوجها فله أجران . وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى فله أجران . وأيما مملوك أدى حق مواليه وحق ربه فله أجران .

٨٩ ـ أحاديث عن الرؤيا .

١ ـ الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة .

٢ ـ الرؤيا الصادقة من الله . والحلم من الشيطان .

٣ ـ اذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هى من الله . فليحمد الله عليها . وليحدث بها . واذا رأى غير ذلك مما يكره . فانما هى من الشيطان . فليستعذ من شرها . ولا يذكرها لأحد فانها لا تضره .

٤ ـ من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة . ولا يتمثل الشيطان بى .

٥ ـ بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن . فشربت منه حتى انى لأرى الرى يجرى فى أطرافى . فأعطيت فضلى عمر بن الخطاب . فقال من حوله : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال (العلم) .

٩٠ ـ أحاديث فى آداب السلوك .

١ ـ من سره أن يبسط له فى رزقه . وأن ينسأ له فى أثره . فليصل رحمه .

٢ ـ من لا يرحم لا يرحم .

٣ ـ جعل الله الرحمة فى مائة جزء . فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا . وأنزل فى الأرض جزءا واحدا . فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه .

٤ ـ ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى .

٥ ـ ما من مسلم غرس غرسا فأكل منه انسان أو دابة الا كان له صدقة .

٦ ـ مازال يوصينى جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .

٧ ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت .

٨ ـ الكلمة الطيبة صدقة .

٩ ـ اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجد فبكلمة طيبة .

١٠ — ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة . من تركه الناس اتقاء شره .

١١ — لايحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال . فيلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام .

١٢ — ان الصدق يهدى الى البر . وأن البر يهدى الى الجنة . وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقا . وان الكذب يهدى الى الفجور . وان الفجور يهدى الى النار . وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا .

١٣ — ليس الشديد بالصرعة . انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب .

١٤ — الحياء لا يأتى الا بالخير .

١٥ — لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين .

١٦ — سمو باسمى . ولا تكتنوا بكنيتى . ومن رآنى فى المنام فقد زارنى . فان الشيطان لا يتمثل فى صورتى . ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

١٧ — اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق . فلينظر الى من هو أسفل منه .

١٨ — ان الله كتب الحسنات والسيئات . ثم بين ذلك . فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة . فان هو هم بها وعملها . كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة . ومن هم بسيئة فلم يعملها . كتبها الله عنده حسنة كاملة . فان هو هم بها فعملها . كتبها الله له سيئة واحدة .

١٩ — ان العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة . وانه لمن أهل النار . ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار . وهو من أهل الجنة . وانما الأعمال بخواتيمها .

٢٠ — المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة . ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة .

٢١ — اعدلوا بين أولادكم فى العطية .

٢٢ ـــ السمع والطاعة حق مالم يؤمر بالمعصية . فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

٢٣ ـــ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمه توفيت أينفعها أن أتصدق عنها ؟ قال : « نعم ».

٢٤ ـــ اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين أو لقمة أو لقمتين . فانه ولى حره وعلاجه .

٢٥ ـــ كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة .

٢٦ ـــ لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء .

٢٧ ـــ لايلبس المحرم القميص ولا السراويل ولا البرنس ولا الخفين الا أن لا يجد النعلين يلبس ما هو أسفل من الكعبين .

٢٨ ـــ ان من أخيركم أحسنكم خلقـــا .

٢٩ ـــ يسروا ولا تعسروا . وبشروا ولا تنفروا .

٣٠ ـــ لا ترغبوا عن آبائكم . فمن رغب عن أبيه فهو كفر .

٣١ ـــ لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

٣٢ ـــ من حمل علينا السلاح فليس منـــا .

٣٣ ـــ لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح . فانه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النـــار .

٣٤ ـــ ابغض الناس الى الله ثلاثة : ملحد فى الحرم . ومبتغ فى الاسلام سنة الجاهلية . ومطلب دم امرىء بغير حق ليهريق دمه .

٣٥ ـــ سباب المسلم فسوق . وقتاله كفر .

٩١ ـــ احاديث عن الدعوات .

١ ـــ لكل نبى دعوة يدعو بها . وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة .

٢ ـــ والله انى لأستغفر وأتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة .

٣ — اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة . ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : « اللهم أسلمت نفسى اليك . وفوضت أمرى اليك . والجأت ظهرى اليك . رهبة ورغبة اليك . لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك . آمنت بكتابك الذى أنزلت . وبنبيك الذى أرسلت . فان مت مت على الفطرة . واجعلهن آخر ما تقول .

٤ — اللهم لك الحمد . أنت نور السموات والأرض ومن فيهن . ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهم . ولك الحمد . أنت الحق . ووعدك حق . وقولك حق . ولقاؤك حق . والجنة حق . والنار حق . والساعة حق . والنبيون حق . ومحمد حق . اللهم لك اسلمت . وعليك توكلت . وبك آمنت . واليك انبت . وبك خاصمت . واليك حاكمت . فاغفر لى ماقدمت وما أخرت . وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر . لا اله الا أنت . ولا اله غيرك .

٥ — اذا أوى أحدكم الى فراشه . فلينفض فراشه بداخله ازاره . فانه لا يدرى ما خلفه عليه . ثم يقول « باسمك رب وضعت جنبى . وبك أرفعه . ان أمسكت نفسى فارحمها . وان أرسلتها فاحفظها بماتحفظ به عبادك الصـــالحين .

٦ — ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : « من يدعونى فأستجيب له . من يسألنى فأعطيه . ومن يستغفرنى فأغفر له » .

٧ — اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت . فاغفر لى مغفرة من عندك . وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم .

٨ — لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به . فان كان لابد متمنيا الموت فليقل : « اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى . وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى » .

٩ — اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم . وأعوذ بك من عذاب القبر . وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات .

١٠ — من قال لااله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد . وهو على كل شىء قدير . فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب . وكتبت له مائة حسنة . ومحيت عنه مائة سيئة . وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء الا رجل عمل أكثر منه .

١١ ـــ كلمتان خفيفتان على اللسان . ثقيلتان فى الميزان . حبيبتان الى الرحمن « سبحان الله العظيم . سبحان الله وبحمده » .

١٢ ـــ مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه . مثل الحى والميت .

١٣ ـــ كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل .

١٤ ـــ لا يزال قلب الكبير شابا فى اثنتين فى حب الدنيا وطول الأمل .

١٥ ـــ ليس الغنى عن كثرة العرض . ولكن الغنى غنى النفس .

١٦ ـــ ان الله قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بحرب . وما تقرب الى عبد بشىء أحب الى مما افترضت عليه . وما زال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه . فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به . وبصره الذى يبصر به . ويده التى يبطش بها . ورجله التى يمشى بها . وأن سألنى لأعطيته . ولئن استعاذنى لأعيذنه . وما ترددت عن شىء أنا فاعله . ترددى عن نفس المؤمن . يكره الموت . وأنا أكره مساءته .

١٧ ـــ من أحب لقاء الله . أحب الله لقاءه. ومن كره لقاء الله كره الله لقـــاءه .

١٨ ـــ يتبع الميت ثلاثة : فيرجع اثنان ويبقى معه واحد . يتبعه أهله وماله وعمله . فيرجع أهله وماله ويبقى عمله .

١٩ ـــ من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار .

٢٠ ـــ اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

٢١ ـــ من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة . والصلاة القائمة . آت محمدا الوسيلة والفضيلة . وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته . حلت له شفاعتى يوم القيامة .

٢٢ ـــ ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة .

٢٣ ـــ تعوذوا بالله من جهد البلاء . ودرك الشقاء . وسوء القضاء . وشماتة الأعداء .

٢٤ ـــ أفضل الكلام أربع : سبحان الله . والحمد لله . ولا اله الا الله . والله أكبر .

٢٥ — لايتمنى احدكم الموت . اما محسنا فلعله يزداد . وما مسيئا فلعله يستعتب .

٢٦ — لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار . ولو سلك الناس واديا . وسلكت الأنصار واديا أو شعبا لسلكت وادى الأنصار أو شعب الأنصـــار .

٩٢ — احاديث فى موضوعات عامة

١ — ما اكل احد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده . وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده .

٢ — انا أولى بالمؤمنين من انفسهم . فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعلى قضاؤه . ومن ترك مالا فلورثته .

٣ — ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان به صدقة .

٤ — عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعا . فدخلت فيها النار .

٥ — ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ووأد البنات . ومنع وهات . وكره لكم قيل وقال . وكثرة السؤال . واضاعة المال .

٦ — ان من البيان لسحرا .

٧ — ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله . لا يخسفان لموت احد ولا لحياته . فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله .

٨ — كلكم راع ومســئول عن رعيته . فالامام راع وهو مسئول عن رعيته . والرجل فى أهله راع وهو مسئول عن رعيته . والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها . والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته .

٩ — من حلف يمينا وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقى الله وهو عليه غضبان .

١٠ — « انصر اخاك ظالما أو مظلوما » . قالوا يارسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما . قال : « تأخذه فوق يديه » .

١١ — اتق دعوة المظلوم . فانه ليس بينها وبين الله حجاب .

١٢ — بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج . فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل :

لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى . فنزل البئر فملأ خفه ماء . فسقى الكلب . فشكر الله له فغفر له . قالوا يارسول الله وان لنا فى البهائم لأجرا ؟ فقال : « فى كل ذات كبد رطبة أجر » .

١٣ — بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك فأخذه فشكر الله له فغفر له .

١٤ — لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن . ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن . ولا ينتهب نهبة يرفع الناس اليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن .

١٥ — مثل القائم على حدود الله والواقع فيها . كمثل قوم استهموا على سفينة . فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها . فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم . فقالوا لوانا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فان يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا . وان اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا .

١٦ — يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .

١٧ — أن لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا . من احصاها دخل الجنة .

١٨ — « اجتنبوا السبع الموبقات » . قالوا يارسول الله وما هن ؟ قال : « الشرك بالله . والسحر . وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق . واكل الربا . واكل مال اليتيم . والتولى يوم الزحف . وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » .

١٩ — ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار .

٢٠ — فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها .

٢١ — العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة .

٢٢ — لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا .

٢٣ — مفاتح الغيب خمس : ان الله عنده علم الساعة . وينزل الغيث . ويعلم ما فى الأرحام . وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا . وما تدرى نفس بأى أرض تموت . ان الله عليم خبير .

٢٤ ـــ ان الزمان قد استدار . كيئة يوم خلق الله السموات والأرض . السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو العقدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان .

٢٥ ـــ ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته .

٢٦ ـــ اذا انفق المسلم نفقة على اهله وهو يحتسبها كانت له صدقة .

٢٧ ـــ الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله . او القائم الليل الصائم النهار .

٢٨ ـــ أفضل الصدقة ما ترك غنى . واليد العليا خير من اليد السفلى . وابدأ بمن تعول .

٢٩ ـــ اطعموا الجائع . وعودوا المريض . وفكوا العانى (١) .

٣٠ ـــ اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه .

٣١ ـــ ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله .

٣٢ ـــ السفر قطعة من العذاب . يمنع احدكم نومه وطعامه . فاذا قضى نهمته من وجهه فليعجل الى اهله .

٣٣ ـــ لا تلبسوا الحرير ولا الديباج . ولا تشربوا فى آنية من الذهب والفضة . ولا تأكلوا فى صحافها فانها لهم فى الدنيا . ولنا فى الآخـــرة .

٣٤ ـــ من ذبح قبل الصلاة . فانما يذبح لنفسه . ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين .

٣٥ ـــ ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها عن خطاياه .

٣٦ ـــ ما انزل الله داء الا انزل له شفاء .

٣٧ ـــ الشفاء فى ثلاثة : فى شرطة محجم . او شربة عسل . او كية بنار . وأنا أنهى امتى عن الكى .

٣٨ ـــ يا يأيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا . وان احب الأعمال الى الله مادام وان قل .

---

(١) العانى : الأسير

٣٩ — كل مسكر حرام .

٤٠ — لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون .

٤١ — لا يرث المسلم الكافر . ولا الكافر المسلم .

٤٢ — يا أيها الناس . انما ضل من قبلكم . أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه . واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها .

٤٣ — من أطاعنى فقد أطاع الله . ومن عصانى فقد عصى الله . ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى . ومن عصى أميرى فقد عصانى .

٤٤ — لكل أمة أمين . وامين هذه الأمة ابو عبيدة .

٤٥ — كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى . قالوا يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال « من أطاعنى دخل الجنة . ومن عصانى فقد أبى » .

٤٦ — لن يبرح الناس يسألون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء . فمن خلق الله .

٤٧ — اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر .

٤٨ — يقول الله تعالى : « أنا عند ظن عبدى بى . وأنا معه اذا ذكرنى . فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى . وان ذكرنى فى ملأ . ذكرته فى ملأ خير منه . وان تقرب الى شبرا . تقربت اليه ذراعا . وان تقرب الى ذراعا . تقربت منه باعا . ومن أتانى يمشى . أتيته هرولة » .

٤٩ — كل شراب أسكر فهو حرام .

٥٠ — اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها . واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها .

٥١ — ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت .

٥٢ — ان خياركم أحسنكم قضاء .

الفصل السادس عشر

السجل التاريخى للأحداث

٩٣ ــ المرحلة الأولى

من مولده عليه الصلاة والسلام الى الهجرة النبوية

التاريخ الميلادى	الموضــــــــــــوع
٥٧١	ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم . (الاثنين ١٢ ربيع الأول) . بدء الرضاعة من حليمة بنت ذؤيب من بنى سعد فى البادية .
٥٧٥	عودته الى أهله بمكة وعمره أربع سنوات .
٥٧٧	وفاة والدته (السيدة / آمنة بنت وهب) وعمره ست سنوات . (دفنت بالأبواء بالقرب من المدينة) .
٥٧٩	وفاة جده عبد المطلب بن هاشم . (بعد وفاة والدة النبى الكريم بسنتين) .
٥٨٠	سفره لأول مرة مع عمه أبى طالب فى التجارة الى الشام .
٥٩١	حضر حرب الفجار بين قريش وقيس .
٥٩٥	سافر الى الشام فى تجارة للسيدة / خديجة بنت خويلد .
٥٩٦	زواجه من السيدة / خديجة بنت خويلد بعد عودته من الشام .
٥٩٧	مولد ابنته زينب .
٥٩٨	مولد ابنته رقية .
٦٠٠	مولد ابنته أم كلثوم .
٦٠٦	مولد ابنته فاطمة الزهراء . اشترك فى اعادة بناء الكعبة عندما تصدع بنيانها . (وعمره خمسة وثلاثون سنة) .
٦١٠	زواج زينب من أبى العاص بن الربيع . مولد القاسم بن رسول الله .
٦١١	نزول الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم بغار حراء (فى ٢٧ رمضان) وعمره أربعون سنة . زواج رقية وأم كلثوم من عتبة وعتيبة ولدى أبى لهب عم النبى وطلاقهما فى نفس العام . مولد أمامة بنت زينب .

٦١٢ مولد عبد الله بن رسول الله .
وفاة القاسم بن رسول الله . (عمره أقل من سنتين) .

٦١٤ الجهر بالدعوة الاسلامية . (السنة الثالثة للنبوة) .
وفاة عبد الله بن رسول الله . (عمره أقل من سنتين) .

٦١٦ الهجرة الأولى الى الحبشة (٩ رجال ، ٤ نساء) . فى السنة الخامسة للنبـــوة .

اسلام حمزة بن عبد المطلب (عم النبى الكريم) .
اسلام عمر بن الخطاب .

٦١٨ مقاطعة قريش لبنى هاشم وكتابة ذلك فى صحيفة حفظت داخل الكعبة.
دخول النبى الكريم بنى هاشم شعب أبى طالب بجوار مكة . وحصار قريش لهم مدة ثلاث سنوات .
الهجرة الثانية الى الحبشة . (السنة السابعة للنبوة) .

٦٢١ وفاة أبى طالب بن عبد المطلب فى التسعين من عمره دون أن يسلم . (السنة العاشرة للنبوة) .
وفاة السيدة / خديجة بنت خويلد بعد وفاة ابى طالب بن عبد المطلب ببضعة أيام .
الغاء الصحيفة . وقد اكلتها الأرضة ماعدا باسمك اللهم) . وانتهاء مقاطة قريش .
عودة بعض المهاجرين من الحبشة . ومن بينهم رقية وزوجها عثمان ابن عفان بعد وفاة والدتها .
حضور وفد من نصارى نجران واعلان اسلامهم .
ذهب النبى الكريم الى الطائف ليستعين ببنى ثقيف فأساءوا اليه .

٦٢٢ الاسراء والمعراج . (السنة ١١ للنبوة) .
فرضت الصلاة بصورتها الحالية اثناء المعراج .
حضر ستة من الأوس والخزرج من المدينة وقابلوا النبى الكريم بمكة وأسلموا بين يديه .

٦٢٣ حضر أثنا عشر من الأوس والخزرج الى مكة واسلموا بين يدى النبى الكريم ودعوة للهجرة عندهم بيثرب .
تزوج النبى صلى الله عليه وسلم من سودة بنت زمعة بن الأسود .
خطب عائشة بنت أبى بكر وتركها عند اهلها لصغر سنها (٩ سنوات).

٩٤ ـــ المرحلة الثـــانية

بعد الهجرة النبوية

التاريخ الميلادى	التاريخ الهجرى	الموضـــــوع
٦٢٤	١	وصول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى قباء بالقرب من المدينة .
		بناء أول مسجد للاسلام بأمر النبى الكريم فى قباء .
		أول صلاة جمعة فى الطريق الى المدينة
		الوصول الى المدينة واستقبال المهاجرين والأنصـــار للنبى الكريم على مشارف المدينة .
		بناء المسجد النبوى الشريف بالمدينة .
		التآخى بين المهاجرين والأنصار .
		كتابة عقد بين المسلمين واليهود بالمدينة للتعاون وعدم الاعتداء.
		سرية بقيادة حمزة بن عبد المطلب لملاقاة عير قريش العائد من الشـــام .
		سرية بقيادة عبيدة بن الحـــارث لنفس الغرض السابق . فهرب المشركون .
٦٢٥	٢	غزوة ودان (الأبواء) .
		غزوة بواط .
		غزوة العشيرة .
		غزوة بدر الأولى (سفوان) .
		سرية بقيادة عبد الله بن جحش لاعتراض عير قريش العائدة من الشــــام .
		تحول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة بعد ١٧ شهرا من الهجرة النبوية الشريفة .
		فرض صوم رمضان (فى شهر شعبان من تلك السنة) . .
		فرضت الزكاة .
		غزوة بدر الكبرى (١٧ رمضـــان) . أول وأعظم انتصار للمسلمين على قريش .
		غزوة قرقرة الكدر . (بنى سليم بالكدر) .

التاريخ الميلادى	التاريخ الهجرى	الموضـــوع
		غزوة بنى قينقاع (ضد يهود بنى قينقـــاع بالمدينة لنقضهم المعهـــد) .
		غزوة السويق (ضد قريش الذين هربوا وتركوا طعامهم من الســـويق) .
		تقررت صلاة العيدين .
		ماتت رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم . (زوجة عثمان ابن عفان) .
		زواج النبى صلى الله عليه وسلم من عائشة بنت أبى بكر الصـــديق .
		زواج أم كلثوم من عثمان بن عفان بعد وفاة أختها رقية .
		زواج النبى الكريم من حفصة بنت عمر بن الخطاب .
		زواج فاطمة الزهراء من على بن أبى طالب .
		غزوة غطفان (ذى أمر) .
		غزوة بحران .
٦٢٦	٣	غزوة أحـــد .
		استشهاد حمزة بن عبد المطلب فى غزوة احد .
		مولد الحسن بن على بن أبى طالب .
		تحريم الخمر نهائيا .
٦٢٧	٤	غزوة بنى النضير (ضد يهود بنى النضير بالمدينة لغدرهم) .
		غزوة ذات الرقاع .
		صلاة الخوف . (نزل بها جبريل عليه السلام فى غزوة ذات الرقـــاع) .
		زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب بنت خزيمة
		غزوة بدر الآخرة .
		وفاة زينب بنت خزيمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعد ثمانية شهور من الزواج) .
		مولد الحسين بن على بى أبى طالب .
		زواج النبى صلى الله عليه وسلم من أم سلمة .

التاريخ الميلادى	التاريخ الهجرى	الموضوع
٦٢٨	٥	غزوة دومة الجندل (لصد العرب المقيمين بالقرب من دمشق لتآمرهم على غزو المدينة) .
		زواج النبى صلى الله عليه وسله من جويرية بنت الحارث .
		غزوة الخندق أو الأحزاب وهزيمة المشركين بقيادة أبى سفيان ابن حرب .
		غزوة بنى قريظة (ضـــد يهود بنى قريظة بالمدينة لنقضهم العهـــد) .
		زواج النبى صـــلى الله عليه وســـلم من زينب بنت جحش (بنت عمته) . بعد طلاقها من زيد بن حارثة .
		قرر القرآن الكريم ابطال عادةالتبنى بحيث لايرث ولا يورث .
		نزلت آية الحجاب بالنسبة لزوجات النبى الكريم . ثم شملت جميع النساء .
		تقررت فريضة الحج .
٦٢٩	٦	غزوة بنى لحيان (لغدرهم وقتلهم عاصم بن ثابت واخوانه فى الطـــريق) .
		غزوة ذى قرد (ضد عيينة بن حصن) .
		غزوة بنى المصطلق (المريسيع) .
		حديث الأفك ضد السيدة / عائشة رضى الله عنها بعد العودة من غزوة بنى المصطلق .
		نزول الوحى بآيات من القرآن الكريم ببراءة السيدة / عائشة .
٦٣٠	٧	صلح الحديبية .
		بيعة الرضوان للجهاد فى سبيل الله تحت الشجرة (شجرة الرضـــوان) .
		دعوة الملوك والرؤساء الى الاسلام .
		غزوة خيبر (ضد يهود خيبر الذين أرادوا الانتقام لهزيمة يهود بنى النضير اللاجئين عندهم .
		زواج النبى صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حيى بن أخطب (من سبايا خيبر) .

التاريخ الميلادى	التاريخ الهجرى	الموضوع
		غزوة فدك . (حصن لليهود بالقرب من خيبر) .
		غزوة وادى القرى بين خيبر والشام (ضد يهود تلك القرى حين ارادوا الاعتداء على المسلمين) .
		عمرة القضاء .
		زواج النبى صلى الله عليه وسلم من ميمونة بنت الحارث (زوج عمة حمزة بن عبد المطلب) .
٦٣١	٨	غزوة مؤتة (ضد الروم) .
		استشهاد زيد بن حارثة ، جعفر بن ابى طالب ، عبد الله بن رواحة فى غزوة مؤتة .
		فتح مكة وازالة الأصنام من حول الكعبة (٣٦٠ صنما) .
		غزوة حنين . (اغتر المسلمون بكثرتهم فكادوا يهزمون لولا ثبات النبى وعناية الله) .
		الشيماء أخت النبى من الرضاع كانت ضمن السبايا فى غزوة حنين فأكرمها النبى وأعادها الى اهلها .
		غزوة الطائف .
		مولد ابراهيم بن رسول الله (من مريم المصرية) .
٦٣٢	٩	سرية بقيادة على بن ابى طالب الى قبيلة طىء فهدم صنمهم (الفلس) .
		وقعت (سفانة بنت حاتم الطائى) فى الأسر فأعادها النبى الكريم الى أهلها .
		اسلام (عدى بن حاتم الطائى) بعد عودة أخته سفانة الى اهلها ومدحها فى المسلمين .
		غزوة تبوك (ضد الروم) .
		حج أبو بكر الصديق بالمسلمين .
		وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (زوجة عثمان بن عفان) .

التاريخ الميلادى	التاريخ الهجرى	الموضـــوع
٦٣٣	١٠	سرية بقيادة على بن أبى طالب الى اليمن لترضية الأهالى ودفع الدية لهم . حجة الوداع للنبى صلى الله عليه وسلم . مات ابراهيم (الطفل الصغير) بن النبى صلى الله عليه وسلم (من زوجته مريم المصرية) .
٦٣٤	١١	حملة بقيادة أسامة بن زيد الى الشـــام . (لم تتم لمرض الرسول الكريم) . انتقال النبى صلى الله عليه وســـلم الى الرفيق الأعلى . (الاثنين ١٢ ربيع الأول) . وفاة فاطمة الزهراء .

الفصل السابع عشر

خرائط واحصائيات

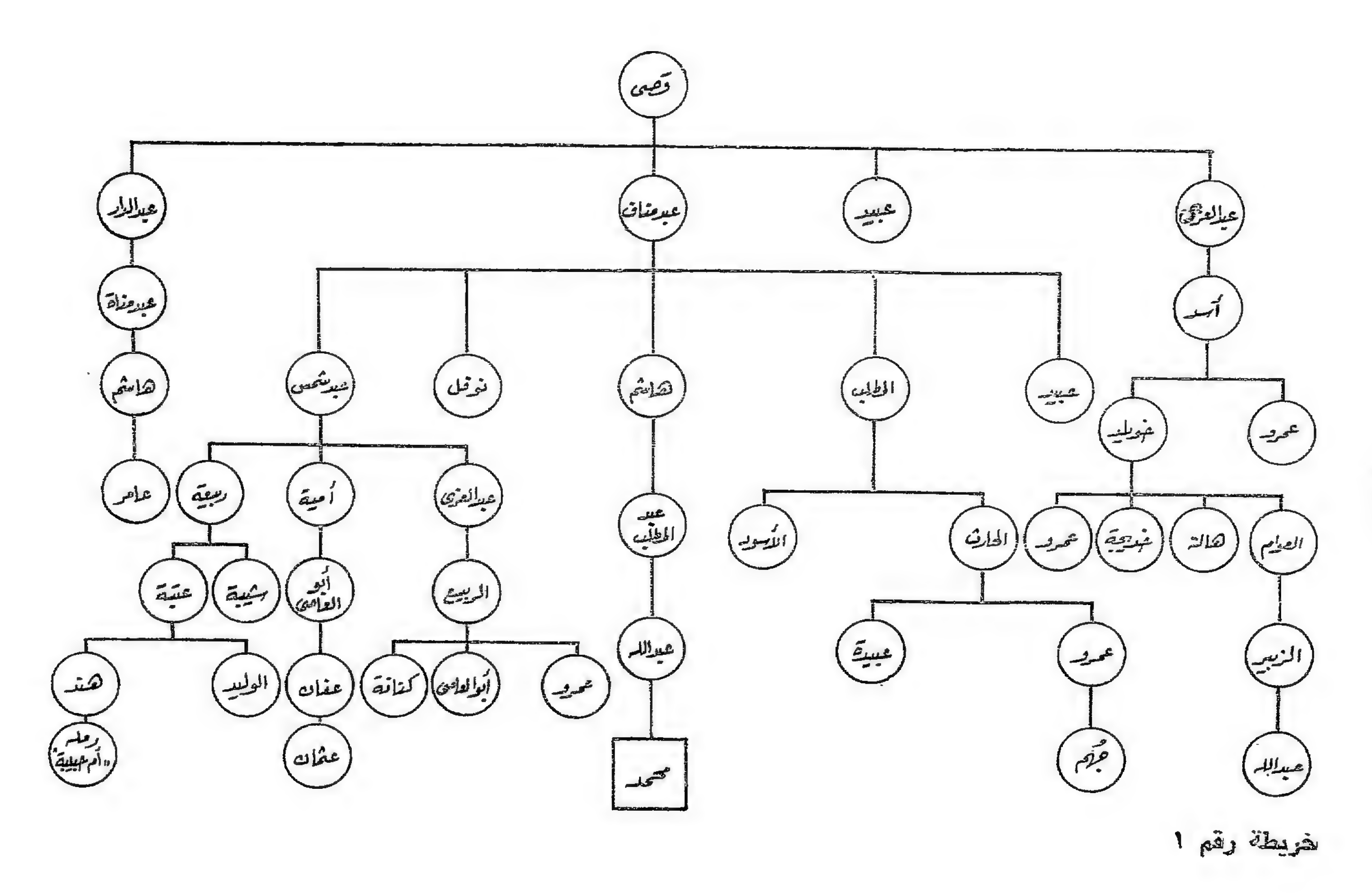
ـ خريطة رقم ١ : قصى

ـ خريطة رقم ٢ : عبد المطلب

ـ خريطة رقم ٣ : محمد صلى الله عليه وسلم

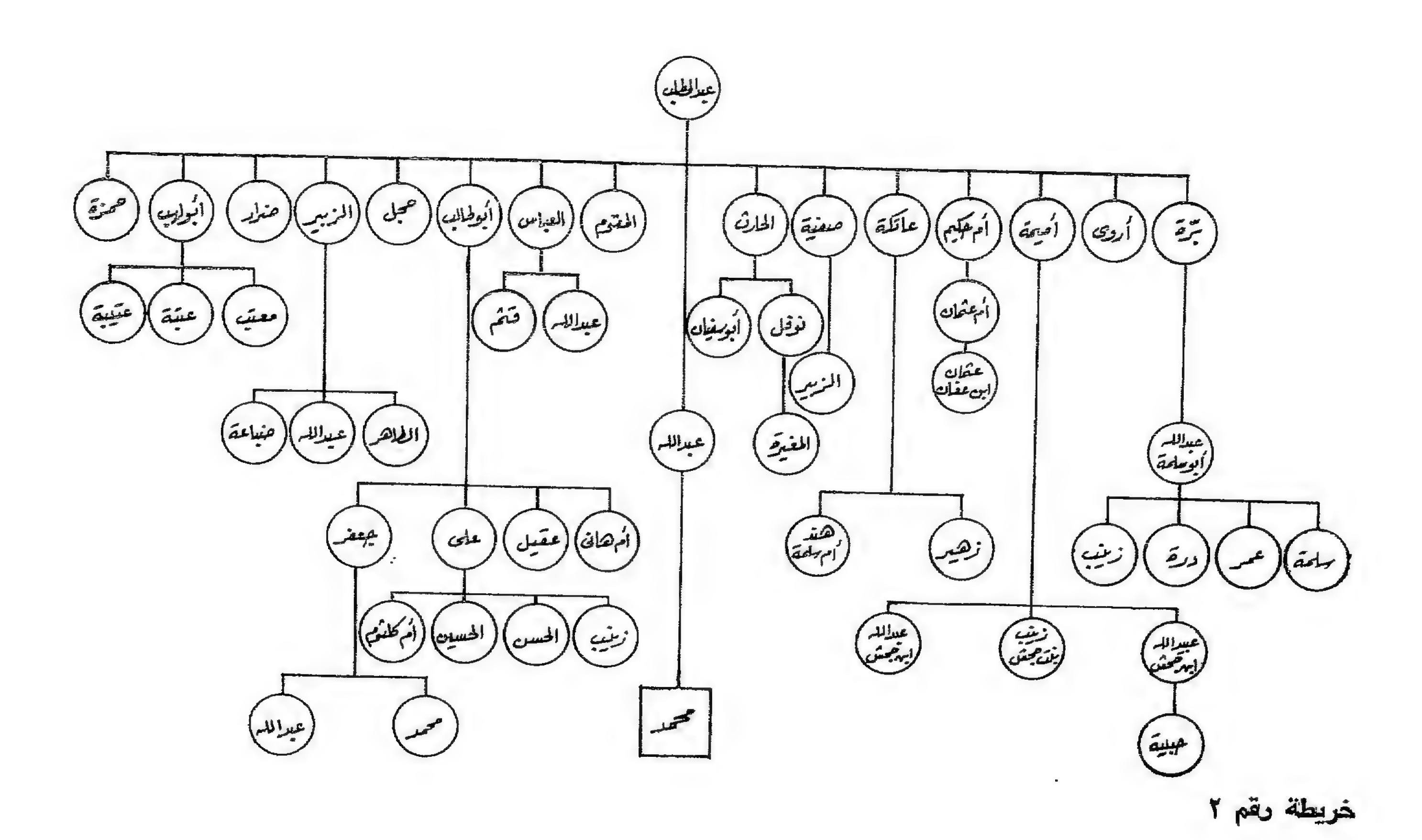
ـ خريطة رقم ٤ : فاطمة الزهراء .

ـ خريطة رقم ٥ : شبه الجزيرة العربية .



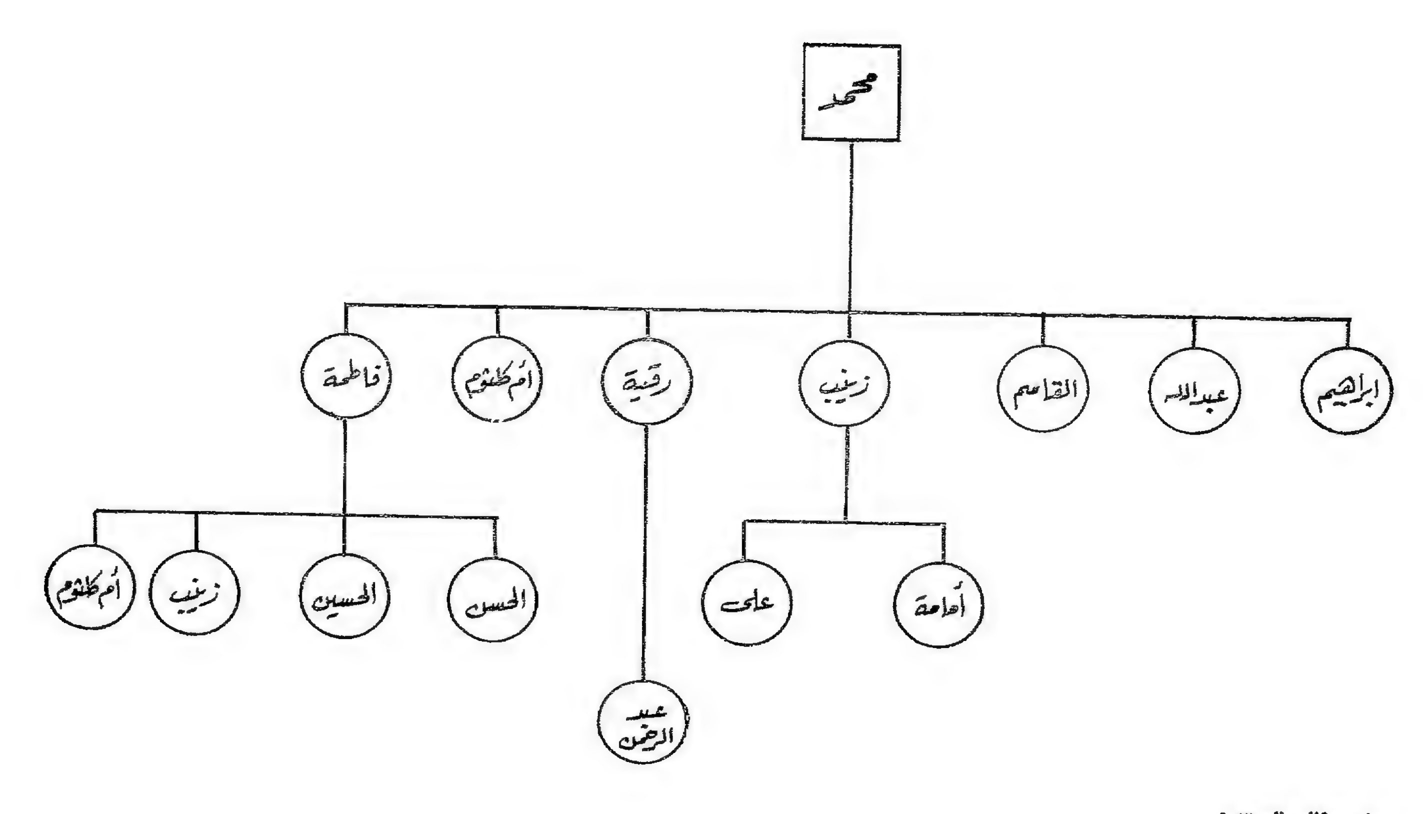
قصى
عبد الدار
عبد مناف
عبيد
عبد العزى
عبد مناة
هاشم
عامر
عبد شمس
نوفل
هاشم
المطلب
عبيد
أسد
خويلد
عمرو
ربيعة
أمية
عبد العزى
عبد المطلب
الأسود
الحارث
العوام
هالة
خديجة
عمرو
عتبة
شيبة
أبو العاص
الربيع
عبد الله
عبيدة
عمرو
الزبير
هند
الوليد
عفان
كنانة
أبو العاص
عمرو
محمد
جهم
عبد الله
رملة "أم حبيبة"
عثمان

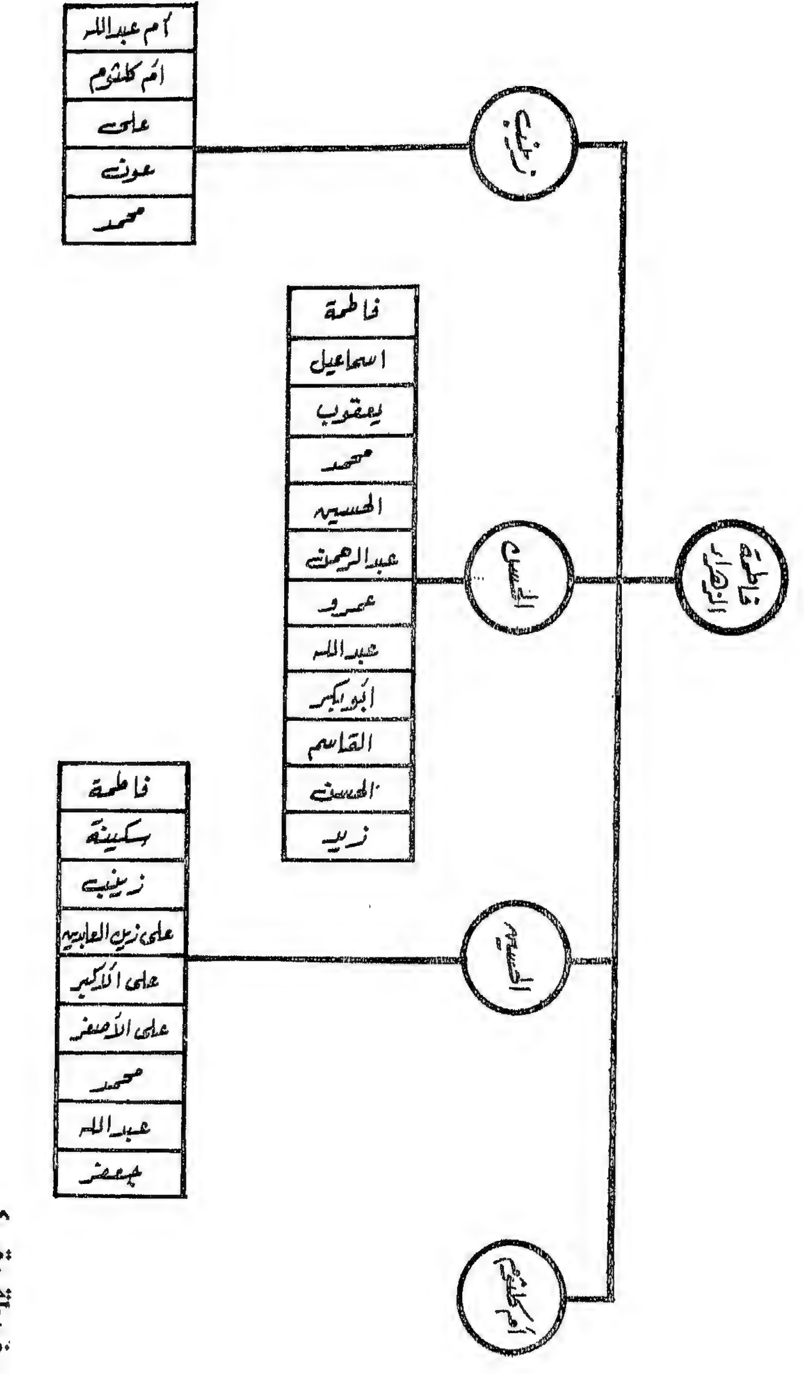
خريطة رقم ١


عبد المطلب
برة
أروى
أميمة
أم حكيم
عاتكة
صفية
الحارث
عبد الله
المقوم
العباس
أبو طالب
حجل
الزبير
ضرار
أبو لهب
حمزة
عبد الله أبو سلمة
سلمة
عمر
درة
زينب
أم عثمان
عثمان ابن عفان
زهير
هند أم سلمة
الزبير
نوفل
أبو سفيان
المغيرة
محمد
عبد الله
قثم
الطاهر
عبد الله
ضباعة
معتب
عتبة
عتيبة
أم هانئ
عقيل
علي
جعفر
زينب
الحسن
الحسين
أم كلثوم
محمد
عبد الله
عبد الله ابن جحش
زينب بنت جحش
عبد الله ابن جحش
حبيبة

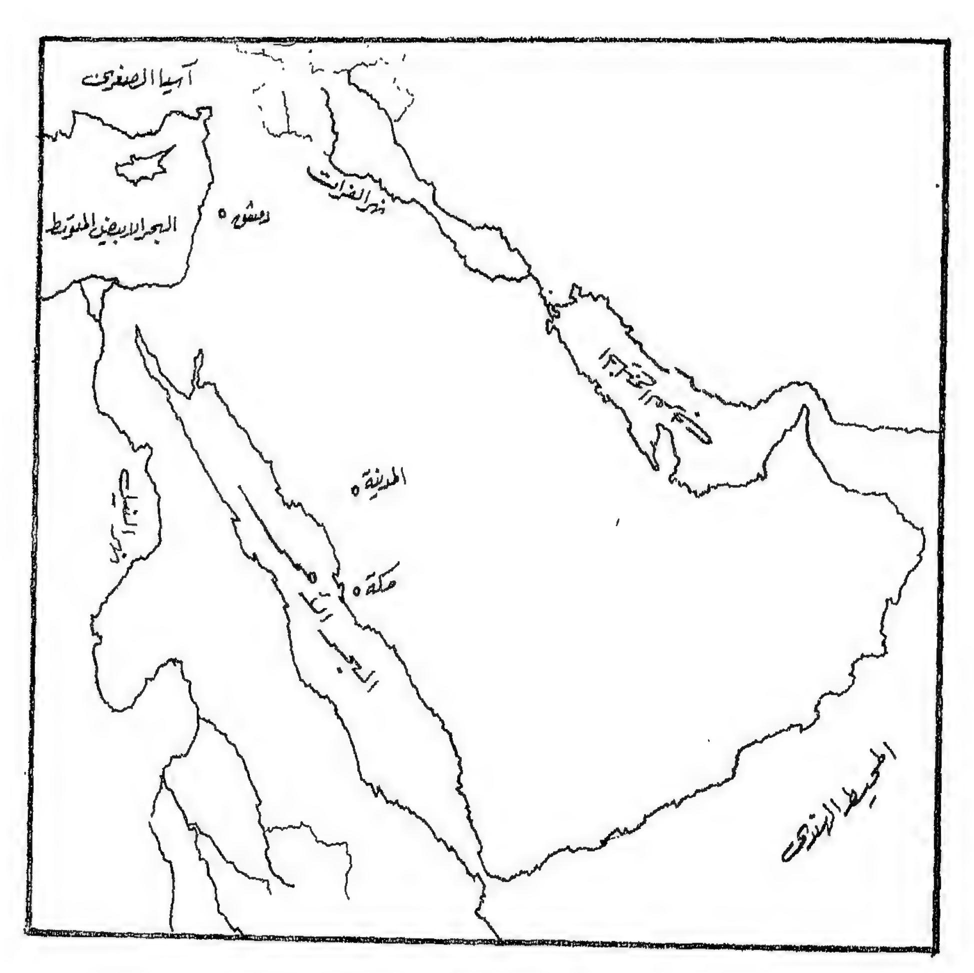
خريطة رقم ٢

خريطة رقم ٣ :


محمد
ابراهيم
عبد الله
القاسم
زينب
رقية
أم كلثوم
فاطمة
أمامة
على
عبد الرحمن
الحسن
الحسين
زينب
أم كلثوم


فاطمة الزهراء
زينب
الحسن
الحسين
أم كلثوم
أم عبد الله
أم كلثوم
على
عون
محمد
فاطمة
اسماعيل
يعقوب
محمد
الحسين
عبد الرحمن
عمرو
عبد الله
أبو بكر
القاسم
الحسن
زيد
فاطمة
سكينة
زينب
على زين العابدين
على الأكبر
على الأصغر
محمد
عبد الله
جعفر

خريطة رقم ٤



خريطة رقم ٥ : شبه الجزيرة العربية .

القسم الثاني

سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم

في

الذكر الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

« وانك لعلى خلق عظيم »

صدق الله العظيم

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

فى

الذكر الحكيم

١ ــ آداب اسـلامية

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
يأيها الذين آمنوا لا تقـدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم .	الحجرات	١	٢٦
يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون .	الحجرات	٢	٢٦
ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم .	الحجرات	٣	٢٦
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون .	الحجرات	٤	٢٦
ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم .	الحجرات	٥	٢٦
يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .	الحجرات	٦	٢٦
واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون .	الحجرات	٧	٢٦
يأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم .	المجادلة	١٢	٢٨

٢ ـ ازواج الرســول صلى الله عليه وسلم

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
يأيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا .	الأحزاب	٢٨	٢١
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما .	الأحزاب	٢٩	٢١
يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما .	الأحزاب	٥٩	٢٢
يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم .	التحريم	١	٢٨
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم .	التحريم	٢	٢٨
واذ أسر النبى الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبانى العليم الخبير .	التحريم	٣	٢٢
يأيها النبى انا أحللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما .	الأحزاب	٥٠	٢٨

٣ — اســتغفار وتســبيح

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
— انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما .	النساء	١٠٥	٥
واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما .	النساء	١٠٦	٥
سبح اسم ربك الأعلى .	الأعلى	١	٣٠
الذى خلق فسوى .	الأعلى	٢	٣٠
والذى قدر فهدى .	الأعلى	٣	٣٠
والذى أخرج المرعى .	الأعلى	٤	٣٠
فجعله غثاء أحوى .	الأعلى	٥	٣٠
سنقرئك فلا تنسى .	الأعلى	٦	٣٠
الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى .	الأعلى	٧	٣٠
ونيسرك لليسرى .	الأعلى	٨	٣٠
فذكر ان نفعت الذكرى .	«	٩	٣٠
اذا جاء نصر الله والفتح .	النصر	١	٣٠
ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا .	»	٢	٣٠
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا .	«	٣	٣٠
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين .	التوبة	٨٠	١٠
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى .	طه	١٣٠	١٦
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى .	«	١٣١	١٦
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى .	»	١٣٢	١٦
يسبح لله ما فى السماوات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم .	الجمعة	١	٢٨
هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين .	»	٢	٢٨

٤ ــ الاسراء والمعــــراج

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير .	الإسراء	١	١٥
والنجم اذا هوى .	النجم	١	٢٧
ما ضل صاحبكم وما غوى .	»	٢	٢٧
وما ينطق عن الهوى .	»	٣	٢٧
ان هو الا وحى يوحى .	»	٤	٢٧
علمه شديد القوى .	»	٥	٢٧
ذو مرة فاستوى .	»	٦	٢٧
وهو بالأفق الأعلى .	»	٧	٢٧
ثم دنا فتدلى .	»	٨	٢٧
فكان قاب قوسين أو أدنى .	»	٩	٢٧
فأوحى الى عبده ما أوحى .	»	١٠	٢٧
ما كذب الفؤاد ما رأى .	»	١١	٢٧
أفتمارونه على ما يرى .	»	١٢	٢٧
ولقد رآه نزلة أخرى .	النجم	١٣	٢٧
عند سدرة المنتهى .	»	١٤	٢٧
عندها جنة المــأوى .	»	١٥	٢٧
اذ يغشى السدرة ما يغشى .	»	١٦	٢٧
ما زاغ البصر وما طغى .	»	١٧	١٧
لقد رأى من آيات ربه الكبرى .	»	١٨	٢٧

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم .	البقرة	١١٩	١
ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء .	«	٢٧٢	٣
آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير .	«	٢٨٥	٣
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شــيئا وسيجزى الله الشاكرين .	آل عمران	١١٤	٤
يأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين .	المائدة	٦٧	٦
قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون .	الأعراف	١٥٨	٩
وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون .	التوبة	٦	١٠
هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .	التوبة	٣٣	١٠
يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير .	«	٣	١٠
قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستئخرون ساعة ولا يستقدمون .	يونس	٤٩	١١
ويستنبئونك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين .	يونس	٥٣	١١
ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين .	النحل	٣٧	١٤
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون .	النحل	٤٣	١٤

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا .	الكهف	١٠٩	١٦
فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين .	الشعراء	٢١٣	١٩
وانذر عشيرتك الأقربين .	«	٢١٤	١٩
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين .	«	٢١٥	١٩
فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون .	«	٢١٦	١٩
وتوكل على العزيز الرحيم .	«	٢١٧	١٩
الذى يراك حين تقوم .	الشعراء	٢١٨	١٩
وتقلبك فى الساجدين .	«	٢١٩	١٩
انه هو السميع العليم .	«	٢٢٠	١٩
فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون .	الروم	٣٠	٢١
فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون .	الروم	٤٣	٢١
ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا .	الأحزاب	٣٨	٢٢
ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما .	الأحزاب	٤٠	٢٢
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون .	غافر	٧٨	٢٤
فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير .	الشورى	١٥	٢٥
أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين .	الزخرف	٤٠	٢٥
فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون .	«	٤١	٢٥
أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون .	«	٤٢	٢٥
فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم .	«	٤٣	٢٥

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون .	الزخرف	٤٤	٢٥
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضـــل أعمالهم .	محمد	١	٦
والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم .	محمد	٢	٢٦
ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم .	محمد	٣	٢٦
يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم .	محمد	٣٣	٢٦
ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما .	الفتح	١٧	٢٦
لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا .	الفتح	١٨	٢٦
ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما .	«	١٩	٢٦
يمنون عليك أن اسلموا قـــل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمـــان ان كنتم صادقين .	الحجرات	١٧	٢٦
فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا .	النجم	٢٩	٢٧
ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى .	«	٣٠	٢٧
يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم .	الحديد	٢٨	٢٧
يأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتـــان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم .	الممتحنة	١٢	٢٨

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشـهد ان المنافقين لكاذبون .	المنافقون	١	٢٨
قل انما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا .	الجن	٢٠	٢٩
قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا .	«	٢١	٢٩
قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا .	«	٢٢	٢٩
الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا .	«	٢٣	٢٩
انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كمـا أرسلنا الى فرعون رسولا .	المزمل	١٥	٢٩
فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا .	«	١٦	٢٩
اقرأ باسم ربك الذى خلق .	العلق	١	٣٠
خلق الانسان من علق .	«	٢	٣٠
اقرأ وربك الأكرم .	«	٣	٣٠
الذى علم بالقلم .	«	٤	٣٠
علم الانسان ما لم يعلم .	«	٥	٣٠
يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين .	آل عمران	١٠٠	٣
وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .	آل عمران	١٠١	٣
ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشـهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .	النساء	٦٩	٥
ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا .	«	٧٩	٥
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسـنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما .	«	٤٠	٥
فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا .	«	٤١	٥

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرســـول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا .	النساء	٤٢	٥
يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا .	»	٥٩	٥
وما أرسلنا من رســـول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمـــا .	»	٦٤	٥
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما .	»	٦٥	٥
ويستفتونك فى النســـاء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليمـــا .	»	١٢٧	٥
يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا .	»	١٣٦	٥
يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لميكن لها ولد فانكانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم .	»	١٧٦	٦
يسالونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم منالجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب .	المائدة	٤	٦

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين .	المائدة	٦٧	٦
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين .	»	٩٢	٧
ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون .	»	٩٩	٧
ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون .	الأنعام	١٠	٧
قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين .	»	١١	٧
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير .	»	١٧	٧
ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الأولين .	»	٢٥	٧
قد نعلم انه ليحزنك الذى يقـولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .	»	٣٣	٧
ولقد كذبت رسـل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبا المرسلين .	»	٣٤	٧
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين .	»	٥٢	٧
واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم .	الأنعام	٥٤	٧
وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل .	»	٦٦	٧

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون .	يونس	٤١	١١
ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون .	«	٤٢	١١
ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون .	«	٤٣	١١
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هـــو السميع العليم .	«	٦٥	١١
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب .	الرعـــد	٦	١٣
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون .	الأنبياء	٧	١٧
ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون .	«	٤١	١٧
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعـــده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون .	الحج	٤١	١٧
وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيتـــه فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم .	الحج	٥٢	١٧
لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم .	«	٦٧	١٧
وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون .	«	٦٨	١٧
وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وجعـــلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا .	الفرقان	٢٠	١٨
أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا .	«	٤٣	١٩
أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا .	«	٤٤	١٩

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا .	«	٤٥	١٩
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا .	«	٤٦	١٩
انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين .	النمل	٩١	٢٠
وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين .	«	٩٢	٢٠
وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون .	النمل	٩٣	٢٠
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون .	القصص	٤٦	٢٠
انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين .	«	٥٦	٢٠
ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون .	العنكبوت	٥٣	٢١
يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين .	«	٥٤	٢١
ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين .	الروم	٤٧	٢١
فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين .	«	٥٢	٢١
وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون .	«	٥٣	٢١
النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا .	الأحزاب	٦	٢١

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا .	الأحزاب	٣٧	٢٢
يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا	الأحزاب	٤٥	٢٢
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .	«	٤٦	٢٢
كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم .	الشورى	٣	٢٥
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم .	محمد	١٦	٢٦
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير .	المجادلة	٨	٢٨
يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون .	«	٩	٢٨
ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب .	الحشر	٧	٢٨
واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون .	المنافقون	٤	٢٨

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون .	«	٥	٢٨
سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين .	«	٦	٢٨
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .	النحل	١٢٥	١٤
وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير .	الشورى	٧	٥
ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون .	الجاثية	١٨	٢٥
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين .	«	١٩	٢٥

٦ ـ الروح

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا .	الإسراء	٨٥	١٥

٧ ـ الساعة

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا .	الأحزاب	٦٣	٢٢
يسألونك عن الساعة أيان مرساها .	النازعات	٤٢	٣٠
فيم انت من ذكراها .	»	٤٣	٣٠
الى ربك منتهاها .	»	٤٤	٣٠
انما انت منذر من يخشاها .	»	٤٥	٣٠
كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها	»	٤٦	٣٠
يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون .	الأعراف	١٨٧	٩

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون .	النحل	١٢٧	١٤
فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون .	الروم	٦٠	٢١
فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار .	غافر	٥٥	٢٤
فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون .	الأحقاف	٣٥	٢٦
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب .	ق	٣٩	٢٦
ومن الليل فسبحه وأدبار السجود .	ق	٤٠	٢٦
واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب .	ق	٤١	٢٦
يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج	ق	٤٢	٢٦
واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم .	الطور	٤٨	٢٧
ومن الليل فسبحه وادبار النجوم .	«	٤٩	٢٧
فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم .	القلم	٤٨	٢٩
لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم .	«	٤٩	٢٩
فاجتباه ربه فجعله من الصالحين .	«	٥٠	٢٩

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا . وما كان من المشركين.	الأنعام	١٦١	٨
قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين .	»	١٦٢	٨
لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين .	»	١٦٣	٨
خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بهـا وصل عليهم ان صلاتك سـكن لهم والله سميع عليـم .	التوبة	١٠٣	١١
اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرءان الفجر ان قرءان الفجر كان مشهودا .	الإسراء	٧٨	١٥
ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا .	»	٧٩	١٥
وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا .	»	٨٠	١٥
وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .	»	٨١	١٥
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا .	»	٨٢	١٥
اتل ما أوحى اليك من الـكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .	العنكبوت	٤٥	٢٠

١٠ ـ الغيب

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان أتبع الا مايوحى الى قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون .	الأنعام	٥٠	٧

١١ ـ القبلة

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .	البقرة	١٤٤	٢

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا وأشد تنكيلا .	النساء	٨٤	٥
يسئلونك عن الشهر الحـرام قتال فيه قل قتـال فيه كبير وصد عن سـبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .	البقرة	٢١٧	٢
واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسـلحتهم فاذا سـجدوا فليـكونوا من ورائكم ولتـأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بـكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضـعوا أسلحتكم وخـذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا .	النساء	١٢٠	٥
يأيهـا النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون .	الأنفال	٦٥	١٠

٣ — عن القرآن الكريم

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
الم .	البقرة	١	١
ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .	«	٢	١
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .	«	٣	١
والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون .	«	٤	١
كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون .	«	١٥١	٢
هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب .	آل عمران	٧	٣
فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد .	آل عمران	٢٠	٣
ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون .	البقرة	٩٩	١
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما .	النساء	١٣	٥١
أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الألباب .	الرعد	١٩	١٣
كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب .	«	٣٠	١٣

الآيـــــات	السورة	رقم الآية	الجزء
ويقول الذين كفــروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب .	الرعد	٤٣	١٣
وانه لتنزيل رب العالمين .	الشعراء	١٩٢	١٩٢
نزل به الروح الأمين .	«	١٩٣	١٩
على قلبك لتكون من المنذرين .	«	١٩٤	١٩
بلسان عربى مبين .	«	١٩٥	١٩
ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون .	النمل	٧٦	٢٠
وانه لهدى ورحمة للمؤمنين .	النمل	٧٧	٢٠
ان ربك يقضى بينهم بحـــكمه وهـــو العزيز العليم .	«	٧٨	٢٠
فتوكل على الله انك على الحق المبين .	«	٧٩	٢٠
انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين .	«	٨٠	٢٠
وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون .	«	٨١	٢٠
ان الذى فرض عليــك القــرآن لرادك الى معاد قل ربى أعــلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين .	القصص	٨٥	٢٠
وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين .	«	٨٦	٢٠
ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين .	«	٨٧	٢٠
ولا تدع مع الله الهـــا آخر لا اله الا هو كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون .	«	٨٨	٢٠
وما كنت تتلو من قبله من كتـــاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون .	العنكبوت	٤٨	٢٠

الآيــــــات	السورة	رقم الآية	الجزء
بل هو آيات بينـــات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون .	العنكبوت	٤٩	٢٠
وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين .	«	٥٠	٢٠
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .	الزمر	١	٢٣
انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين .	«	٢	٢٣
انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل .	«	٤١	٢٤
وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به ما نشاء من عبادنا وانك لتهـــدى الى صراط مستقيم .	الشورى	٥٢	٢٥
صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير الأمور .	«	٥٣	٢٥
قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا .	الجن	١	٢٩
يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحـــدا .	«	٢	٢٩
انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا .	الإنسان	٢٣	٢٩
فأصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا .	«	٢٤	٢٩
واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا .	«	٢٥	٢٩
ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا .	«	٢٦	٢٩
الحق من ربك فلا تكن من الممترين .	آل عمران	٦٠	٣
فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفســـكم ثم نبتهل فنجعــل لعنة الله على الكاذبين .	«	٦١	٣

الآيـــــات	السورة	رقم الآية	الجزء
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفســـهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين .	آل عمران	١٦٤	٤
افغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين .	الأنعام	١١٤	٧
كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين .	«	٢	٨
المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون .	الأعراف	١	١٣
ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .	النحل	٨٩	١٤
وبالحـــق أنزلناه وبالحق نزل وما أرســـلناك الا مبشرا ونذيرا .	الإسراء	١٠٥	١٥
وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا .	الإسراء	١٠٦	١٥
واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا .	الكهف	٢٧	١٥
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا .	«	٢٨	١٥
فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا .	مريم	٩٧	١٦
والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير .	فاطر	٣١	٢٢
كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب .	ص	١٩	٢٣
نحن أعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد .	ق	٤٥	٢٦

١٤ ـ المسجد الحرام

الآيات	السورة	رقم الآية	الجزء
انا فتحنا لك فتحا مبينا .	الفتح	١	٢٦
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما .	«	٢	٢٦
وينصرك الله نصرا عزيزا .	«	٣	٢٦
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا .	«	٢٧	٢٦
هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .	«	٢٨	٢٦
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدايبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما .	«	٢٩	٢٦
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون .	البقرة	١٤٩	٢
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون .	البقرة	١٥٠	٢

الآيـــــات	السورة	رقم الآية	الجزء
نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم .	الحجر	٤٩	١٤
وان عذابى هو العذاب الأليم .	»	٥٠	١٤
قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا .	الكهف	١١٠	١٦
وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون .	الأنبياء	٢٥	١٧
تبارك الذى نزل الفرقان على عبــده ليكون للعالمين نذيرا .	الفرقان	١	١٨
وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا .	الفرقان	٥٦	١٩
قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا .	»	٥٧	١٩
وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا .	»	٥٨	١٩
وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون .	سبأ	٢٨	٢٢
وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور .	فاطر	٢٢	٢٢
ان أنت الا نذير .	فاطر	٢٣	٢٢
انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير .	فاطر	٢٤	٢٢
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير .	فاطر	٢٥	٢٢
يس .	يس	١	٢٢
والقرآن الحكيم .	»	٢	٢٢

الآيـــات	السورة	رقم الآية	الجزء
انك لمن المرسلين .	يس	٣	٢٢
على صراط مستقيم .	»	٤	٢٢
تنزيل العزيز الرحيم .	»	٥	٢٢
لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون .	»	٦	٢٢
لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون .	»	٧	٢٢
قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحـــد القهار .	ص	٦٥	٢٣
رب السموات والأرض وما بينهما العـــزيز الغفار .	»	٦٦	٢٣
انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .	الفتح	٨	٢٦
لتؤمنوا بالله ورســـوله وتعزروه وتوقـــروه وتسبحوه بكرة وأصيلا .	»	٩	٢٦
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما .	»	١٠	٢٦
فتول عنهم فما أنت بملوم .	الذاريات	٥٤	٢٧
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .	»	٥٥	٢٧
فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون .	الطور	٢٩	٢٧
أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون .	»	٣٠	٢٧
قل تربصوا فانى معكم من المتربصين .	»	٣١	٢٧
واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين .	الصف	٦	٢٨
فذكر انما أنت مذكر .	الغاشية	٢١	٣٠
لست عليهم بمصيطر .	»	٢٢	٣٠

الآيـــات	السورة	رقم الآية	الجزء
ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون .	آل عمران	١٢٨	٤
ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم .	«	١٧٦	٤
فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير .	«	١٨٤	٤
لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد .	«	١٩٦	٤
متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد .	«	١٩٧	٤
ويقـــولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا .	النساء	٨١	٥
انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً	«	١٦٣	٦
ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورســـلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما .	«	١٦٤	٦
رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما .	«	١٦٥	٦
لكن الله يشـــهد بما أنزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا .	«	١٦٦	٦
يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم .	المائدة	٤١	٦
خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين	الأعراف	١٩٩	٩
واذكر ربك فى نفســـك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين .	«	٢٠٥	٩
يأيهـــا النبى حســـبك الله ومن اتبعك من المؤمنين .	الأنفال	٦٤	١٠

الآيـــــات	السورة	رقم الآية	الجزء
ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهـم فرحـــون .	التوبة	٥٠	١٠
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون .	»	٥١	١٠
ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون .	الحجر	٩٧	١٤
فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين .	»	٩٨	١٤
وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين .	»	٩٩	١٤
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا .	الإسراء	٢٩	١٥
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا .	»	٣٠	١٥
ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا .	»	٣٦	١٥
ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا .	»	٣٧	١٥
ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بمــا يصفون .	المؤمنون	٩٦	١٨
يأيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما .	الأحزاب	١	٢١
واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا .	»	٢	٢١
وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا .	»	٣	٢١
قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين .	الزمر	١١	٢٣
وأمرت لأن أكون أول المسلمين .	»	١٢	٢٣
قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم .	»	١٣	٢٣
قل الله أعبد مخلصا له دينى .	»	١٤	٢٣

الآيـــات	السورة	رقم الآية	الجزء
فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين .	الزمر	١٥	٢٣
قال أفغير الله تأمرونى اعبد أيها الجاهلون .	«	٦٤	٢٤
ولقـــد اوحى اليك والى الذين من قبـــلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين .	«	٦٥	٢٤
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .	«	٦٦	٢٤
قل انى نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين .	غافر	٦٦	٢٤
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون .	الجاثية	٦	٢٥
فاعـــلم انه لا اله الا الله واســـتغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم .	محمد	١٩	٢٦
قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجهـــا وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير .	المجادلة	١	٢٧
يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير .	التحريم	٩	٢٨
يأيها المزمل .	المزمل	١	٢٩
قم الليل الا قليلا .	«	٢	٢٩
نصفه أو انقص منه قليلا .	«	٣	٢٩
أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا .	«	٤	٢٩
انا سنلقى عليك قولا ثقيلا .	«	٥	٢٩
ان ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا .	«	٦	٢٩
ان لك فى النهار سبحا طويلا .	«	٧	٢٩
واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا .	المزمل	٨	٢٩
رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخـــذه وكيـــلا .	«	٩	٢٩
واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا .	«	١٠	٢٩

الآيـــات	السورة	رقم الآية	الجزء
يأيها المدثر .	المدثر	١	٢٩
قم فأنذر .	«	٢	٢٩
وربك فكبر .	«	٣	٢٩
وثيابك فطهر .	«	٤	٢٩
والرجز فاهجر .	«	٥	٢٩
ولا تمنن تستكثر .	«	٦	٢٩
ولربك فاصبر	«	٧	٢٩
عبس وتولى	عبس	١	٣٠
أن جاءه الأعمى .	«	٢	٣٠
وما يدريك لعله يزكى .	«	٣	٣٠
أو يذكر فتنفعه الذكرى .	عبس	٤	٣٠
أما من استغنى .	«	٥	٣٠
فأنت له تصدى .	«	٦	٣٠
وما عليك الا يزكى .	«	٧	٣٠
وأما من جاءك يسعى .	«	٨	٣٠
وهو يخشى .	«	٩	٣٠
فأنت عنه تلهى .	«	١٠	٣٠
واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، واماينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين	الأنعام	٦٨	٧
اتبع ما أوحى اليــك من ربك لا اله الا هو، وأعرض عن المشركين .	«	١٠٩	٧
ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلنـــاك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل .	«	١٠٧	٧
فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها ، وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور .	الشورى	٤٨	٢٥

الآيـــات	السورة	رقم الآية	الجزء
ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخـرة عذاب عظيم .	المائدة	٤١	٦
سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعـرض عنهم فلن يضروك شـيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين .	المائدة	٤٢	٦
وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين .	»	٤٣	٦
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما .	النساء	١٠٥	٥
واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما .	النساء	١٠٦	٥
ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما .	النساء	١٠٧	٥
وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لمـا بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بمـا انزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شـاء الله لجعلكم أمـة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما ءاتاكم فاستبقوا الخـيرات الى الله مرجعـكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون .	المائدة	٤٨	٦
وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون .	المائدة	٤٩	٦
فسبح باسم ربك العظيم .	الواقعة	٧٤	٢٧
وأما ان كان من أصحاب اليمين .	»	٩٠	٢٧
فسلام لك من أصحاب اليمين .	»	٩١	٢٧

الآيـــات	السورة	رقم الآية	الجزء
وأما ان كان من المكذبين الضالين .	الواقعة	٩٢	٢٧
فنزل من حميم .	«	٩٣	٢٧
وتصلية جحيم .	«	٩٤	٢٧
ان هذا لهو حق اليقين .	«	٩٥	٢٧
فسبح باسم ربك العظيم .	«	٩٦	٢٧
يأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .	الطلاق	١	٢٨
ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ألن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان االله غفور رحيم .	المزمل	٢٠	٢٩
لا تحرك به لسانك لتعجل به .	القيامة	١٦	٢٩
ان علينا جمعه وقرءانه .	«	١٧	٢٩
فاذا قرأناه فاتبع قرءانه .	«	١٨	٢٩
ثم ان علينا بيانه .	«	١٩	٢٩
ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا .	الكهف	٢٣	١٥
الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا .	«	٢٤	١٥
عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين .	التوبة	٤٣	١٠

١٧ — ثنـاء وتـكريم

الآيــات	السورة	رقم الآية	الجزء
وما أرسلناك الا رحمة للعالمين .	الأنبياء	١٠٧	١٧
لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .	الأحزاب	٢١	٢١
ان الله وملائكته يصلون على النبى يأيهـا الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .	الأحزاب	٥٦	٢٢
لا أقسم بهذا البلد .	البلد	١	٣٠
وانت حل بهذا البلد .	»	٢	٣٠
والضحى .	الضحى	١	٣٠
والليل اذا سجى .	»	٢	٣٠
ما ودعك ربك وما قلى .	»	٣	٣٠
وللآخرة خير لك من الأولى .	»	٤	٣٠
ولسوف يعطيك ربك فترضى .	»	٥	٣٠
الم يجدك يتيما فئاوى .	»	٦	٣٠
ووجدك ضالا فهدى .	»	٧	٣٠
ووجدك عائلا فأغنى .	»	٨	٣٠
فأما اليتيم فلا تقهر .	الضحى	٩	٣٠
وأما السائل فلا تنهر .	»	١٠	٣٠
وأما بنعمة ربك فحدث .	»	١١	٣٠
الم نشرح لك صدرك .	الشرح	١	٣٠
ووضعنا عنك وزرك .	»	٢	٣٠
الذى أنقض ظهرك .	»	٣	٣٠
ورفعنا لك ذكرك .	»	٤	٣٠
فان مع العسر يسرا .	»	٥	٣٠
ان مع العسر يسرا .	»	٦	٣٠
فاذا فرغت فانصب .	»	٧	٣٠

الآيـــات	السورة	رقم الآية	الجزء
والى ربك فارغب .	الشرح	٨	٣٠
انا أعطيناك الكوثر .	الكوثر	١	٣٠
فصل لربك وانحر .	«	٢	٣٠
ان شانئك هو الأبتر .	«	٣	٣٠
من يطع الرسول فقــد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا .	النساء	٨٠	٥
انه لقول رسول كريم .	التكوير	١٩	٣٠
ذى قوة عند ذى العرش مكين .	«	٢٠	٣٠
مطاع ثم أمين .	«	٢١	٣٠
وما صاحبكم بمجنون .	«	٢٢	٣٠
ولقد رآه بالأفق المبين .	«	٢٣	٣٠
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليــه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم .	التوبة	١٢٨	١١
فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .	«	١٢٩	١١
ن والقلم وما يسطرون .	القلم	١	٢٩
ما أنت بنعمة ربك بمجنون .	«	٢	٢٩
وان لك لأجرا غير ممنون .	«	٣	٢٩
وانك لعلى خلق عظيم .	«	٤	٢٩
انه لقول رسول كريم .	الحاقــة	٤٠	٢٩
وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون .	«	٤١	٢٩
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون .	«	٤٢	٢٩
تنزيل من رب العالمين .	«	٤٣	٢٩
فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظــا غليظ القلب لانفضوا من حــولك فاعف عنهــم واستغفر لهم وشــاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين .	آل عمران	١٥٩	٤

الترتيب الأبجدى

لأسماء الأعـلام

الترتيب الأبجدى

الترتيب الأبجدى

الترتيب الأبجـدى

الترتيب الأبجدى

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس القسم الأول

ـ الدعوة الاسلامية ـ

(تابع) فهرس القسم الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس ــ القسم الثانى

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الذكر الحكيم

المراجـــــع

ترتيب أبجدى تبعا لأسماء السادة المؤلفين

١ ــ القــرآن الكريم

٢ ــ الأحاديث النبوية الشريفة
(صحيح البخارى)

٣ ــ محمد رسول الله
اتيين دينيه : ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود

٤ ــ محمد رسول الله
أحمد تيمور

٥ ــ التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
دكتور أحمد شلبى

٦ ــ بنات النبى عليه الصلاة والسلام
دكتورة بنت الشاطىء

٧ ــ نفوس ودروس (جزءان)
الأستاذ توفيق محمد سبع

٨ ــ لا ملجأ من الله اليــه
الأستاذ حسن توفيق شريف

٩ ــ السيدة / خديجة الكبرى
الأستاذ العلامة الصوفى حسن كامل الملطاوى

١٠ ــ العبـــادات
الأستاذ العلامة الصوفى حسن كامل الملطاوى

١١ ــ المعـــاملات
الأستاذ العلامة الصوفى حسن كامل الملطاوى

١٢ ــــ **عشرة أيام فى حياة الرسول**
الأستاذ خالد محمد خالد

١٣ ــــ **الفلسفة القرآنيـــة**
الأستاذ المحقق عباس محمود العقاد

١٤ ــــ **عبقــرية محمـــد**
الأستاذ المحقق عباس محمود العقاد

١٥ ــــ **الانسان فى القرآن الكريم**
الأستاذ المحقق عباس محمود العقاد

١٦ ــــ **ما يقال عن الاسلام**
الأستاذ المحقق عباس محمود العقاد

١٧ ــــ **حقائق الاسلام وأباطيل خصومه**
الأستاذ المحقق عباس محمود العقاد

١٨ ــــ **سيرة سيد ولد آدم (محمد صلى الله عليه وسلم)**
الأستاذ عبد الحميد الخطيب

١٩ ــــ **الرسول صلى الله عليه وسلم : لمحات من حياته**
دكتور عبد الحليم محمود

٢٠ ــــ **مع القـــــرآن**
الأستاذ عبد الحسيب طـــه

٢١ ــــ **محمد رسولا نبيـــا**
الأستاذ عبد الرزاق نوفل

٢٢ ــــ **محمد رسول الحـــرية**
الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى

٢٣ ــــ **بطـــل الأبطـــال**
الأستاذ عبد الرحمن عزام

٢٤ ــــ **مواقف حرجـــة**
الأستاذ عبد الوهاب حمودة

٢٥ — الوعـــد الحـــق
دكتور طــه حسين

٢٦ — مرآة الاســلام
دكتور طــه حسين

٢٧ — على هامش السيرة (٣ أجزاء)
دكتور طــه حسين

٢٨ — الوحى المحمــدى
السيد / محمد رشيد رضــا

٢٩ — جامع علوم الشريعــة
السيد / محمد منير الدمشقى

٣٠ — تقريب السيرة النبوية لابن هشام
الأستاذ محمد عبد العزيز اسماعيل

٣١ — الاسلام عقيــدة وشريعــة
فضيلة الأستاذ الامام محمود شلتوت

٣٢ — أمهات المؤمنين وبنات الرسول
الكاتبة / وداد سكاكينى

٣٣ — محمد الرسالة والرسول
دكتور نظمى لوقا

مراجع بلغــات أجنبيــة

٣٤ — The Religion of Islam. 2 vol.
دكتور احمد غلوش

٣٥ — Visages de l'Islam .
Haidar Bammate
(Jeorges Rivoire)